

الدورة الخامسة عشرة

من يوم الاثنين غرة ذى الحجة سنة ١٣٦٧ هـ ، الموافق ٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٨ م .
إلى يوم الاثنين ٢ من شعبان سنة ١٣٦٨ هـ ، الموافق ٣٠ من مايو سنة ١٩٤٩ م .

مرسوم

بتعيين عضوين عاملين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

نحن فاروق الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على المرسوم الصادر في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ بإنشاء مجمع (فؤاد الأول)
لغة العربية المعدل بالمرسوم الصادر في ٢٨ مايو سنة ١٩٤٠ .

وعلى المرسومين الصادرين في ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٣ و ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٠ بتعيين
أعضاء عاملين في المجمع المذكور .

وعلى المرسوم الصادر في ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٦ بزيادة عدد أعضاء المجمع العاملين إلى
أربعين عضواً .

وبناء على ما عرضه علينا وزير المعارف العمومية ، وموافقة رأى مجلس الوزراء .

رسمنا بما هو آت :

مادة ١ - يعين الأستاذ محمد رضا الشيبى والأستاذ خليل سكاكيني عضوين عاملين بمجمع
فؤاد الأول للغة العربية في المكانين اللذين خلوا بوفاة المرحوم الأب أنستاس
مارى الكرملى والمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق .

مادة ٢ - على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة
الرسمية .

صدر بقصر القبة في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٧ (٢٦ يناير سنة ١٩٤٨) .

(فاروق)

بأمر حضرة صاحب الجلالة

رئيس مجلس الوزراء

(محمود فهمى النقراشى)

وزير المعارف العمومية

(السهورى)

قرار وزارى

وزير المعارف العمومية

بعد الاطلاع على المادة ١٢ من المرسوم الملكى الصادر بتاريخ ١٩٤٠/٥/٢٨ الخاص بتعديل بعض أحكام المرسوم الملكى الصادر فى ١٩٣٢/١٢/١٣ الخاص بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

وبعد الاطلاع على كتاب سعادة رئيس المجمع بخلو مكان المرحوم على الجارم بك عضو مكتب المجمع لوفاته .

قرر ما يأتى

المادة الأولى :

يعين حضرة صاحب العزة الأستاذ زكى المهندس بك عضواً بمكتب مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

المادة الثانية :

على سعادة رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية تنفيذ هذا القرار .

وزير المعارف

توقيع (على أيوب)

قرار وزارى

رقم ٨٤٩٠ بتاريخ ١٩٤٩/٥/٢٢

وزير المعارف العمومية

بعد الاطلاع على ماعرضه علينا مجمع فؤاد الأول للغة العربية بتاريخ ١٩٤٩/٥/٤ بشأن الموافقة على منح لقب عضو مراسل لأربعة من العلماء الشرقيين .

وبعد الاطلاع على المادة الثامنة من المرسوم الملكى الصادر فى ١٩٣٣/١٢/١٣ بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية والمعدل بالمرسوم الملكى الصادر فى ١٩٣٨/٨/٧ .

قرر ما يأتى

المادة الأولى :

يمنح حضرات الأساتذة الموضحة أسماؤهم بعد لقب عضو مراسل وهم .

- | | |
|---------------------------------|--|
| ١ - حضرة صاحب المعالى أصغر حكمت | وزير خارجية إيران ووزير المعارف السابق لها |
| ٢ - حضرة الأستاذ إيليا أبو ماضى | من لبنان |
| ٣ - حضرة الأستاذ ميخائيل نعيمة | من لبنان |
| ٤ - حضرة الأستاذ عادل جبرة | من فلسطين |

المادة الثانية :

على سعادة رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية تنفيذ هذا القرار .

وزير المعارف

على أيوب

جلسة افتتاح المؤتمر

واستقبال العضوين الجديدين

الأستاذ السيد محمد رضا الشيبى والأستاذ خليل السكاكيني

محمد كرد على لأسباب صحية .
وقد شهد الاحتفال جمع كبير من رجال
الدول العربية ورجال التعليم من جامعة فؤاد
الأول ووزارة المعارف ومن العلماء والأدباء
ومندوبون من الصحف والمجلات ومحطة الإذاعة
اللاسلكية للحكومة المصرية لإذاعة الخطب .
ولما حل الموعد أعلن حضرة الأستاذ أحمد
لطفى السيد رئيس المجمع افتتاح المؤتمر وألقى
كلمته ، ثم تبعه حضرة الدكتور منصور فهمى
كاتب سر المجمع فأناوب عنه الأستاذ محمد
شوقى أمين المحرر بالمجمع فى إلقاء كلمته . ثم
أعلن الرئيس ابتداء حفلة استقبال العضوين
الجديدين ، فوقف الأستاذ عباس محمود العقاد
فألقى كلمته فى استقبال الأستاذ السيد محمد
رضا الشيبى ، وتبعه الأستاذ السيد محمد رضا
الشيبى فألقى كلمته ، ثم وقف الدكتور
منصور فهمى لإلقاء كلمته فى استقبال الأستاذ
خليل سكاكيني ، وتبعه الأستاذ خليل سكاكيني
فألقى كلمته . وبذلك أعلن انفضاض الاحتفال
العلمى ، ودعى أعضاء المؤتمر إلى الاجتماع
وحدهم ، وتقرر فى اجتماعهم أن يعقد المؤتمر
جلساته فى الساعة الحادية عشرة من صباح أيام
السبت والاثنين كل أسبوع ، وأن يدرس المؤتمر
فى يوم السبت المقبل مشروع تيسير الإملاء .
وانفض الاجتماع وقد بلغت الساعة منتصف
الأولى بعد الظهر .

كان مقررأ أن تعقد جلسة افتتاح المؤتمر
فى الساعة الحادية عشرة من يوم الثلاثاء
٦ من صفر سنة ١٣٦٨ (الموافق ٧ من ديسمبر
سنة ١٩٤٨) وأن تلى هذه الجلسة حفلة استقبال
العضوين الجديدين الأستاذ السيد محمد رضا
الشيبى والأستاذ خليل السكاكيني اللذين عينا
فى مكان المرحومين الأب أنستاس مارى
الكرملى والشيخ مصطفى عبد الرازق .
وقبيل الموعد المحدد حضر من أعضاء
المؤتمر الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس المجمع .
والدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع ،
والأستاذ على عبد الرازق والدكتور فارس نمر
والدكتور على توفيق شوشة والدكتور أحمد أمين
والأستاذ مصطفى نظيف والسيد حسن القاياتى
والشيخ إبراهيم حمروش وسيادة حليم ناحوم
والدكتور أحمد زكى والأستاذ عباس محمود
العقاد والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
والأستاذ ركنى المهندس والشيخ عبد الوهاب
خلاف والأستاذ على الجارم والأستاذ محمد
فريد أبو حديد والشيخ محمود شلتوت والأستاذ
أحمد العوامرى والشيخ عبد القادر المغربى
والأستاذ ه. ا. ر. جب والأستاذ السيد محمد
رضا الشيبى والأستاذ خليل سكاكيني .
واعتذر من التخلف عن هذه الجلسة
الدكتور عبد الرزاق السنهورى .
واعتذر من التخلف عن شهود جلسات
المؤتمر الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف والأستاذ

كلمة حضرة الأستاذ أحمد لطفي السيد

رئيس المجمع

أيها السادة الزملاء :

أعلن افتتاح المؤتمر ، وأحييكم في هذه المناسبة أطيب تحية ، وأرجو لكم توفيقاً فيما بين يديكم من الأعمال .

ولأنه لمن دواعي الاغتراب أن نلتقي بإخواننا القادمين من أنحاء الشرق والعرب ، وأن مستقبل في هذا اليوم زميلين جديدين ، هما معالي السيد محمد رضا الشيببي ، والأستاذ خليل السكاكيني .

ربما يكون من الفضلة أن نكرر أن هذا المجمع مثابة بحث ودرس ، فيه تعالج مشكلات اللغة وقضاياها ، وتقرر الحدود للمعاني العلمية على اختلاف فروعها ، فهو بهذا الاعتبار هيئة علمية بحتة ، تعمل بروح جامعية صرفة ليس من شأنها أن تنفذ قراراتها إلا مايكون من عرضها على الهيئات العلمية ، ونشرها في المطبوعات والمعجمات . ويسرنا أن في المجمع

العربي دلائل واضحة على صدق الرغبة في تقبل أعمال المجمع بقبول حسن .

وبهذه المناسبة أشير إلى أن المجمع قد اتخذ العدة للشروع في وضع المعجم اللغوي الكبير ووافق على النموذج الذي رسم له . وقد عرض زميلنا الدكتور طه حسين بك مقرر المعجم ذلك النموذج على مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في الصيف الفائت ، ورغب إلى أعضائه في موافاة المجمع بما يعين لهم من ملاحظات .

وقد كان مقرر أن يفرغ المجمع من المعجم اللغوي الوسيط في مرعد مضى ، ولكن أبطأ به أن المجمع رأى لإمداد هذا المعجم بطائفة من المصطلحات العلمية ، وأسماء المسميات المتداولة الآن ، حتى يكون نافعا للعصر الحاضر .

وسيجميل لكم كاتب سر المجمع سعادة الدكتور منصور فهمي باشا ما قام به المجمع من أعمال في العام الماضي ، وبرنامج العمل في هذا المؤتمر .

كلمة حضرة الدكتور منصور فهمي

كاتب سر المجمع

المؤتمر تكوين لجنة لوضع كتاب في النحو وفقاً لقواعد تيسيره التي أقرها المؤتمر من قبل .

ولاني أحسب أن ثلاثة قرارات في ثلاثة أصول تيسر الاستعمال الجارى ليست بالعمل القليل لمؤتمر انعقد شهراً وبعض شهر ، وكانت هذه بعض أعماله .

ولما انقضى المؤتمر استأنف المجلس اجتماعه الأسبوعي فدرس فيما درس نماذج من معجم ألفاظ القرآن الكريم ومن المعجم اللغوي الكبير ومن المعجم اللغوي الوسيط وأبدى في هذه النماذج كلها ملاحظات تساعد اللجان المختصة على النهوض بعملها . ونظر المجلس فيما انتهت إليه لجنة الأدب من وضع مسابقات لتشجيع الإنتاج الأدبي للعام الماضي وأعلنت النتائج في حفل علني وزعت فيه الجوائز المقررة ، وكذلك وافق المجلس على عقد مسابقات لهذا العام أرصدت لها جوائز أخرى . وعرض على المجلس تقرير للجنة الألفاظ والأساليب تناول طائفة من الكلمات الدائرة في الاستعمال مثل : كم أنا سعيد ، وقابلته رأساً . والمقارنة بمعنى الموازنة ، وبالكاد أدركه . فحقق المجلس تلك التراكيب وغيرها . ودرس المجلس طائفة من ألفاظ الحضارة الحديثية من ألفاظ الطب وتعريفاتها ، وكذلك غني المجلس باختيار أعضاء مراسلين له ، فعين أربعة عشر

عقد مؤتمر المجمع في دورته الماضية اثنتي عشرة جلسة فيما بين الثاني عشر من يناير سنة ١٩٤٨ والعشرين من فبراير سنة ١٩٤٨ . وقد أقيمت في هذا المؤتمر محاضرات وبحوث ، ودرست مقترحات . فأما المحاضرات فقد تناولت صلة اللغة العربية باللغات السامية ، ونقل العلوم الأجنبية إلى العربية ، ونشأة الاصطلاحات الفقهية ، ونشأة المصطلحات الفلسفية ، وملاحظات بين اللغة والنحو . وأما البحوث فقد كانت في الإملاء . وفي النحت . وفي موقف العامة من الفصحى . وفي جواز وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء . وقد انتهى المؤتمر إلى إقرار جواز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية ، كما أنه أجاز وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء إلى جانب الصيغ الأخرى التي يستسيغها اللوق العربي ، فيقال : جنات خضراء ، كما يقال جنات خضر ، وكلاهما في نظر المجمع صحيح . وفي أثناء هذه البحوث رأى المؤتمر أن يوافق على توهم الأصالة في بعض الحروف العربية ، وذلك تيسيراً للاستعمال في بعض الكلمات التي ذاعت وكانت موضعاً للانتقاد أو التي يتعذر الاشتقاق منها بالرجوع إلى أصولها ، فمثلاً يجوز أن نقول : تمنطق أي لبس المنطقة كما يقال تنطق ، وعلى هذا يجوز أن يقال : تمذهب . وأما المقترحات فقد رأى

عضواً مراسلاً من السودان ومراكش وتونس وسورية والعراق والحجاز ومن إيطاليا وإنجلترا وفرنسا والسويد. وقد أتمت إدارة المجمع طبع الجزء الخامس من المجلة والمجموعة الخامسة من محاضر الجلسات. وقد أجاب المجمع الدعوة إلى الاشتراك في مؤتمر اللغويين والمستشرقين وفي اجتماع المعهد الدولي للدراسات الإغريقية وأتاب عنه من يمثله فيها.

أما نشاط اللجان فلإنها واصلت اجتماعاتها، فلجنة معجم ألفاظ القرآن ترجو أن تنتهى من وضع المعجم في آخر هذه الدورة. ولجنة المعجم اللغوي الوسيط توشك أن تعد المعجم للظهور. ولجنة المصطلحات الطبية أقرت نحو ثمانمائة مصطلح في الطفيليات والأمراض الباطنية. ولجنة جمع المصطلحات من الحياة العامة جمعت نحو ألفين وستمائة كلمة مما يدور في المتاجر وألف وخمسمائة كلمة في الهندسة الميكانيكية وستمائة كلمة في الموسيقى، وسبعمائة كلمة في اللاسلكي والطيران والنقش وغير ذلك، وثلاثمائة في الرسم الهندسي، ومائتين وخمسين من كلمات السكك الحديدية وجملة من ألفاظ علم النفس، والمصطلحات الفلكية، والكلمات العسكرية. ولجنة الكيمياء تعيد النظر فيما سبق لإقراره من مصطلحات وتضع لها التعريفات. ولجنة العلوم الرياضية والهندسية أيضاً أتمت تعديل المصطلحات التي أقرت من قبل ووضعت عدداً من المصطلحات المعرفة. ولجنة علم النفس والتربية والمنطق أقرت عدداً من المصطلحات المعرفة. ولجنة اللهجات وضعت برنامجاً للعمل، وستعرض على المؤتمر في هذه الدورة بعض بحوثها وتقريراً للدراسة

اللهجات الحديثة في مصر والأقطار العربية. ولجنة الأصول ماضية في دراسة مقترحات تيسير الكتابة التي اشترك بها أصحابها في مسابقة المجمع، وستعرض تقريرها على المجلس بعد فراغها من دراسة المقترحات.

وأما لجنة الأدب فقد عقدت مسابقاتها التي أشرت إليها، وهي تفحص ما يقدم إليها من الإنتاج الأدبي لإجازته في حدود الجوائز المقررة، أو للتنويه به.

أما منهج المؤتمر في هذا العام فهو بحث في تيسير قواعد الإملاء، وبحث في المعجم الوسيط، وبحث في المعجم الكبير، وبحث في النحو العربي، وبحث في ألفاظ الحضارة الحديثة. ولكل من هذه البحوث لجنة تستوفي درسه قبل عرضه على المؤتمر.

كذلك رثى أن تقدم إلى أعضاء المؤتمر مجموعة من المصطلحات العلمية المعروفة ليليدوا رأيهم فيها في غير جلسة من جلسات المؤتمر.

وكذلك تقرر أن تلقى أثناء انعقاد المؤتمر محاضرات على النحو الآتي :-

(١) التحسينات التي أدخلت على المعجمات الأوربية الحديثة، ومدى استفادة المعاجم العربية منها.

(للاستاذ ماسينيون)

(٢) المنطق والنحو العربي.

(للاستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مذكور)

(٣) النهضة الأدبية العربية في العراق .
(لمعالى السيد محمد رضا الشيبى)

(٤) أهم النتائج التى انتهى إليها مؤتمر
المستشرقين .

(للدكتور طه حسين)

(٥) محاولات وتجارب فى تيسير النحو .
(للأستاذ خليل سكاكيني)

* * *

والآن وقد فرغت من تلخيص أعمال المؤتمر
والجلس والامعان ، أحب أن أشير إلى أن
المجمع بما اتخذ من خطة فى دراسة الإنتاج
الأدبى وتشجيعه مالياً وأدبياً قد عقد الصلة
بينه وبين نخبة من شباب الأدباء اشتروا فى
مسابقاته ، وشاركوه فى أهدافه ، ومن ثم
تنتقل أغراض المجمع على أقلام أولئك الأدباء
إلى جمهور القراء الكبير . كما أن الألفاظ التى
يقرها المجمع قد انتقلت إلى بيئاتها العلمية فى
المعاهد والمدارس والجامعات ، وتلك البيئات
هى المعنية بهذه المصطلحات وهى التى تدور

على ألسنتها لغة العلم التى يعمل المجمع على
خدمتها بجهود لاشك أن هؤلاء العلماء
يقدرونها له . ويضاف إلى ذلك كله أن
البحوث التى تجرى فى مختلف اللجان
قد تتطلب من الجهود ما يشعر به أعضاؤها
ومن يتصل بهم من الخبراء ، ومن يعينهم الأمر
من باحثين ودارسين . وإن هذه الجهود
المباركة لتقتضى مهلة من الزمن للتحقيق
والتدقيق الجديرين بالعمل العلمى . وعلى أية
حال فثمرات المجمع حين يراد أن ينالها الجمهور
هى أشبه شئء بالمادة المخصبة التى يحملها نهر
فياض بعيد ما بين منبعه ومصبه ، فلا بد من
مراحل زمنية ومكانية يقطعها ذلك النهر لى
تصل خيراته ومخصباته إلى نهايتها عند الجماهير .

فأقلام الأدباء ومجالس العلم ومعاهد الدرس
كلها مراحل لابد أن تأخذ من الزمن مهلة
لكى تظهر آثارها فى الجمهور الواسع المتعجل
المترقب لدانى الثمرات .

وفق الله العاملين فى المجمع وأنجح مساعهم
فى خدمة العربية !

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد في استقبال السيد محمد رضا الشيبى عضو المجمع

لم تزل وبحك باعصر أفق
عصر ألقاب كبار وكنى
حكم الناس على الناس بما
سمعوا عنهم وغضوا الأعينا
فاستحالت - وأنا من بعضهم
- أذن عينا وعينى أذنا
أخطأ الحق فريق بئس
لم يلومونا ، ولاموا الزمننا
ومن أمثلة شعره في طلائع الحرب العالمية
الأولى :
طلائع يوم الوعد أنجزت الوعدا
وأذهلن جيلا ما أعاد ولا أبدى

خراب سيغدو الغرب مهدّ ظهوره
كما كان للعمران قبلئذ مهـدا
وما غاية الغبراء إلا خرابها
إذا استفحل العمران واضأىقت حدا
خبت غير موراة نفوس وما خبت
بها الحرب إلا أنها وريت زندا
ومن قوله في النقد وحرية الرأى :
مالى أنافح عن رأى أفوه بهـ
فما فتحت فى إلا رفعت يـدى ؟
يا قاضيا باضطهادى هبك تفعله
فالحق قيد لسانى غير مضطهد

[١٩٠٢]

صاحب المعالى الأستاذ محمد-رضا الشيبى
الذى نستقبله اليوم ، عضو عامل فى مجامع
العلم والأدب ، يصح أن يقال فيه إنه يدخل
هذا المجمع من أكثر من باب واحد ، لأنه
شاعر ناقد ، باحث لغوى ، ناشر للعلم واللغة ،
معنى بآثار اللغة العربية قديمها وحديثها .

هو شاعر فصيح اللفظ ناصع المعنى سليم
العبارة ، ينظم الشعر فى أغراض شتى ولا يقصره
على غرض واحد : ينظمه فى الأخلاقيات
والوطنيات ، وفى الحوادث الكبرى ، وفى
المعانى التى اصطلح المحدثون على وصفها بالمعانى
الغنائية .

ومن أمثلة شعره فى هذه الأغراض قوله
من قصيدة نونية سارت فى الشرق العربى
مسير الأمثال عن فتنة الناس فى هذا الزمن :

فتنة الناس وقينا الفتنا
باطل الحمد ومكذوب الثنا
رب جهم حولاه قمـرا
وقبيح صـيـراه حسنا
أيها المصلح من أخلاقنا
أيها المصلح : الداء هنا
كلنا يطلب ما ليس لـه
كلنا يطلب ذا ، حتى أنـا
ربما تعجبنا مخضرة
أربع فى الأصل كانت دما

حب الحقيقة يصيبني وإن كبرت
 وزج بي حبها في ماضني أسد
 قالوا أتكره نقد الناس ؟ قلت نعم
 إذا استعار عدوى ثوب منتقد
 مقلدون بما فاهوا وما كتموا
 عرفت داءهم عرفان مجتهد

وقال يخاطب الناشئة :

يا شبابا درسوا فاجتهدوا
 لينالوا غاية المجتهد
 وعد الله بكم أوطانكم
 ولقد أن نجاح الموعد
 أنتم جيل جديد وجدوا
 لعصور مقبلات جدد
 كونوا الوحدة لا تفسخها
 نزعات الرأي والمعتقد
 أنا بايعت على أن لا أرى
 فرقة . هاكم على هذا يدي
 عقد العالم شتى فاحصروا
 همكم في حل تلك العقد
 لتكن أفكاركم مبدعة
 دأبها إيجاد مالم تجد

ومن شعره في المعاني العنائية :

تفاهنا : عيني وعينك لحظة
 وأدركنا أن القلوب شواهد
 أحاديث لم تلفظ ، وللنفس منطق
 وجيز ، وألفاظ اللسان زوائد
 وما طال عهدى بالقصيد ، ومن رأى
 لكم نظراتي قال هن القصائد
 دواوين هذا الشعر تفني وللهوى
 —هوى الروح— ديوان من الشعر خالد

ومما لا ينسى في هذا المقام أن أديبنا الكبير—
 وهو علم من أعلام الوطنية والشعر في العراق—
 قد نشأ منذ شببته الأولى عربياً يذكر كل
 وطن عربي حيثما ذكر وطنه ، ويشغل باله
 بأشجان مصر والشام كلما شغلته أشجان
 الرافدين ، وهو القائل عن محن البلاد العربية
 حين نكبت في استقلالها :

ماذا بنا وبذي الديار يراد
 فقُدت دمشق وقبلها بغداد
 بردى وأودية الفرات ودجلة
 والنيل غص بمائها الورد

والقائل قبل ذلك :

ما عنر طائفة أضاعت مصرها
 أن لا تضيع شامها وعراقها

ومن حق رجل تجيش نفسه بهذه العاطفة
 الشاملة أن يشمل كل قطر عربي وطنا عارفاً
 لقدره ، معترفاً بیره ، لأنه في وطنه حيثما نطق
 عربي بلغة الضاد .

والأستاذ الشيببي يتصرف في مذاهب النقد
 كما يتصرف في مذاهب الشعر .

وقد أعانه على تمييز الكلام وتصحيح النقد
 بحث طويل في الأدب واللغة ، واطلاع واسع
 على التاريخ وفنون المعرفة ، ولا يحصى شواهد
 هذا البحث وهذا الاطلاع فهي كثيرة متنوعة
 ولكننا نذكر عبايته «بالمأنوس من لغة القاموس»
 ولا نزال على ذكر من بحثه القيم — في مهرجان

ومن مباحثه التي لم تطبع تاريخ للفلسفة من أقدم عصورها، وكتاب في فن المناظرة ، وكتاب عن فلاسفة اليهود في الإسلام ، وقد بلغ من اشتغاله عن نفسه أنه يبذل ما يبذل من جهود في نشر آثار العلماء والفضلاء ، ولا يبذل جهداً منها في نشر آثاره ، وكلها - قياساً على مظهر منها - جدير بالنشر والتسجيل .

واسم الشيببي علم يشترك فيه نخبة من الأعلام فالشيخ جواد الشيببي ، والده رحمه الله ، عالم شاعر جليل ، والشيخ محمد باقر الشيببي ، أخوه ، كاتب شاعر أديب ماضى القلم في ميدان الأدب والسياسة . لاجرم تسرى سليقة الأدب والمعرفة في هذا الفرع الباسق من تلك اللوحة المثمرة ، ولاجرم نستقبله في مجمعنا عضواً عاملاً وعنواناً صادقاً للثقافة العربية في العراق وفي سائر الأقطار ، ونحتنى به من حيث أقبل ، لأنه على أبواب العلم جميعاً حتمين بالحفاوة والترحاب .

أبي العلاء - عن أصول اللزوميات قبل التزامها في قصائد الشاعر الحكيم . وقد عرف عن هذا العالم الفاضل أن البحث يشغله عن كل شاغل حيث حل أو ارتحل ، فما هو إلا أن نزل بالشام في بعض رحلاته حتى توفر على دراسة كتاب ابن الفوطي البغدادي مؤرخ الشرق والعراق ، واستنقذ تاريخ هذا المؤرخ الكبير من زوايا الترك والإهمال ، وقد تمكن ببحثه وتنقيبه من إحياء كثير من المخطوطات كإحصاء العلوم للفارابي ، وكتاب «الإفادات والإنشادات» من إملاء أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، و«تسمية أبطال العرب وقائليهم في الإسلام» عن كتاب مختصر تذكرة الوزير ابن حمدون . وأوجب على نفسه نشر آثار اللغة والأدب والتاريخ ، قبل أن يوجب عليه عمله في وزارة المعارف ورئاسة المجمع العلمي ببغداد .

على أن الأستاذ الشيببي يشارك في مباحث أخرى غير مباحث اللغة والأدب والتاريخ ،

كلمة حضرة العضو المحترم السيد محمد رضا الشيببي

كان على أن لا أتخلف عن المؤتمر الماضى ، ولكنها الصوارف والعوائق القاهرة . فمعدرة إلى حضراتكم ، وأرجو أن أكون عند حسن ظنكم فيما يستأنفه المجمع من هذه المؤتمرات إن شاء الله .

من بواعث اغتباطي في هذا اليوم الذي يحتفل المجمع فيه باستقبال من يستقبل من أعضائه الجدد أن يتفضل الأستاذ الكبير

يا حضرة الرئيس ،

أيها الأساتذة الأجلاء ،

أرى لزماً على . وقد غمرتموني بلطفكم الجزيل ، وظنكم الحسن الجميل في المؤتمرين السنويين ، السابق منهما واللاحق ، أن أشكر لكم هذا الصنيع والفضل الجسيم .

السيد العقاد فيلني كلمته بهذه المناسبة ، فإذا
هي كلمة كريئة كان لها أبلغ أثر في نفسى .
وغير كثير من الأستاذ هذا التشجيع ، فقد
مضى عليه زمن ليس بالقصير وهو ينشد
تعزيز هذه الرابطة الروحية الجديدة بين أبناء
الأقطار العربية ، ونحن في العراق نعقد الآمال
بالجسام على تعزيز مثل هذه الروابط المعنوية ،
ونرى من خلالها طلائع عصر جديد من
عصور التعاون والإصلاح في هذه الأقطار ،
ولهذا لا يسعنى إلا أن أشكر للسيد الأستاذ
العقاد فضله ولطفه بالخريل .

إني أسعيد حقاً بأن أشهد هذا المؤتمر في
دورة المجمع الحالية وأن أتجشم في سبيله أول
رحلة جوية بعيدة الشوط ، حاملاً إليكم تحية
عاطرة من العراق ، ولعجاباً عظيماً من أبناء
الرافدين بالأغراض النبيلة والمقاصد الجليلة
التي تأسس من أجلها مجمع فؤاد الأول . وأى
غرض أنبل من المحافظة على رواء الفصحى
وتجديد شبابها بعد أن أملت بها أدواء ، وانتابتها
أوصاب ، وداهمتها أخطار في جميع البلاد المأهولة
بالباطنيين بالفضاد ؟ والواقع أن نهضة اللغة
والأدب مثوراً ومنطوقاً من مقومات كل نهضة

شاملة ولا يستثنى من ذلك نهضتنا العربية الحديثة .

حضرات الأساتدة الأجلاء ،

للشعوب العربية في هذه المرحلة من مراحل
يقظتها مطالب ، ومن أحوج ما تحتاج إليه هذه
الشعوب ائتلاف في الأرواح وتقارب في
المشارب والأذواق وتجاوب بين العواطف
والأفكار ، وهذا مطلب جليل لا يتيسر لنا
إلا إذا جمعنا من لغة العرب جامعة أدبية
كبرى ، وإلا إذا اعتصمنا من هذه الفصحى
بحصن حصين وأوينا إلى ركن ركين . وجدير
بهذا الأدب العربي الحديث أن يرى عاملاً
فعالاً من عوامل الإنشاء والبناء ، وخلق به
أن يتغلب على غيره من العوامل المفرقة الهدامة
وهذا ما لاحظته مصر حكومة وشعباً في أجيال
متعاقبة ، وهذا ما وضعه مجمع فؤاد الأول
نصب عينيه في جيلنا الحاضر . واست بحاجة
إلى إيراد الشواهد الكثيرة ، ومتى احتاج النهار
إلى دليل ؟ فحيا الله مصر والمصريين ، وجعل
التوفيق حليف مجمعكم في الاضطلاع بالأعباء
الجسيمة والنهوض بالمهام الخطيرة التي نيظت
به إن في هذه الدورة أو في الدورات المقبلة
إن شاء الله وهو ولي التوفيق !

كلمة حضرة الدكتور منصور فهمي (كاتب سر المجمع)

في استقبال حضرة العضو المحترم الأستاذ خليل السكاكيني

سيدي الرئيس ،

سادتي الزملاء ، حضرات أعضاء المجمع ،

سادتي :

الآثار والجهود السابقة واللاحقة سيكسب المجمع إن شاء الله كسباً كبيراً .

سيدي الأستاذ الرئيس :

كان من حظي أن أكون المتحدث عن السكاكيني لصداقة ربطتني به من القديم . وإنك ياسيدي الرئيس ترعى فينا ما يشيع بين أعضاء هذا المجمع من زمالة كريمة تنسجم في بر الصداقة من مجاملات حميدة ، كما أنك تحرص كل الحرص على أن تبرز الحقائق المفيدة ودون أن يحيط بها لبس وإبهام . أما وأنا أتحدث عن صديقي السكاكيني فاسمح لي أن أتعهد الإبهام وأحيد عن خطة الوضوح وذلك لأن المختص به حذرني - وأخشي تحذيره وبأسه - من الإشارة لأي ناحية من جهوده الأدبية الضاربة في ماض بعيد ربما يستنتج منها مدى عمره المبارك المديد .

نهاني عن ذلك ، مهما يكن في الإشارة مما يبيح التعريف به ويفيد في إظهار فضله وفضائله ، وهذا الحكمة يراها وفلسفة حيوية إليه سأذكرها .

فأنا الآن حائر بين مجاملة الصديق والنزول عند رغبته وبين إبراز ما أعلم من الحقائق في إطارها الجدير بها من الوضوح والجلال ، ومن ثم سيكون الإبهام وربما أغنت الإشارة

في المجمع صفوة من المتقسين في البيان والأدب واللغة والعلم وأساليب التربية والتعليم ممن عرفوا الأستاذ خليل السكاكيني ، وقدروا نشاطه الثقافي الجهم ومساهمته في إنهاض الأدب العربي في فلسطين وغيرها . وكلهم أقدر مني على إبراز الشائق من لطائفه الأدبية واللغوية وجهوده الإصلاحية ، وكلهم كان يسره أن يبسط ما للأستاذ من جهود فكرية ومحامد تمتد في ماض بعيد مديد لمناسبة ضمه إلى زمالة المجمع في مكان خلا بوفاة المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي انتقل إلى جوار ربه وهو يشغل أعلى منصب لمعهد عظيم ، ويرى في أقدس مكانة تلحظ من ناحيتها أوفى رعاية للغة العرب .

ولعل في عمل القدر حين يحل بالمجمع من أهل القدس عالم عربي فلسطيني محل الشيخ العظيم الأكبر إشارة ربانية تبشر بأن بركة فلسطين العربية وأثرها في مجهود السكاكيني لخدمة اللغة العربية وإعلاء شأنها ستلتقي بآثار مباركة لسلف كانت آثاره وتوجيهاته وذكرياته العاطرة تملأ المجمع خيراً ونوراً . ومن تآزر

عن العبارة . فيروى والتبعة على الراوى أنه من عدة سنين ذهب الأستاذ السكاكيني ليحاضر في مدينة حيفا وهناك لقيه أهلها في حفاوة بالغة ، وكان بين مستقبله أستاذ كهل وقور فأراد أن يحيي زميلنا بأبلغ مارأى أن يحيي به أستاذاً في أدب اللغة عظيماً وضيئاً كريماً فقال : لك الله يا أستاذنا السكاكيني لقد أدخلك إلى بيوتنا بحسن مسعاك وتربيتك أساليب الإسعاد والهناء بفضل ما هذبت به النفوس وكيفت به العقول ورضت به الألسنة من ضروب الفصاحة . فطالما سمعت عاطر الثناء على فضلك وعلمك من الأدبية الجليلة المرحومة حماتي وكانت صغرى تلميذاتك ونابعتهن في دار المعلمات ، وقد انتقلت إلى جوار ربها من نحو ربع قرن مضى بين حشرات الأهل وزفرات الأحفاد . على أن زميلنا العزيز الذى بينه وبين الشيخوخة حرب وخصومة مستمرة تجعله يمقت الإشارة إليها في أى صورة ولأية مناسبة عرف كيف ينتقم من محبيه فقال له : شكراً شكراً يا أستاذوكنى ثناء ثم مال على أذن السيد المحيى هامساً قائلاً : رحم الله حماك إنها كانت تحرف . فزميلنا إذن معلم قدير للغابرين والحاضرين ومرب لحموات فضليات وفيات ، وهو من الرعيل المجاهد في خدمة اللغة والتمكين لآدابها في أجيال .

فلكم أيها السادة أن تستنتجوا إن شتم سن الزميل الجليل الذى مازال بحمد الله يرتدى الملابس الخفيفة في فصل الشتاء ولا يزيد عليها ما اعتاد الشباب أو الشيوخ أن يتدثروا به في

الجو القارس . ولكم أن تتساءلوا عن حكمة الأستاذ السكاكيني في إخفاء العمر وفي التنكر للسنين .

وهنا أيها السادة ، أعرفكم بالأستاذ الزميل عن طريق فلسفته المتأصلة في أعماق نفسه والبادية في شتى مظاهر حياته . فزميلنا يدين بفلسفة القوة في كل أمر من الأمور : ينشد القوة في الجسم وينشدها في المنطق والتفكير وينشدها في اللغة ، وعلى الجملة ينشدها في كل ما يراه أهلاً للحياة والبقاء . ولذلك ناوأ الشيخوخة وناصبها العدا ، وكره أن يخالطها أو ينتمى إليها ، أو يذكرها ، أو يذكر بها ، لأنه يكره الضعف ويقاوم كل مظهر من المظاهر يجر إلى ضرب من ضروبه ونوع من أنواعه .

فلذا نظر الأستاذ السكاكيني من خلال فلسفته إلى اللغة فإنه لا يروقه منها إلا ما اتسم بالقوة والسلامة . وإذن فقد كسب الجمع عضواً مؤمناً برسالة من يحرسون على سلامة اللغة ويعتزون بقوتها ومتانتها ويعلنون عن رفعة مكانتها بين اللغات .

لقد كتب السكاكيني كثيراً ، وحاضر كثيراً ، وعلم كثيراً ، وفي جميع ما كتبه وحاضر فيه وعلمه نلمس إكباره لمعنى القوة ودعوته لها وتبشير به

ففي كتبه الحديثة المعنونة « مطالعات في الأدب » و « فلسطين بعد الحرب الكبرى » في سنة ١٩٢٥ ، وفي كتابه المسمى « سرى »

وهو رسائل إلى ولده في سنة ١٩٣٥ ، وفي تدوينه لأهم الأصول التي تراعى في تعليم اللغة العربية في سنة ١٩٣٨ ، وفي كتابه الذي عنوانه « للذكر الك » وأودع فيه لونا من آلامه في سنة ١٩٣٩ ، وفي مجاميعه التي أطلق عليها عنوان « ماتيسر » وضمها القيم من المقالات الأدبية الرائعة والبحوث والرسائل في سنة ١٩٤٣ ، وفيها أودعه حديثاً في بطون المجالات والصحف كالمقتطف والهلل والجامعة والسفور والأهرام والسياسة وغيرها من صحف مصر والشام . أقول إننا في كل هذا المجموع الأدبي نلمح الشخصية القوية . نلمح شخصية قوية لزميلنا تبدو في جسمه ، وفي تفكيره وفي تعبيره ، وفي مسلكه ، وفي خلقه . وفي احتماله للآلام ، وصروف الزمن القاسية . فالزميل الكريم هو رجل قوى بوسع معنى القوة ، زاده الله قوة على قوة ، وفتوة على فتوة وأمد في سني عمره المبارك المديد المليء بالثمرات .

سادتي :

لو أن في الوقت متسعاً لزدت تفصيلاً في دقائق الطابع الذي تتميز به فلسفة السكاكيني حين تستنبط من كتابته والطريف الأصيل من سيرته ومسلكه . على أن زميلنا الذي ترتفع قيمة القوة في نظره . وفي لغته ، وفي كتابته وفي نشاطه ومظهره : إنما يحقق كمال القوة وجمالها عنده فيض من العواطف والصفات الكريمة ومظاهر الدعة والمرونة والبساطة واللين وعلى ذلك فهو إنسان يستريح إليه الناس جميعاً ويرغب في وده كل من يعرفه .

والأستاذ السكاكيني الذي دون كثيراً قد علم كثيراً في معاهد عدة : في معاهد المعلمين والمعلمات ، ومدرسة صلاح الدين بالقدس ، وزامله فيها الأستاذ المغربي ، وفي مدارس أنشأها على نظم مبتكرة كالمدرسة الدستورية وكلية النهضة وغير ذلك من المعاهد . وكان الزميل من أشد المكافحين من سبيل المدرسة في جميع أبناء الطوائف المختلفة في فلسطين حتى استطاع أن يجعل تعليم القرآن في مدرسته عاماً بين المسيحيين والمسلمين . فزميلنا معلم مطبوع لا يرضى عن مهنته بديلاً ، لإيمانه بأن المدرسة هي خير أداة للإصلاح ، وخير عدة لرفعة شأن البلاد . وكان مما جعله نصب عينيه أن تكون اللغة العربية في فلسطين لغة التعليم لجميع العلوم في المعاهد التي أنشأها

ولهذه المناسبة يطيب لي أن أذكر عبارة له في تقدير هذه اللغة حين كتب فقال : « لماذا يستسهل الناس لعائهم على صعوبتها ، ولا تستسهل لغتنا على سهولتها بالنسبة إلى غيرها ؟ بل لماذا كنا نستسهلها فنبيع ما الشعراء والأدباء فصرنا نستصعبها ونعبرم بها فلا ينبع منا أحد ووسائلنا اليوم تفوق وسائلنا قله ؟ إذن لابد أن تكون هناك أسباب أخرى يجب أن نعمل على إزالتها قبل أن نعمل على تيسير قواعدها وإلا فهما بالعنا في تيسيرها فلا نكفل الإقبال عليها .

« من تلك الأسباب أن أكثر طلابنا لا يحبون اللغة العربية . بل لماذا أقول إن فريقاً كبيراً منا انسلخوا عنا وانتحلوا النزعات الأجنبية تقليداً . تدخل بيوت هذا الفريق فلا تسمع

وينحطب ويتكلم بها . من يحاول إعلاء شأنها ، من يفتخر بأنها لغته ، من يتأدب بآدابها ، من يفكر على أساليبها ، من ينظر إليها نظرة تقديس فكل كلمة في لغته أجمل من كل كلمة ترادفها في لغة أخرى . إذن قبل أن نعمل على تيسير قواعد لغتنا يجب أن نجعل طلابنا عربا وأن نحسن اختيار الأستاذ . يجب أن نسأل عن شخصيته قبل أن نسأل عن معرفته . »

سيدى الرئيس . سادتى .

حسبى ما قدمت للتعريف بزميلنا الجليل وسيزيدكم عمله في الجمع وزمالاته المباركة تعريفاً بفضلته وفضائله

إلا اللغة الإنجليزية أو الفرنسية ولا ترى إلا تقليداً للإنجليز أو للفرنسيين . بل قد بلغت بهم النزعة الأجنبية أن يكتسوا على قنور موتاهم باللغة الإنجليزية أو الفرنسية إذا تعلم هذا الفريق اللغة العربية ففى كره لاعتن شهوة لها ومن تعلم شيئاً كارها استصعب السهل ، ومن تعلم شيئاً مشتياً استسهل الصعب وكان نفاذه فيه على قدر شهوته له كما قال الجاحظ . اللغة ليست معرفة وإنما اللغة حياة وتقاليد وعقائد وأخلاق ومقدسات . كل من يكتنى من اللغة العربية بمعرفة مفرداتها وتراكيبها وأحكامها وتاريخها وأدبها ليس عربياً ، وإنما صاحب اللغة من يعنى بها لنفسها . ومن يكتب

كلمة الأستاذ خليل السكاكيني

بعين الرضى فرفعتم قدرى . وإنى لكم لمن الشاكرين . وأشكر صديقى ، من أحترمه كل الاحترام وأفخر بصداقته كل الفخر : الدكتور منصور فهمى على تفضله بتقديمى إليكم . ومن حقكم أن تعرفوا هذا الداخل الغريب ، ما يومه ماقومه . ما أصله . ما فعله . ويظهر أنه لم يكن بد من أن يتطرق إلى ذكر العمر . مع أن عمرى سر لا يعلمه إلا الله . ولو عرفت أنكم تسألون عن العمر لاملتصت من نادىكم وسرت في البلاد ونزلت بالمنزل الأقصى فتفتشون عنى فلا تجدوننى . لست أدرى مادخل العمر فى مجمعكم الموقر ، ولست أدرى كيف تقيسون العمر !

إذا كنتم تقيسونه بالسنين فقد بلغت من

سيدى حصرة الرئيس الجليل ،

سادتى أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية بعد الاحترام الجزيل .

لى الشرف كل الشرف أن أكون عضواً فى مجمعكم الموقر وإن لم أكن من أكفائكم .

لى الشرف كل الشرف أن أكون أول من يمثل فلسطين العزيزة فى مجمعكم الموقر .

لى الشرف كل الشرف أن أشغل بعض الفراغ الذى تركه المرحوم مصطفى عبدالرازق وهيات أن يملأه أحد من بعده

ولكم المفضل كل الفضل أنكم نظرتم إلى

الكبر عتيا ، وسئمت تكاليف الحياة وإن لم أروّ منها . وإذا كنتم تقيسونه بالأعمال فأنا لا أزال في دور الطفولة . وإذا كنتم تقيسونه بما يلقاه المرء من الهناء والسرور فلاني أرجو ممن يهمهم الأمر أن يكتبوا على قبري بعد عمر طويل إن شاء الله : « هذا ضريح العالم العلامة والبحر الفهامة عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية خليل السكاكيني وقد مات قبل أن يولد » .

لنرجع إلى موضوعنا .

سادتي :

لم أقف موقفي هذا مكم لأعرفكم بمصطفى عبد الرازق ، فإنكم تعرفونه ، ولكنني وقفت لأقول : وأنا أيضاً ممن أسعدهم الحظ أن يعرفوه

كيف عرفته ؟

إذا أردت أن أعرف أحداً فهناك طرق كثيرة منها أن أختبره بنفسي : أقرأه إذا كتب أسمعه إذا تحدث أو خطب ، أروره في بيته ، أكل على مائدته ، أرافقه جيئة وذهوبا . وإذا تعذر ذلك فلاني أعتمد على اختيار غيري ممن خالطوه فعرفوه وكانوا موضع ثقتي . وإذا تعذر أن أعرفه بهذه الطريق أو تلك فلاني أعتمد على فراستي . وقد تكون فراستي أصدق أنباء من اختباري واختبار غيري .

إذا قلت إنني عرفت مصطفى عبد الرازق فاختباري وباختبار غيري وبفراستي . ولكن

هناك من الناس من لا يستطيع أن تعرفه في حال : تؤاكله وتشاربه ، ترافعه وتخافضه ، فإذا حسبت أنك عرفته فلا تلبث أن تشعر أنك تجهله كأنه حرف لا يقرأ ، أو كأنه الزئبق الرجراج تحاول أن تمسكه فيفر من خلال أصابعك . مثل هذا النوع من الناس لا يدخل في حسابنا ولا شأن لنا معه . فليكن كما يشاء .

متى عرفته ؟

قبل نحو ثلاثين سنة والحرب العالمية الأولى مستحرة مستمرة هبطت مصر من الصحراء ، أشعث أغبر ، وأنا في رى أهل البادية أنقص عني غبار الموت ، ولذلك قصة طويلة ليس هذا محل ذكرها . فأني على صديقي الوفي الكريم أشيل السيقلي إلا أن أكون ضيفه على الرحب والسعة . وجعل يقيم الحفلات تلو الحفلات يدعو إليها أصدقاءه الكرام وكلهم من أصحاب الكفايات العالية في العلم والأدب والفلسفة والاجتماع والسياسة مالغة مه في الحفاوة بي فكنت أسمع وأرى ما كنت أجهله وأكبره وكان أول من عرفت منهم مصطفى عبد الرازق والدكتور منصور فهمي ، فحلا من قلبي محلا رفيعاً لم يكن حل من قبل .

فيم عرفته ؟

الناس أجسام ونفوس وعقول . وإذا بطرتم وجدتم أن الأكثرين من الناس لا تتشاكل أجسامهم ونفوسهم وعقولهم . إذا ارتقى جانب الخط جانب . وقد تنه لذلك العباس ابن مرداس فقال

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسد مزير
ويعجبك الطير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطير

كان الأكثرية من الناس خلقوا من عجل
فوقع هذا التفاوت .

أما مصطفى عبد الرازق فقد رزق هذا
التشاكل في جسمه ونفسه وعقله أولاً ، وكان
من رتبة عالية في جسمه ونفسه وعقله ثانياً ،
كأنه خلق من تودة فجاء تحفة نادرة .

أما في جسمه فقد كان تام الخلق سبط القوام
لا يشتكى قصر منه ولا طول ، وافر الحظ
من الجمال والجلال . لا يمر الا اغترق الأبصار
وكان موضع الإعجاب والإكبار . وصاحب
مثل هذا الجسم حقيق أن يتمتع بشباب ناضر
دائم ولو بلغ أقصى العمر ، ولكن من تتبع
حياة مصطفى عبد الرارق وجد أنه اكتهل قبل
اكتهال ، بل انتقل من الحداثة إلى الشيخوخة
رأساً .

ولماذا ؟

لعله رأى أن أكبر زعماء عصره الذين كانوا
يترددون على مجلس أبيه منهم الإمام محمد عبده
لعله رأى أنهم شيوخ تعلق رؤوسهم عمام كأنها
تيجان ، يسود مجلسهم الوقار ، لا يبحثون إلا
في العلم والأدب والدين والفلسفة ، لا يشغل
بالهم إلا حالة أمتهم . لا يفكرون إلا في إنهاضها
وإسعادها ، لا تلوح على وجوههم إلا علام

الحزم والإخلاص ، ورأى كيف يدخلون
فيتقدم الناس ، كيف يروحون ويبحثون فتحنى
لهم الهام إجلالا وإكباراً ، فوقع كل ذلك في
نفسه موقعاً جليلاً . دار في خلده أن الشيخوخة
موضع الاحترام ومظنة الحكمة . فلماذا لا يكون
شيخاً صغيراً يلبس كما يلبس الشيوخ الكبار
ويتكلم كما يتكلمون ويمشي ويبدأ كما يمشون ؟
والتشبه بالكرام فلاح . إذن فالوداع أيها
الشباب الجميل ، ومرحباً أيها الشيخوخة
الجميلة .

ومع أنه نشأ في بيئة عالية ، ومع أنه طلب
العلم في أرقى المعاهد العلمية في أوروبا ، ومع أنه
خالط الأوربيين وعایشهم وله بينهم أصدقاء
كرام يحبهم ويحبونه ، يعجب بهم ويعجبون به
ومع أنه بعد رجوعه إلى بلاده وقد استوفى
حظه من الثقافة العربية لم تنقطع سفراته إلى
أوروبا عملاً بقول الشاعر : اغرب تنجدد ،
مع ذلك كله تمسك بشرقية . وقد كانت
شوقيته جميلة راقية .

لعله لم يمارس شيئاً من الألعاب الرياضية ،
ولا عجب فقد أدرك زمانا كان الناس فيه
يعتقدون أن اللعب مخالف للوقار ، وأنه خفة
ورعونة ، وأنه إضاعة للوقت . فلما تقدم
قليلاً في العمر عاجلته الشيخوخة . وهناك سبب
آخر يحتمل كلاماً طويلاً أقصر منه على ما يأتي :

الناس أنواع :

منهم نوع يقول : إنما الحياة لذة ، وأصحاب
هذا المذهب فريقان : حسيون وعقليون . أما

الحسيون فيحسبون الحياة زقاً وقينة، وإذا فتشتم وجدتم أن أكثر الناس حسيون في كل زمان ومكان .

من الشر وأصبحوا من أهل الخير برغم أنوفهم فإذا رأيتم أشراراً بعد اليوم فلا تقنطوا من رحمة الله .

وأما العقليون فإن أعظم اللذات عندهم المعرفة . وخير جليس عندهم الكتاب . فالفريقان متفقان في طلب اللذة ولكنهما مختلفان في طبيعة هذه اللذة . ومنهم نوع يقول : إنما الحياة مجد ، وأصحاب هذا المذهب فريقان : فريق يعرفون الخير فيعملونه فيمجدهم الناس لخيرهم وفريق لم يتفق لهم أن يعرفوا الخير . وإذا عرفوه فلمهم لم يرزقوا القدرة على احتمال المؤونة فيه ، إحدن ليس لهم إلا أن ينغمسوا في الشر ، ويطلقوا أيديهم فيه على رأى ذلك الشاعر الذى قال :

إذا أنت لم تنفع فضر

فيمجدهم الناس خوفاً من شرهم . ولكن يظهر أن أصحاب هذا المذهب يقلون شيئاً فشيئاً . إذا غاب منهم سيد لم يقيم سيد . بل قد ينتقلون من الجانب الواحد إلى الجانب الآخر . فقد عرفت كثيرين منهم كانوا يفعلون الشر وهم يعلمون أنه شر ، وكانوا مع ذلك يفتخرون بشهرهم ، فقد سمعت بأذى من يقول : اعتديت اغتصبت ، فعلت تركت ، ولا ينجل ، ثم ارتقوا قليلاً فجعلوا يدعون أن الشر قوة فإذا افتخروا فبالقوة لا بالشر . ثم رأوا الناس يتحدثون بالخير فأمسكوا عن افتخارهم بشهرهم حياء ، والحياء من علامم الخير ، وجعلوا يتكلفون الخير تكلفاً ويدعونه ادعاء اختلاساً لثقة الناس بهم ، ثم لم يلبثوا أن خلصت نفوسهم

ومنهم نوع يقول إنما الحياة واجب أصحاب هذا المذهب يحملون الدنيا على ظهورهم تظلم البصائر فينورونها . تتفرق الكلمة فيوحدونها . تفر المهم فيثيرونها . إذا رأوا اعوجاجاً قوموه ، وإذا رأوا استبداداً قاوموه . هذا الفريق من الناس هو الذى عناه الشاعر بقوله :

بهم النجاة من الأذى وعليهم
في كل فادحة تصيب معول

قد يميل أصحاب اللذة إلى المجد والواجب وقد يميل أصحاب المجد إلى اللذة والواجب . فإذا تجادبت الواحد منهم هذه الميول فصاحب اللذة يضحي بالمجد والواجب في سبيل لذته . وصاحب المجد يضحي باللذة والواجب في سبيل مجده . وصاحب الواجب يضحي بلذته ومجده بل هو على استعداد لأن يضحي بحياته في سبيل واجبه . وقد كان مصطفى عبد الرزاق من النوع الثالث وقد ضحى بشبابه بل بحياته في سبيل واجبه . وكل شيء عند مراد النفس محتقر مبذول .

أما في نفسه فكان كأنه الخليل بن أحمد الذى قيل فيه إنه صنع من مسك وذهب ، أو كأنه البحرى الذى قال : صنت نفسى عما يدنس نفسى .

أو كأنه المتنبي الذي قال :
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي
أنا الثريا وذان الشيب والمهرم

أو كأنه القاضي الجرجاني الذي نزه نفسه
عما يشينها وعن بعض ما لا يشينها . أو كأنه ذلك
الذي قال فيه الشاعر :

خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

أما في عقله فقد عرفته أولاً صاحب عقل
علمي . إذا عالج موضوعاً حقق ودقق واستقرى
واستقصى ورتب وبوب . ينكر الموجود إلا
إذا قام الدليل على وجوده ويتجاهل المعروف
إلا إذا قام الدليل على صحته ، لا يقبل الرأي إلا
مشفوعاً ببرهانه ولا يعرض الرأي إلا مشفوعاً
ببرهانه .

لو لم يسبقه الخليل بن أحمد لكان هو أول
من وضع علم العروض ، ولو لم يسبقه سيبويه
لكان هو إمام النحاة غير منازع ، ولو لم
يسبقه عبد الرحمن بن عيسى الهمداني صاحب
كتاب الألفاظ الكتابية لكان هو أول من جمع
شذور العربية الجذلة في أوراق يسيرة .

ولو لم يسبقه ابن خلدون لكان هو أول من
وضع علم الاجتماع ، ولو لم يسبقه أرسطو لكان
هو أول من وضع علم المنطق ، واوسع له في
الأجل لكشف القناع عن حقائق كثيرة مجهولة .

وعرفته ثانياً من أصحاب تلك العقول
النادرة التي تميز وتحفز : تميز بين الحق والباطل
وبين الخير والشر ، بين النافع والضار ، بين
الجميل والقبيح . وتحفز صاحبها إلى إثارة الحق
على الباطل وإثارة الخير على الشر وإثارة النافع
على الضار وإثارة الجميل على القبيح . أي
كان كسقراط لا يعتمد إلا على عقله ، ولا
ينحضع فيما يصنع أو يدع إلا لحكمه . إذا
قدر للإنسانية أن ترقى فيمثل هذه العقول على
حين ترون الناس حتى الفلاسفة ينحضعون
لإراداتهم لا لعقولهم :

يعرفون أن الظلم مرتعه وخيم ، ومع ذلك
يظلمون . يعرفون أن الحرب رديئة غالـ
بردها برداها كما قال ابن الفارض في وصف
دمشق ومع ذلك يتحاربون .

يعرفون أن الحياة تعب وألم ومع ذلك
يرغون في ازدياد ، يعرفون أن الحياة عبث
لا يشتاق إليها ولا يؤسف عليها ، ومع ذلك
يقبلون عليها كأنهم يعيشون أبداً .

لا يقع خلاف بين عقولهم وإراداتهم إلا
ألقوا عقولهم وخضعوا لإراداتهم ، وربما كانت
إراداتهم شراً .

عرفته فوق ذلك كله صاحب رسالة ،
مولا عجب فمن كان ذا جسم مثل جسمه وذا
نفس مثل نفسه وذا عقل مثل عقله بلحدير أن
يكون من حملة الرسائل وأن يقتدى به .
وأن يكثر مريدوه وأشباعه وأن يوفق في
أداء رسالته .

وماذا كانت رسالته ؟

لقد كان من الدعاة إلى الإصلاح ، وقد اقتنى في ذلك آثار من تقدموه وعاصروه من دعاة الإصلاح ، منهم الأستاذ جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده . طُلب الإصلاح فريقان : فريق يؤثر الإصلاح العاجل وطريقه إليه الثورة ، وفريق يؤثر الإصلاح البطيء وطريقته إليه المدرسة .

وقد كان مصطفى عبد الرازق من الفريق الثانى . وعندى أن الإصلاح البطيء يتغلب على الإصلاح العاجل ، وأن المدرسة ستتغلب على الثورة .

وأما آثاره وآثار من تقدموه وعاصروه من دعاة الإصلاح فما تراه كل يوم من تمشى الإصلاح فى جسم الأمة العربية جمعاء تمشى

البرء فى السقم . وسؤلنا أن تكون أسرته الكريمة على الدهر ينبوع نور يتدفق ، إذا غاب منها سيد قام سيد ، قوول لما قال الكرام فعول .

لاشك أنكم مجتمعون على إكباره والإعجاب به . ولاشك إذا أردتم أن تقدموا نموذجاً به يقتدى الإنسان الكامل أن ينعقد إجماعكم على انتخابه . ولاشك وأنتم الصفوة المختارة من أصدقائه حريصون على تخليد ذكره على طريق من الطرق التى يخلد بها الناس ذكرى عظمائهم وهمتكم عالية إن شاء الله .

نعم لقد كان من حسن حظى أنى تشرفت بمعرفته واعتزرت بصداقته ، لم أزر مصر إلا زارنى واستزارنى كأتى من ذوى قرابته ورحمه . ولكن من سوء حظى أن أجى إلى مصر أفتش فى مكانه فلا أراه .

قرارات المجمع في هذه الدورة

القرارات العلمية

(١) القياس في اللغة :

وافق المؤتمر على الأخذ بمبدأ القياس في اللغة على نحو ما أقره المجمع سلفاً من قواعد ، وجواز الاجتهاد فيها متى توفرت شروطه كما أشار إلى ذلك حضرة العضو المحترم الدكتور أحمد أمين في محاضرته « مدرسة القياس في اللغة » (١) .

(٢) توهم أصالة الحرف :

عاد المؤتمر إلى بحث موضوع « توهم أصالة الحرف » حين ألقى حضرة العضو المحترم الشيخ عبد القادر المغربي محاضرة عنوانها « الشواهد على توهم أصالة الحرف » ، ذهب فيها إلى اتخاذ « توهم الأصالة » قاعدة في الاشتقاق . وقد انتهى للمؤتمر إلى الموافقة على إحالة هذا الاقتراح إلى لجنة الأصول (١) .

(١) أُلقيت محاضرة الدكتور أحمد أمين في الجلسة التاسعة للمؤتمر (٣ من يناير سنة ١٩٤٩) ونوقشت في الجلسة نفسها . ثم ووفق على هذا القرار في الجلسة الرابعة عشرة (١٧ من يناير سنة ١٩٤٩) . انظر نص المحاضرة في هذا الجزء ص ٣٥١ وما بعدها .

(٢) أُلقي هذا البحث في الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (١٠ من يناير سنة ١٩٤٩) ، ونوقش في هذه الجلسة والجلسة التالية لها (١٥ من يناير ١٩٤٩) ، ثم ووفق على إحالته إلى لجنة الأصول في الجلسة الرابعة عشرة (١٧ من يناير ١٩٤٩) . ونص البحث في هذا الجزء ص ٣٦١ وما بعدها . راجع أيضاً ص ١٥٨ من هذا الجزء .

(٣) تعريف الكلمات العلمية :

قدم حضرة العضو المحترم الدكتور محمد شرف اقتراحاً إلى مؤتمر المجمع هذا نصه :

« تبعث اللجان المشرفة على وضع المعاجم الثلاثة إلى لجان العلوم الطبيعية والطبية بألفاظ لتحديد المراد بها طبقاً للمعارف الحديثة .

« وكثير من هذه الألفاظ يكون معرفاً تعريفاً لا يستساغ عقلاً وبعضها له معان متناقضة .

« ويحسن أن يقرر المؤتمر قراراً يميز :

(١) إهمال التعريفات غير المقبولة .

(٢) الإشارة بإهمال بعض المعاني المتناقضة»

وقد انتهى المؤتمر بعد مناقشة هذا الاقتراح

إلى إجازة حذف بعض التفسيرات التي يظهر خطؤها أو تناقضها من مواد المعجم اللغوي الوسيط ، على ألا يجاز ذلك في المعجم اللغوي الكبير ، الذي تثبت فيه النصوص القديمة مادام لها سند من تاريخ اللغة ، مضافاً إليها تعريف الكلمات تعريفاً علمياً صحيحاً (١) .

(١) الجلسة الثالثة عشرة للمؤتمر — لجنة عامة

(١٥ من يناير ١٩٤٩) ، والجلسة الرابعة عشرة

(١٧ من يناير ١٩٤٩) .

القرارات الإدارية والتنظيمية

(١) تنظيم أعمال المؤتمر :

وافق المجلس على تأليف لجنة لوضع منهاج مفصل لأعمال المؤتمر التي وافق على تجميعها مؤتمر الدورة الماضية ، من حضرة كاتب سر المجمع الدكتور منصور فهمي وحضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور إبراهيم بيومي مذكور ، والدكتور أحمد أمين ، والدكتور أحمد زكي ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والأستاذ علي الحارم (١).

وقد ناقش المجلس مقترحات اللجنة ووافق على منهاج الآتي :

أولاً - موعد انعقاد المؤتمر :

يبدأ المؤتمر دورته الخامسة عشرة في اليوم السابع من ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

ثانياً - جلسة الافتتاح .

١ - تعقد جلسة واحدة لافتتاح المؤتمر واستقبال العضوين الجديدين .

٢ - يقتصر برنامج حفلة الافتتاح على كلمات الرئيس ووزير المعارف وكاتب سر المجمع ، ويتلو ذلك كلمات استقبال العضوين الجديدين والرد عليه . فيتحدث الأستاذ عباس محمود العقاد عن الأستاذ محمد رضا الشبيبي ، والدكتور منصور فهمي عن الأستاذ خليل

(١) الجلسة الأولى للمجلس (٤) من أكتوبر

. (١٩٤٨)

السكاكيني . ويكتب إلى حضرتي العضوين الجديدين بذلك ويطلب إلى كل منهما إعداد كلمة عن سلفه في عضوية المجمع يلقيا في جلسة الافتتاح .

٣ - إذا لم يتيسر حضور أحد العضوين الجديدين زيدت في برنامج حفلة الافتتاح محاضرة في « مسئولية الأديب » يلقياها الدكتور أحمد أمين .

٤ - يقتصر في بطاقة الدعوة على صيغة توحيه الدعوة دون ذكر للبرنامج .

ثالثاً - أعمال المؤتمر :

١ - البحوث

١ - بحث تيسير قواعد الإملاء ولجنته مؤلفة من العام الماضي من حضرات : الأستاذ علي الحارم ، الشيخ محمد الخضر حسين ، الدكتور منصور فهمي ، الأستاذ زكي المهندس ، الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب (عند حضوره) ، الأستاذ ه. ا. ر. جب ، الأستاذ خليل سكاكيني .

٢ - بحث في المعجم الوسيط - وتؤلف لجنته من حضرات : الأستاذ عباس محمود العقاد ، الأستاذ علي الحارم .

الشيخ محمد الخضر حسين ،
الأستاذ خليل سكاكيني ،
الأستاذ عباس محمود العقاد ،
الشيخ محمود شلتوت .

٥ - بحث في ألفاظ الحضارة الحديثة .
وتؤلف بلخته من حضرات :

الأستاذ أحمد لطفي السيد ،
الشيخ عبد الوهاب خلاف ،
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ،
الدكتور محمد شرف ،
الدكتور إبراهيم بيومي مذكور ،
الأستاذ محمد فريد أبو حديد ،
الدكتور أحمد زكي ،
الأستاذ مصطفى نظيف .

ومهمة اللجنة أن تستعرض الألفاظ التي
أتمتها لجنة ألفاظ الحضارة وأعمال المكتب
المخصص لذلك وتبدي رأيها وملاحظاتها لهيئة
المؤتمر .

٦ - يقدم إلى أعضاء المؤتمر مجموعة من
المصطلحات العلمية المعرفة ليبدوا رأيهم فيها
في جلسة أو أكثر من جلسات المؤتمر .

ب - المحاضرات

١ - محاضرة للأستاذ ل. ماسينيون عن
« التحسينات التي أدخلت على المعاجم الأوربية
الحديثة ومدى استفادة المعاجم العربية منها » .
٢ - محاضرة للدكتور إبراهيم بيومي مذكور
عن « المنطق والنحو العربي » .

الدكتور أحمد أمين ،
الأستاذ محمد كرد علي ،
الأستاذ ه. ا. ر. جب ،
الأستاذ مصطفى نظيف .

ومهمة اللجنة المؤلفة هي الاطلاع على
المعجم وقراءة نماذج منه وإبداء الرأي فيه
وعرض المقترحات التي تراها كفيلة بإخراجه
على أحسن وجه وعرض ذلك كله على المؤتمر .

٣ - بحث في المعجم الكبير ، وتؤلف بلخته
من حضرات :

الدكتور طه حسين ،
الدكتور إبراهيم مذكور ،
الأستاذ محمد فريد أبو حديد ،
الشيخ محمد الخضر حسين ،
الشيخ إبراهيم حمروش ،
الدكتور محمد شرف ،
الأستاذ ل. ماسينيون ،
الشيخ عبد القادر المغربي ،
الأستاذ ا. ثمان .

وعمل هذه اللجنة قريب من عمل اللجنة
المؤلفة للمعجم الوسيط : قراءة النماذج وإبداء
الرأي وعرض المقترحات على المؤتمر .

٤ - بحوث في النحو العربي . وتؤلف
بلخته من حضرات .

الأستاذ علي الجارم .
الأستاذ أحمد العوامري .

٣- محاضرة للأستاذ محمد رضا الشيبى
عن « النهضة الأدبية في العراق » .

٤- محاضرة للدكتور طه حسين عن
« أهم النتائج التي انتهى إليها مؤتمر المستشرقين » .

٥- محاضرة للأستاذ خليل السكاكيني عن
« محاولات وتجارب في تفسير النحو » .

وقد ووفق على أن يتبع النظام الآتي في
مناقشة المحاضرات والبحوث .

١- تلي المحاضرة في جلسة وتوزع نسخ
منها على حضرات الأعضاء في اليوم نفسه ثم
تناقش عقب تلاوتها أو في جلسة أخرى لمن
يريد ذلك .

٢- توزع نتائج بحوث اللجان على الأعضاء
قبل الجلسة المحددة لإلقائها بوقت كاف ثم
يعرض مقرر اللجنة هذه النتائج في الجلسة
وتناقش عقب إلقائها (١) .

(٢) إحالة بحث الأستاذ ل. ماسينيون
في « المعاجم الأوربية الحديثة ومدى
ماستفيده المعاجم العربية منها » إلى لجنة
المعجم الكبير :

وافق المؤتمر على إحالة محاضرة الأستاذ
ل. ماسينيون « المعاجم الأوربية الحديثة ومدى
ماستفيده المعاجم العربية منها » إلى لجنة المعجم

(١) الجلسة الثانية والثالثة للمجلس (١١ و ٢٥
من أكتوبر سنة ١٩٤٨) .

الكبير (١) . كما ووفق على أن يكلف الأستاذ
عبد الحميد اللواخلي ، المحرر بالمجمع ،
تلخيص بحث الأستاذ J. Cantineau الذي
أشار إليه الأستاذ ل. ماسينيون في محاضرتة ،
ليكون في متناول لجنة المعجم الكبير (٢) .

(٣) إرسال بعثة إلى جزيرة العرب
وبادية سيناء والصحراء الغربية المصرية
لدراسة الشجر والنبات :

بعد أن استمع مؤتمر المجمع إلى بحث الدكتور
عبد الوهاب عزام « أسماء العشب والشجر في
بلاد العرب » وافق على ماحاء في المحاضرة من
اقترح إرسال بعثة إلى جزيرة العرب وبادية
سيناء والصحراء الغربية المصرية لدراسة الشجر
والنبات ، وأن يتعاون المجمع وجامعة فؤاد
الأول في شأن هذه البعثة ، على أن يعرض
الأمر على مكتب المجمع للنظر في تحقيق ذلك
واتخاذ الوسائل اللازمة له (٣) .

(٤) بحث للأمرير مصطفى الشهابي في
النسب إلى كلمة « كيمياء » :

ورد المجمع بحث للأمرير مصطفى الشهابي

(١) الجلسة الثانية عشرة والرابعة عشرة
للمؤتمر (١٠ و ١٧ من يناير سنة ١٩٤٩) .
وانظر نص المحاضرة في هذا الجزء من ص ٣٥٩
إلى ص ٣٦٠

(٢) الجلسة الثالثة عشرة للمؤتمر (١٥ من
يناير سنة ١٩٤٩) .

(٣) الجلسة الثالثة عشرة للمؤتمر - لجنة عامة .
(١٥ من يناير سنة ١٩٤٩) ، والجلسة الرابعة عشرة
١٧ من يناير سنة ١٩٤٩) .

(٦) اتصال المجمع بلجنة دائرة المعارف الإسلامية :

ورد المجمع كتاب من وزارة الخارجية هذا نصه :

« حضرة صاحب السعادة مراقب عام مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

« أتشرف بأن أنهي إلى علم حضرتكم أن سعادة سفير أسبانيا قد أبلغ هذه الوزارة أن الميسر Garcia Gomez المستشرق العربي المعروف قد تلقى دعوة من الأكاديمية الملكية في هولندا للسفر إلى ليدن ليشارك في وضع دائرة معارف إسلامية ، وأنه سيبدأ عمله في أول أبريل المقبل ، وأنه كذلك على استعداد لتلقي كل ما يهيم مصر من مقترحات في هذا الشأن .

« كذلك أبلغ سفير أسبانيا أن الحكومة الأسبانية على استعداد لتلقي مقترحات مصر أو رغبتها لإبلاغها إلى الأستاذ المذكور .

« رجاء التفضل بالإفادة برأي مجمع فؤاد الأول للغة العربية في هذا الصدد .

« وتفضلوا حضرتكم بقبول فائق الاحترام .
وكيل الخارجية
عنه (توقيع)

وقد عرض هذا الكتاب على المجلس (١) .
وأوضح بعض حضرات الأعضاء أن اللجنة

(١) الجلسة السابعة عشرة والثامنة عشرة للمجلس (٢٨ من مارس و ٤ من أبريل سنة ١٩٤٩) .

عضو المجمع المراسل في النسب إلى كلمة «كيمياء» عرض على مجلس المجمع فقرر إحالته إلى لجنة الأصول (١) .

وبعث سموه إلى المجمع بملاحظات على بعض المصطلحات التي نشرت في الجزء الخامس من المجلة ، طالباً إحالتها إلى اللجان المختصة لدراستها ، فوفق على ذلك (٢) .

(٥) الإفادة من عمل بعثة الجراد المصرية في الحجاز :

كتب حضرة الدكتور عبد الوهاب عزام ، عضو المجمع ووزير مصر المفوض لدى المملكة العربية السعودية . أن بعثة الجراد المصرية التي تكافح الجراد في الحجاز منذ سنين قد جمعت ضروباً كثيرة من النبات ، وسجلت معها أسماءها العربية وحفظتها في المتحف الزراعي . ورجا من حضرة الرئيس توجيه اللجان المختصة بالمجمع إلى الإفادة من هذه المجموعة في تسمية النبات .

وقد عرض اقتراح حضرة العضو المحترم الدكتور عبد الوهاب عزام على مجلس المجمع ، فوافق المجلس على إحالته إلى لجنة الأحياء والزراعة لتنفيذه (٣) .

(١) الجلسة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين للمجلس (٩ و ١٦ من مايو سنة ١٩٤٩) .

(٢) الجلسة الرابعة والعشرون للمجلس (٢٣ من مايو سنة ١٩٤٩) .

(٣) الجلسة المئمة العشرين للمجلس (١٨ من أبريل سنة ١٩٤٩) .

التي ذكرت فيه لاتقوم بوضع دائرة معارف إسلامية جديدة ، بل تعيد النظر في دائرة المعارف الإسلامية القديمة ، وتعديل ما يحتاج إلى تعديل فيها . ووافق المجلس على أن يكتب إلى كل من وزارتي الخارجية والمعارف وإلى اللجنة الدائمة لدائرة المعارف كتاب يتضمن مايلي :

١ - أنه يسر المجمع أن يتلقى من لجنة دائرة المعارف نشراتها ومناهجها في تعديل الدائرة ؛

٢ - وأن تستعين اللجنة بالهـ سين من علماء الأقطار الإسلامية في تحرير مواد الدائرة ؛

٣ - وأن يختار ممثل لمصر في لجنة التحرير الدائمة ؛

٤ - وأن تصدر الدائرة باللغة العربية بجانب اللغات الأخرى .

(٧) حكم المجمع في المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ :

قدمت لجنة الأدب قرارها في شأن المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ إلى المجلس ، وهذا نصه :

« استعرضت لجنة الأدب ما قدم إليها هذا العام من القصص والشعر والبحوث الأدبية ، ووجدت أنه لم تتوافر فيه درجة الامتياز التي تسوغ للجنة أن توصي بمنحه بالجائزة » .

وقد وافق المجلس على هذا القرار بأغلبية الآراء ، ثم وافق على القرار الآتي :

« نظراً لأن المجمع لم يتح له إنفاق الجوائز المخصصة لتشجيع الإنتاج الأدبي في إجازة شيء من الإنتاج الأدبي الحديث ، فقد قرر المجلس أن ينفق المبلغ المقدر للجوائز في إحياء كتاب أو كتابين من الأدب العربي القديم على أن يقوم حضرتا الدكتورين طه حسين وأحمد أمين باختيار هذا الكتاب أو هذين الكتابين ويعرضا اسمه أو اسميهما على المجلس في الجلسة القادمة للموافقة على الطبع والنشر عن طريق لجنة التأليف والترجمة والنشر (١) » .

ثم وافق المجلس - بناء على ما أشار به حضرتا العضوين المحترمين الدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين - على القرار الآتي :

« يصرف في نشر المؤلفين العربيين الآتيين مبلغ الثمانمائة من الجنيئات الذي لم يستحقه أحد من المتبارين في المسابقات الأدبية عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ وهذان الكتابان هما :

أ - سر صناعة الإعراب لابن جني ويقوم بالعمل الفني فيه حضرات الأساتذة إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، ومصطفى السقا .

ب - أنيس الجليس لزكريا بن المعافى ويقوم بالعمل الفني فيه حضرات الأساتذة عبد السلام محمد هارون ، والسيد أحمد صقر ، والطبيب السراج .

(١) الجلسة الحادية عشرة للمجلس (١٤ من فبراير سنة ١٩٤٩) .

١ - رأت اللجنة ألا تعقد في العام الجديد ١٩٤٩ - ١٩٥٠ مسابقات في الشعر حتى تظهر في آفاقه ألوان جديدة تستحق أن يجيزها المجمع .

ومن أجل ذلك قصرت جوائزها على البحوث الأدبية والقصة فقررت أن تقسم مبلغ الـ ٨٠٠ جنيه المرصدة لتشجيع الإنتاج الأدبي في سنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ على النحو الآتي :

١ - ٦٠٠ جنيه توزع بالتساوي بين ثلاث جوائز لبحوث أدبية عينت اللجنة موضوعاتها في إعلاناتها المعروض على المجمع مع هذه القرارات .

ب - ٢٠٠ جنيه تمنح أحسن قصة تدور حول موضوعات حددتها اللجنة في إعلانها المذكور .

٢ - وقد رأت اللجنة وفقاً للائحتها الداخلية أن تجعل مباراة البحوث الأدبية في موضوعاتها الثلاثة خاصة بأدباء وادى النيل وحدهم .

وأن تجعل مباراة القصة عامة بين أدباء العرب في وادى النيل وغيره من الأقطار .

٣ - قررت اللجنة أن يكون نص الإعلان عن مسابقات البحوث الأدبية للمصريين في سنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ مايلي :

«على أن ينحصر لحضرات الذين يقومون بالعمل في كل كتاب على حدة مبلغ مائتي جنيه وعلى أن ينحصر لطبع كل كتاب على حدة مبلغ مائتي جنيه .

«إذا لم يكف مبلغ الثمانمائة من الجنيهاً لإنجاز نشر هذين المؤلفين نظر في إكمال ذلك من الميزانيات المقبلة ، إن أمكن ذلك .

«وتقوم لجنة التأليف والترجمة والنشر بطبع هذين الكتابين .

كما ووفق على أن تطلب الإدارة إلى حضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومي مذكور الإشراف على الإجراءات المالية الخاصة بتنفيذ هذا القرار (١) .

(٨) مسابقات تشجيع الإنتاج الأدبي لسنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠

عرضت لجنة الأدب مقترحاتها في شأن المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ على المجلس ، فوافق عليها بعد مناقشة وتعديل (٢) وهذا نص القرارات كما وافق عليها المجلس :

قررت لجنة الأدب بجلسته ١٩٤٨/١٠/٢١ عرض القرارات الآتية على مجلس المجمع للموافقة عليها .

(١) الجلسة الثانية عشرة للمجلس (٢١ من فبراير سنة ١٩٤٩) .
(٢) الجلسة الثالثة للمجلس (٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٤٨) .

أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ وسيحتفظ المجمع
بسحقي الإنتاج الفائز .

وللمتسارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا
أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عناوينهم
واضحاً ويوقعوا على كل نسخة يقدمونها

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية
من سبق أن أجازاه المجمع على إنتاج له في
فرع المسابقة المتقدم إليها ، ولا أن يعاد تقديم
أى إنتاج أدبي سبق أن قدم للمجمع .

وترسل المطبوعات بعنوان « لجنة الأدب
بمجمع فؤاد الأول للغة العربية شارع قصر
العيني ١١١٠ - القاهرة .

(٤) كما قررت اللجنة أن يكون نص
الإعلان عن مسابقة القصة لأدباء العرب في
مصر وغيرها من الأقطار سنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠
مايلي .

إعلان عن مباراة مجمع فؤاد الأول للغة العربية
لأدباء العرب في وادي النيل وغيره
سنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية منح
مائتي جنيه أحسن قصة بالعربية المصحى
مخطوطة أو مطبوعة ، بشرط ألا يكون تاريخ
المطبوع منها قبل يناير سنة ١٩٤٧ ، وعلى ألا
تقل القصة المقدمة عن مائتي صفحة من القطع
المتوسط (الذي لا تقل كلمات الصفحة فيه عن
١٨٠ كلمة) ويشترط أن يكون مدار القصة
حول أحد الموضوعات الآتية .

إعلان عن مسابقات مجمع فؤاد للغة العربية
لتشجيع الإنتاج الأدبي لأدباء وادي النيل
سنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع
جوائزه لتشجيع الإنتاج الأدبي لأدباء وادي
النيل على النحو الآتي :

تخصص مائتا جنيه لكل بحث من البحوث
الآتية بشرط ألا يقل البحث عن مائتي صفحة
من القطع المتوسط (الذي لا تنقص كلمات
الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة) :

(١) أحسن تحقيق لكتاب عربي أدبي قديم
وضع على أساليب النشر الحديثة سواء أطيح أم
لم يطبع ، على ألا يكون تاريخ المطبوع منه
سابقاً ليناير سنة ١٩٤٥

(٢) أحسن دراسة لرفاعة بك الطهطاوى
أو أحمد فارس الشدياق أو محمد قدرى باشا
وأثر كل منهم في وضع المصطلحات الأدبية
أو القانونية .

(٣) أحسن بحث في نقد الشعر العربي في
الفترة التي تبدأ من النصف الثاني للقرن التاسع
عشر إلى اليوم (ولا ينقد شعر الأحياء) .

وعلى الراغبين في الحصول على هذه الجوائز
أن يرسلوا إلى المجمع نسختين مطبوعتين أو
مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع
المقدم للحصول على الجائزة في موعد لا يتجاوز

إعلان

عن مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية
لتشجيع الإنتاج الأدبي سنة ١٩٥٠-١٩٥١

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع
جوائزه لتشجيع الإنتاج الأدبي على النحو
الآتي :

أولاً : تخصص مائتا جنيه لكل فرع من
الفروع الآتية على أن يكون المتسابق من أدباء
وادي النيل وحدهم :

١ - قصة اجتماعية أو تاريخية ، جيدة
الموضوع والأسلوب باللغة العربية الفصحى ،
بحيث لا يقل عدد صفحاتها عن مائتي صفحة
من القطع المتوسط الذي لاتنقص كلمات
الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

ب - إنتاج شعري باللغة العربية الفصحى
لا يقل عن ١٠٠٠ بيت من الشعر في موضوعات
متنوعة في الاجتماع أو وصف الطبيعة أو تحليل
العواطف أو نحو ذلك .

ج - بحث مستوفي مبتكر في موضوع
لغوي أو أدبي يسير على المنهج العلمي الحديث .
وتظهر فيه شخصية الباحث ، ولا يقل عدد
صفحاته عن مائتي صفحة من القطع المتوسط
الذي لاتنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠
كلمة .

ثانياً : تخصص لأدباء وادي النيل وغيره
جائزة قدرها مائتا جنيه لمن يترجم لابن سينا
ترجمة دقيقة تصور حياته ونواحيه الفلسفية

١ - بحث مشكلة اجتماعية عربية من
مشاكل العصر الحاضر .

٢ - حياة بطل من أبطال العرب .

٣ - موقف من مواقف العرب الحاسمة
في التاريخ .

وعلى الراغبين في الحصول على هذه
الجائزة أن يرسلوا إلى المجمع نسختين مطبوعتين
أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع
المقدم للحصول على الجائزة في موعد لا يتجاوز
أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ وسيحتفظ المجمع
بنسختي الإنتاج الفائز .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا
أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عناوينهم
واضحاً ويوقعوا على كل نسخة يقدمونها .
ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية
من سبق أن أجازاه المجمع على إنتاج له في فرع
المسابقة المتقدم إليها ، ولا أن يعاد تقديم أي
إنتاج أدبي سبق أن قدم للمجمع .

وترسل الموضوعات بعنوان : « لجنة الأدب
بمجمع فؤاد الأول للغة العربية شارع قصر
العبي ١١٠ - القاهرة » .

(٩) مسابقات تشجيع الإنتاج الأدبي
لسنة ١٩٥٠ - ١٩٥١ :

وافق المجلس - في الجلسة الختامية لهذه
الدورة (١) - على مقترحات لجنة الأدب في
شأن المسابقات الأدبية لسنة ١٩٥٠ - ١٩٥١ .
وهذا نص الإعلان عنها كما أقره المجلس :

(١) الجلسة الخامسة والمشرون للمجلس (٣٠)
من مايو سنة ١٩٤٩ .

(١٠) التنويه بمجموعة شعر الأستاذ عبدالمحسن الكاظمي :

كان مجلس المجمع قد وافق في دورته الماضية (١) على تأليف لجنة فرعية من بين حضرات أعضاء لجنة الأدب لدراسة الكتب القيمة في الثقافة الأدبية العليا والتنويه بما يراه المجمع نافعا في باب من هذه الكتب ، دالا على جهد وابتكار ، على أن تكون هذه الكتب مما ظهر منذ سنة ١٩٤٤ ، وأن يعلن عن ذلك في الصحف .

وقد قدم إلى اللجنة واحد وخمسون كتاباً رغب مقدموها في أن ينوه بها المجمع ، ووافق المجلس على القرار الآتي بناء على اقتراح مقدم من لجنة الأدب :

« قرر المجمع التنويه بمجموعة شعر المرحوم الأستاذ عبد المحسن الكاظمي تقديراً لمنزلته الشعرية الرفيعة (٢) » .

وعرض اقتراح بتأليف لجان دائمة من بين أعضاء المجمع لتقصي الحركة الأدبية وإرشاد المجمع إلى ما يستحق التنويه من الآثار الأدبية التي تظهر في عالم الأدب ، فوافق المجلس على أن يكون تتبع الحركة الأدبية في العالم العربي والتنويه بأحسن الآثار الأدبية من عمل لجنة الأدب وحدها واختصاصها .

(١) الدورة الرابعة عشرة للمجلس . الجلسة السابعة عشرة (٨ من مارس ١٩٤٨) .
(٢) الجلسة الثانية عشرة للمجلس (٢١ من فبراير ١٩٤٩) .

والعلمية والأدبية في أسلوب رائع ، بحيث لا ينقص عدد الصفحات عن مائتي صفحة من القطع المتوسط الذي لا تقل كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

وعلى الراغبين في الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع أربع نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول أكتوبر سنة ١٩٥٠ .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عناواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازته المجمع على إنتاج له في فرع المسابقة المتقدم إليه ، ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبي سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة في غير المجمع ، أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية .

ويشترط في الموضوع المقدم لكل هذه المسابقات ألا يكون قد طبع قبل سنة ١٩٤٥ . وسيحتفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره . وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب . بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، شارع قصر العيني ١١٠ القاهرة

(١١) تمثيل المجمع في المؤتمر الطبي العربي التاسع عشر :

عرضت على مجلس المجمع المذكورة الآتية :

١- سبق أن وافق المجمع على ندب المرحوم الدكتور محمد شرف لتمثيل المجمع في المؤتمر الطبي العربي التاسع عشر الذي كان محدداً له المدة من ٢٣ - ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ ، ثم تأجل موعد انعقاده إلى المدة من ١٦ - ١٨ فبراير سنة ١٩٤٩ ، وقد أخطرت الجمعية الملكية الطبية بذلك في ١٧/١٠/١٩٤٨

٢- وبتاريخ ٢٣ يناير سنة ١٩٤٩ ورد من الجمعية الملكية الطبية المصرية مايفيد أن هذا المؤتمر قد تأجل انعقاده إلى أكتوبر سنة ١٩٤٩ (في عيد الأضحى) .

٣- ونظراً لوفاة العضو المنتدب لتمثيل المجمع في هذا المؤتمر ؛

« فالرجاء التفضل باتخاذ مايلزم لندب أحد حضرات أعضاء المجمع لهذا الغرض . »

وقد ووفق على أن يمثل المجمع في هذا المؤتمر حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد العوامري عضو لجنة المصطلحات الطبية (١) .

(١٢) في لجنة الاقتصاد والقانون :

في جلسة لم يشهد لها حضرة الرئيس عرض على المجلس اقتراح من حضرة الدكتور عبد الحميد بدوى هذا نصه :

(١) الجلسة الثانية والعشرون للمجلس (٩ من مايو سنة ١٩٤٩)

« لاتجتمع لجنة الاقتصاد والقانون بانتظام نظراً للظروف الخاصة لأغلبية حضرات أعضائها ذوى الثقافة القانونية .

« لذلك ترجو اللجنة ضم حضرة صاحب المعالي أحمد لطفى السيد (باشا) رئيس المجمع إليها .
إمضاء : عبد الحميد بدوى »

وقد وافق المجلس بعد نقاش على ضم حضرة الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس المجمع إلى لجنة الاقتصاد والقانون على أن تنظر اللجنة في زيادة عدد خبرائها (١) .

ثم طلب حضرة الرئيس إعفاءه من عضوية اللجنة معتبراً بأن حالته الصحية تمنعه من حضور جلساتها التي تعقد في المساء . فوافق المجلس على إعفاء حضرته من هذه العضوية (٢) .

ثم اقترحت اللجنة أن يضم إليها حضرة الشيخ إبراهيم حمروش ، فوافق المجلس على ذلك (٣) .

(١٣) ضم عضو إلى لجنة رسم الحروف العربية وآخر إلى معجم ألفاظ القرآن :

وافق المجلس على ضم حضرة الشيخ إبراهيم حمروش إلى لجنة رسم الحروف العربية ،

(١) الجلسة الأولى للمجلس (٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٨) .

(٢) الجلسة الثامنة للمجلس (٢٩ من نوفمبر سنة ١٩٤٨)

(٣) الجلسة التاسعة للمجلس (٣١ من يناير سنة ١٩٤٨) .

وحضرة الشيخ عبد الوهاب خلاف إلى لجنة معجم ألفاظ القرآن ، خلفاً للمرحوم الأستاذ على الجارم فى عضوية اللجنتين (١) .

(١٤) ضم عضو إلى لجنة الألفاظ والأساليب :

وافق المجلس على ضم حضرة العضو المحترم الأستاذ عبد الوهاب خلاف إلى لجنة الألفاظ والأساليب فى المحل الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ على الجارم (٢) .

(١٥) دعوة أحد حضرات أعضاء المؤتمر لشهود اجتماعات بعض اللجان :

وافق مجلس المجمع على مذكرة بدعوة حضرة العضو المحترم الأستاذ خليل السكاكيني عضو المؤتمر المقيم فى القاهرة ، إلى شهود جلسات لجنى اللهجات ورسم الحروف العربية فى فترة انعقاد المجلس ، للإفادة من خبرته فى اللهجات العربية ورسم الحروف العربية فى فلسطين وسوريا ولبنان (٣) .

(١٦) جزازات معجم الدكتور فيشر :

عندما ورد المجمع نعى المرحوم الدكتور أ. فيشر عضو المجمع السابق ، من زميله وصديقه الدكتور أ. شاده ، وافق المجلس على القرارات الآتية :

أولاً - أن يكتب إلى السيدة قرينة الدكتور أ. فيشر بوصول هذا النبا إلى المجمع ومشاطرتها الأسف لوفاة الفقيد .

ثانياً - أن يكتب إلى السيدة قرينة الدكتور أ. فيشر كتاب آخر فى السؤال عن بقية مواد المعجم التى استصحبها الدكتور أ. فيشر فى آخر سفرة له من مصر ورغبة المجمع فى الحصول عليها .

ثالثاً - أن يكتب إلى الأستاذ أ. شاده جواب كتابه ومشاطرته الأسف لوفاة الفقيد ورغبة المجمع فى الاستعانة به للحصول على بقية مواد المعجم التى تركها الفقيد .

رابعاً - أن يطلب إلى المراقب الإدارى للمجمع والأستاذ إسماعيل مظهر بحث كل مايتعلق بمعجم الدكتور أ. فيشر وبيان مايلزم عمله ، وعرض ذلك على المجمع (١) .

(١٧) طلب إنشاء مطبعة خاصة بالمجمع :

وافق المجلس على أن يطلب إلى وزارة المعارف إنشاء مطبعة خاصة بالمجمع ، وأن يكلف حضرة العضو المحترم الدكتور أحمد أمين السعى فى الوزارة لتنفيذ هذه الرغبة ، على أن يعد حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين مذكرة فى هذا الموضوع ترفع إلى الوزارة (٢) .

(١) الجلسة السادسة عشرة للمجلس - لجنة عامة (٢١ من مارس سنة ١٩٤٩) ، والجلسة السابعة عشرة (٢٨ من مارس سنة ١٩٤٩) .
(٢) الجلسة الثامنة عشرة للمجلس (٤ من أبريل سنة ١٩٤٩) .

١ الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٢٨ من مارس سنة ١٩٤٩) .
(٢) الجلسة التاسعة عشرة للمجلس (١١ من بريل سنة ١٩٤٩) .

(١٨) انتخاب عضوين عاملين :

أجرى الانتخاب للكرسيين اللذين خلوا في المجمع بوفاة المرحومين : الأستاذ أنطون الجميل والأستاذ علي الجارم . وقد حصل على النصاب القانوني للأصوات حضرتتا الأستاذين إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات ، وتقرر إبلاغ اسميهما إلى وزير المعارف لاستصدار المرسوم الملكي بتعيينهما عضوين في المجمع (١) .

وقرر المجلس أن يكون الأستاذ أحمد حسن الزيات خلفاً للمرحوم الأستاذ أنطون الجميل والأستاذ إبراهيم مصطفى خلفاً للمرحوم الأستاذ علي الجارم (٢) .

(١٩) طريقة الترشيح للكراسي التي تخلو بالمجمع :

لمناسبة خلو مكاني المرحومين الدكتور أ. فيشر والدكتور محمد شرف ، عرض المجلس لبحث نظام الترشيح للكراسي التي تخلو بالمجمع ، ووافق على أن يتباحث حضرة رئيس المجمع مع حضرة الدكتور عبد الحميد بلوى في هذا الموضوع ويعرضها قرارهما على مجلس المجمع (٣) . وقد عرض هذا القرار على المجلس ، فوافق عليه ، ونصه :

« يعتبر باب الترشيح مفتوحاً عند إعلان خلو المحل وتقدم الترشيحات في خلال الثلاثة الأشهر التالية ، فإذا انقضى الميعاد المذكور عرض الأمر على المجلس وللمجلس أن يقرر مباشرة الانتخاب في جلسة تالية أو إطالة أجل الترشيح فترة أخرى يحددها (١) » .

(٢٠) اختيار أعضاء مراسلين :

وافق مجلس المجمع على اختيار حضرة الأستاذ علي أصغر حكمت وزير الخارجية الإيرانية ، وحضرات الأساتذة : إيليا أبو ماضي ، وميخائيل نعيمة (من لبنان) وعادل جبيرة (من فلسطين) أعضاء مراسلين للمجمع (٢) .

(٢١) انتخاب عضو لمكتب المجمع :

أجرى الانتخاب لملء الكرسي الذي خلا في مكتب المجمع بوفاة المرحوم الأستاذ علي الجارم ، فنال حضرة الأستاذ زكي المهندس سبعة أصوات ، وحضرة الأستاذ أحمد العوامري ستة أصوات ، وأعلن حضرة الرئيس أنه سيرسل هذه النتيجة إلى حضرة وزير المعارف لاختيار أحد حضرتيهما وفقاً للمرسوم (٣) .

- (١) الجلسة الخامسة والمشرون للمجلس (٣٠) من مايو سنة ١٩٤٩ .
(٢) الجلسة المتمة المرفين للمجلس - لجنة عامة (١٨ من أبريل سنة ١٩٤٩) والجلسة الحادية والمشرون (٢ من مايو سنة ١٩٤٩) .
(٣) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٨ من مارس سنة ١٩٤٩) .

- (١) الجلسة الحادية والمشرون للمجلس (٢ من مايو سنة ١٩٤٩) .
(٢) الجلسة الخامسة والمشرون للمجلس (٣٠ من مايو سنة ١٩٤٩) .
(٣) الجلسة الرابعة والمشرون للمجلس (٢٣ من مايو سنة ١٩٤٩) .

المعجم اللغوي الوسيط

ثم قدمت لجنة التنسيق مذكرة إلى المجلس بضم حضرة الأستاذ أحمد العوامري في الحل الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ على الجارم فوافق المجلس على ذلك^(١).

ووافق المجلس على اقتراح لجنة المعجم الوسيط تأليف لجنة من حضرتي العضوين المحترمين الأستاذ زكي المهندس ، والشيخ محمد الخضر حسين ينضم إليهما الأستاذ إسماعيل مظهر لإقرار ألفاظ الحضارة الحديثة التي يمكن إدخالها في المعجم الوسيط .

هذا - وقد عرض المجلس عند نظر أسماء النباتات التي وردت في المعجم اللغوي الوسيط وتولت شرحها لجنة علوم الأحياء والزراعة ، لموضوع الأسماء العلمية الأجنبية المقابلة لهذه الأسماء العربية : هل يشار إليها عند شرح الكلمة في المعجم الوسيط ؟ ووافق المجلس على أن يوضع المقابل للإنجليزي في هامش الصفحة^(٢).

عرضت لجنة المعجم اللغوي الوسيط على المؤتمر نموذجاً منه يحتوي على قسم من حرف الكاف ؛ وأبانت أن المعجم قد تمت مادته اللغوية إلا أنه يحتاج إلى تنسيق يتناول إدماج التعريفات التي أحالتها اللجنة إلى الخبراء المختصين ، ومراجعة مواد المعجم كلها مراجعة أخيرة لتحقيق التجانس في جميع أجزائه ، وإدخال الألفاظ العلمية التي أقرها المجمع في دوراته الماضية إلى جانب ما يقره المجمع من ألفاظ الحضارة الحديثة .

وقد وافق المؤتمر على تأليف لجنة من حضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور أحمد أمين ، والأستاذ على الجارم ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد ، تنسق المعجم الوسيط وتعد العدة لطبعه ونشره بعد عرضه على المجلس على أن تستعين في عملها ببعض من اشتركوا في وضع المعجم الوسيط من خارج المجمع^(٣).

المعجم الكبير

أبداه المؤتمر من ملاحظات ، على أن يعرض على المجلس أولاً فاولاً ، ويبلغ ما يقر منه للمختصين والمشتغلين باللغة في الشرق والغرب ولا ينشر نهائياً إلا بعد أن يقره المؤتمر^(٤).

(١) الجلسة التاسعة عشرة للمجلس (١١) من أبريل سنة ١٩٤٩ .

(٢) الجلسة الحادية والعشرون للمجلس (٢) من مايو سنة ١٩٤٩ .

(٣) الجلسة التاسعة للمجلس (٣١) من يناير سنة ١٩٤٩ .

(٤) الجلسة العاشرة والرابعة عشرة للمؤتمر (٦ و ١٧ من يناير سنة ١٩٤٩) .

عرض على المؤتمر نموذج لبعض مواد حرف الهمزة من المعجم الكبير ، فناقشه حضرات الأعضاء المجتمعين من حيث طريقته وأسلوبه ومادته اللغوية ، وأبدوا ملاحظات وافقت اللجنة المشتغلة بوضعه على الأخذ بها ، ثم أصدر المؤتمر القرار الآتي :

« تتابع لجنة المعجم الكبير عملها في ضوء ما

(١) الجلستان السادسة والرابعة عشرة للمؤتمر

(٢٥) من ديسمبر سنة ١٩٤٨ و ١٥ من يناير سنة ١٩٤٩ .

دراسة اللهجات في المجمع

تقرير للجنة اللهجات ، وقرار لمؤتمر المجمع

الصوتية ومن ناحية المعنى وتدوين هذا في معاجم وأطالس لغوية .

وستتوسل اللجنة إلى غايتها بما استطاعت من وسائل فمنها :

(١) مراجعة مانشر من بحوث في اللهجات العربية المختلفة باللغة العربية واللغات الأجنبية واستخراج مايفيدها من ذلك وتصنيفه .

(٢) إعداد نشرات استفتائية لجمع كل مايمكن جمعه من بيانات عن اللهجات العربية في البلاد المختلفة .

وقد أعدت نشرة من هذه النشرات للاستفتاء في بعض الأفعال الثلاثية فأثبتت ما هو مستعمل منها مبدوءاً بحرف الباء مضبوطاً على لهجة القاهرة ليجيب أهل كل إقليم عن أسئلة معينة تبين وجوه الاتفاق والاختلاف في استعمال هذه الأفعال عندها ، ولين أهل كل إقليم ما هو مستعمل منها وما هو غير مستعمل منها عنده ويضيف إليها من الأفعال الثلاثية المبدوءة بحرف الباء ما هو مستعمل عندهم إذا كانت لاتوحد في لهجة القاهرة .

فإذا اجتمعت هذه الأجوبة مضبوطة مفسرة المعنى مضت اللجنة في إعداد طائفة أخرى من الأفعال وهكذا، ثم تمضي في المشتقات

قدمت لجنة اللهجات تقريراً عن أعمالها عرض على مؤتمر المجمع ، ونوقش مناقشة مستفيضة ، انتهى المؤتمر منها إلى الموافقة على القرار الآتي بأغلبية الآراء .

« قرر المؤتمر الموافقة على الخطة التي تقدمت بها لجنة اللهجات وتيسير الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق الأغراض التي تقدمت ببيانها في تقريرها الذي عرض على المؤتمر (٥) » .

وفيما يلي نص تقرير اللجنة :

تقرير لجنة اللهجات

بدأت اللجنة في عهدتها الأخير عملها على صوء ماقرره المؤتمر في دورة انعقاده الماضية فاتجهت إلى رسم منهج تسير عليه في دراستها وانتهت إلى تحديد أغراضها وهي تعرضها على حضراتكم لتروا فيها رأياً ، كما أنها بينت أمثلة من وسائل تحقيق هذه الأغراض وإن كانت الوسائل لايمكن تحديدها ابتداء .

والأغراض التي حددتها خمس :

أولاً - استقراء الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية من الناحية

(*) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (٨ من يناير سنة ١٩٤٩) .

على اسطوانات أو أشرطة، وقد اتخذ المؤتمر في هذا قرارات سابقة .

على أن اللجنة تلاحظ أن الوصول إلى هذه الغاية يتطلب منها الاهتمام إلى رموز صوتية كفيلة بضبط النطق بالكلمات ليكون تدوينها للهجات العربية صحيحاً وافياً . والحروف العربية في صورتها الحاضرة لا تتسع لذلك حتى أن العلماء المستشرقين الذين بدأوا بحوثهم في اللهجات العربية لم يجدوا بداً من وضع رموز صوتية مستمدة من الحروف اللاتينية يعبرون بها عن الأصوات المختلفة في اللهجات العربية . وهذه المحاولات وإن كانت مشكورة لا تكفل بلوغ الغاية المطلوبة من الدقة . ولذلك فإن اللجنة تود لو أتيح لها أن تستقر على رموز صوتية مشتقة من الحروف العربية . فإذا لم تستطع ذلك كان لا مفر لها من الأخذ بما يتيسر لها من وسائل الضبط ولو كان ذلك بتأليف طريقة من طرق شتى .

ثانياً - والغرض الثاني الذي وضعت له اللجنة هو خطوة تالية إذا ما أتمت خطوتها الأولى ، فهي ترجو أن تتاح لبعض المتخصصين في الدراسات اللغوية والصوتية فرص القيام برحلات إلى البلاد العربية وتسجيل نماذج متعددة من اللهجات الحديثة سواء أكانت لهجات محلية لإقليم من الأقاليم أو لهجات اجتماعية لطبقة من الطبقات .

وترى اللجنة أن هذا يفتح لها ميداناً فسيحاً للبحث في طرق تطور اللغة وتأثيرها بالبيئة الجغرافية والمظاهر الاجتماعية .

والأسماء الجارمة على هذا النحو وتقرن ذلك بنشرات أخرى عن العبارات المستعملة لتستقرى الفروق في الأساليب .

وقد رأت اللجنة أن تتخذ لهجة القاهرة مقياساً لأن أكثر أعضائها الدائمين من أهل القاهرة .

(٣) والوسيلة الثالثة تكوين جمعيات صغيرة من الجاليات العربية ممن وصلوا إلى القطر المصري ، فتنقل اللجنة عن هؤلاء وتستقرى منهم ما يمكن نقله واستقراؤه مما يحقق أغراضها فتعرض عليهم مثلاً نصاً من اللغة الفصحى يقرؤه كل منهم بصوت مسموع فتدون ملاحظاتها على الاختلافات الصوتية بما في ذلك النبر ، ثم يختار نص آخر من اللغة العامية القاهرية ويطلب إلى كل جالية ترجمة ذلك النص بلهجتها العامية .

وهذا يبين اللجنة مدى الاختلاف في المفردات من ناحية اللفظ والدلالة ومن ناحية التركيب والأسلوب . وقد تطلب من الفرد أن يحدّثها بلهجته العامية حديثاً مألوفاً في بيئته لتتضح لها الفروق السابقة والخصائص اللغوية لهذه اللهجة .

واللجنة مع علمها بقصور هذا الاستقراء ترى البدء به ليستأنس به في الاستقراء العلمي الصحيح الذي لا يكمل إلا بانتقال بعض الباحثين المتخصصين إلى البلاد العربية المختلفة والاختلاط بعوام شعوبها . ولا يستغنى في هذا الاستقراء عن تسجيل نماذج من عملها

ثالثاً - فإذا فرغت اللجنة من تحصيل قدر صالح من المفردات المستعملة في الأقاليم والطبقات المختلفة وحصلت على النماذج الصوتية الكافية عمدت إلى دراسة مقارنة لتبين المظاهر الصوتية لكل قطر من الأقطار العربية، وهذه الدراسة تساعد على استجلاء العلاقة بين اللهجات العربية الحديثة واللهجات العربية القديمة وطريقة انتقال الأصوات من مجهورة إلى مهموسة أو العكس وطريقة انتقال الأصوات من شديدة إلى رخوة وغير ذلك مما تناوله القوانين الصوتية .

وقد يكون في استطاعتها عند ذلك أن تجمع ما يصلح للبدء في أطالس لغوية تبين في وضوح تطور الأصوات واختلاف الألفاظ والمعاني في مختلف الأقاليم وتحدد مواضع اللهجات المختلفة ، فتلقى ضوءاً جديداً على تاريخ المفردات وترشدنا إلى بحوث أخرى في اللغة ولهجاتها على السواء وترسم لنا حدود كل لهجة من اللهجات ومناطق نفوذها، وقد تهدينا تلك الأطالس إلى حقائق تاريخية واجتماعية شتى ذات أثر عظيم في كشف الحقائق اللغوية .

رابعاً - والغرض الرابع الذي وضعته اللجنة يقصد به المساعدة على بلوغ الغرض الثالث الذي سبق ذكره . وذلك هو استقرار الروايات التي وردت عن اللهجات العربية القديمة في كتب اللغة والأدب والنحو والتاريخ .

وقد بدأت اللجنة هذا الاستقرار فوجهت عنايتها إلى مصدر من أكبر مصادر اللغة العربية وهو لسان العرب لتستخرج منه الروايات

المنسوبة إلى القبائل المختلفة أو الألفاظ التي استعملت في المناطق المتباعدة في شعر الشعراء أو الأمثال أو النصوص التي أوردتها الرواة وهي حين تفرغ من هذا البحث وتبويه تتقدم به إلى المجمع ليرى رأيه فيه . وستتبع مثل هذا في أمهات الكتب العربية . وهذه الدراسة تفيد دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها فائدة كبرى .

خامساً - وإلى جانب مثل هذا البحث ترى اللجنة أن تستعين في دراستها بالأساتذة المتخصصين في التاريخ الإسلامي لبحث تنقل القبائل وجلاء ما يحيط به من الغموض . فإن دراسة تنقل القبائل العربية في العصور المختلفة ذات أثر كبير في لهجات الأقاليم وتطورها واختلافها لما ينشأ من مثل هذه التنقلات من صراع لغوي بين عناصر شتى تتجه باللهجات في مسایل شتى .

هذا هو المنهج المبدئي الذي وضعته اللجنة نعرضه على حضراتكم لثروا فيمراًياً ، وهو بغير شك عرضة للكثير من التحوير والتغيير كلما أوغلت اللجنة في بحوثها .

على أنه يتطلب توفير مساعدات شتى بعضها يحتاج إلى تدبير المال . فقد يحتاج البحث إلى شراء الكتب أو الاسطوانات ، بل لقد يحتاج إلى تدبير بعض الآلات الحديثة في تسجيل الأصوات ودراستها . وقد ينتهي الأمر إلى الحاجة إلى إيفاد البعث إلى الأقطار الأخرى كما سبقت الإشارة فيما قدمناه .

استفتاء في بعض الأفعال الثلاثية في العامية القاهرية

(باب الباء)

تراجع الأفعال الثلاثية العامية في لهجة القاهرة المرسله إليكم ويحاج عن الأسئلة الآتية وترسل الإجابة باسم سكرتارية لجنة اللهجات :

(١) هل هي مستعملة في لغتكم العامية للدلالة على المعاني التي تدل عليها في اللهجة القاهرية ؟
ولا فاما هو المعنى الآخر الذي تدل عليه في لغتكم العامية ؟

(٢) هل يتفق ضبطها في لغتكم العامية مع ضبطها في العامية القاهرية أو يختلف عنه ؟ وما هو الاختلاف إن وجد ؟

(٣) هل في لغتكم العامية أفعال ثلاثية غير هذه أولها حرف الباء ؟ وما ضبطها وما معناها إن وجدت ؟

(٤) أي هذه الأفعال غير معروف في لغتكم العامية ؟

...

باب الباء

في اللغة العامية القاهرية .

- | | |
|--|-----------------------|
| (تضي الليلة) | × (١) بَاتْ - يَبَاتْ |
| (يقال باح بالسر إذا افشاء) . | × (٢) بَاخْ - يَبُوحْ |
| (يقال مثلاً للقول إذا تكرروا أمل إنه باخ ، وكذلك لما لاطم له من الطعام ويستعمل أحياناً للدلالة على السهجة أو الابتذال) . | × (٣) بَاخْ - يَبُوحْ |
| (يستعمل للتجارة إذا كسبت أو الأرض إذا لم تفلح وتررع ويستعمل أحياناً للفتاة التي لم تزوج وظلت أوان زواجها) . | × (٤) بَارْ - يَبُورْ |

(قبّل)	× (٥) بَاسْ - يَبُوسْ
(يستعمل مثلاً للسكر إذا ذاب في الماء أو الطين إذا أصابه الماء).	× (٦) بَاشْ - يَبُوشْ
(باضت الدجاجة)	× (٧) بَاضْ - يَبِيضْ
(باز الشيء إذا فسد وكذلك النظام إذا اضطرب).	+ (٨) بَاطْ - يَبُوطْ
(باع الرجل قطنه في السوق)	× (٩) بَاعْ - يَبِيعْ
(ظهّر)	= (١٠) بَانَ - يَبَانْ
(بث في الأمر)	× (١١) بَثَ - يَبِثْ
(يقال لمن ساء أدبه ولم ينجل).	= (١٢) بُجِعْ - يَبْجَعْ (بَجَّع)
(بحث عن الشيء فوجده).	× (١٣) بَحَثَ - يَبْحَثْ
(بحيت صوتي من الصباح إذا عجزت عن النطق من أثر الصباح).	= (١٤) بَحَ - يَبِيعْ
(بجست قيمة الشيء إذا قللتها).	= (١٥) بَخَسَ - يَبْخِسْ
(شح).	× (١٦) بَخِلَ - يَبْخَلْ
(بدأ).	+ (١٧) بَدَأَ - يَبْدَى
(بدر القمح في الحقل مثلاً).	= (١٨) بَدَرَ - يَبْدُرْ
(بدلت الشيء إذا غيرته فصار غير ما كان أو أحللت غيره محله).	= (١٩) بَدَّلَ - يَبْدِلْ
(برى القلم).	× (٢٠) بَرَى - يَبْرَى
(أحسن البرد).	× (٢١) بَرِدَ - يَبْرُدْ
(حكاه بالمرد).	× (٢٢) بَرَدَ - يَبْرُدْ
(يستعمل في بر الناس وأحياناً في مثل قولنا على سبيل السخرية هو يبر نفسه بهذا الطعام ويقصد بذلك أنه معتاد التقتير على نفسه في الطعام وأنه ينتهز فرصة هذا الطعام ليعوض ماصاع منه من قمل).	× (٢٣) بَرَّ - يَبِيرْ
(جلس جلسة مبتدلة على الأرض)	+ (٢٤) بَرَثَ - يَبْرُثْ
(برع في شيء أي نبغ)	× (٢٥) بَرَعَ - يَبْرَعْ
(وينطق «برأ» لمع يقال للقرش الحديد إنه يبرق).	× (٢٦) بَرَقَ - يَبْرِقْ
(برك على الأرض للحمل مثلاً).	= (٢٧) بَرَكَ - يَبْرِكْ
(قتل).	× (٢٨) بَرَمَ - يَبْرُمْ

- (بصق) . = (٢٩) بَزَأَ - يَبْزُؤُ
- (نقول هو لاير بالقرش لبخله أى لايصرفه) . = (٣٠) بَزْ - يَبْزُ
- (بسطه أى متعه وسره) . = (٣١) بَسَطَ - يَبْسُطُ
- (ضحك ضحكاً خفيفاً لإظهار الرضى مثلاً) . × (٣٢) بَسَمَ - يَبْسِمُ
- (بس الرقاق فى اللبن مثلاً) . = (٣٣) بَسَّ - يَبْسُ
- (بشر النارج مثلاً إذا حكه لإزالة الزيت من قشره وبشر جوز الهند إذا حته دقيقاً) . × (٣٤) بَشَرَ - يَبْشُرُ
- (بشم الحيوان إذا أطمعه كثيراً بطعام غليظ أفسد بطنه) . = (٣٥) بَشَمَ - يَبْشِمُ
- (إذا أراد إنسان أن يحمل قول آخر للدلالة على أنه كان يتكلم هراء كنى عن ذلك بقوله «لأنه استمر يقول أبصر وما ادرك») . = (٣٦) بَصَرَ - يَبْصُرُ
- (نظر أو التفت يقال «بص له») . = (٣٧) بَصَّ - يَبْصُ
- (بصم بإصبعه على الخطاب إذا طبع علامة بطرف إصبعه بدل التوقيع باسمه) . = (٣٨) بَصَمَ - يَبْصِمُ
- (أبطأ) . = (٣٩) بَطَأَ - يَبْطِئُ
- (شج رأس شخص وفى الجبين خاصة) . = (٤٠) بَطَّحَ - يَبْطَحُ
- (بطر إذا اصابته نعمة فلم يشكرها) . × (٤١) بَطِرَ - يَبْطِرُ
- (إذا خذل إنسان آخر فى عمل كان مقبلاً عليه فى حماسة قيل إنه «بطه» ويقال للتخذيل والتحقير «انبط يا شيخ») + (٤٢) بَطَّ - يَبْطُ
- (يقال إن المرأة «تببط» الرغيف إذا سطحته بعد العجن وفى المثل «اللى يحمرته يبططه» ويقصد بذلك من يفعل الشيء ثم يأتى عليه فيفسده) . + (٤٣) بَطَّطَ
- (إذا أغفلت عادة كانت متبعة قيل إنها «بطلت» وكذلك يستعمل للشخص إذا تعب فيقال إنه بطل) . × (٤٤) بَطِلَ - يَبْطُلُ
- (يقال هو يبطن الشر لفلان) . = (٤٥) بَطَّنَ - يَبْطِنُ
- («بعت برسالة إلى صاحبه» ويستعمل متعدياً فيقال «بعت جواب لصاحبه») . = (٤٦) بَعَّتْ - يَبْعَتُ
- («بعد الشيء» ويقال «بعدت» الشيء إذا أبعدته) . × (٤٧) بَعِدَ - يَبْعَدُ
- (كره) . × (٤٨) بَغَضَ - يَبْغُضُ
- (وتنطق بآ يباى) (أى بقى) . × (٤٩) بَقَا - يَبْقَى

× (٥١) بَكَى - يَبْكِي	(بكى الطفل ويستعمل المضارع متعدياً فيقال مثلاً يبكي منظره .
+ (٥١) بَلَصَ - يَبْلِصُ	(بلص فلاناً أعطاه رشوة) .
× (٥٢) بَلَعَ - يَبْلَعُ	(بلع الشيء في جوفه ويستعمل مجاراً في مثل قولنا بلعت له كثيراً إذا تحملت منه الأذى صابراً) .
× (٥٣) بَلَّغَ - يَبْلُغُ	(بَلغى كذا ويستعمل المكسور العين في قولنا بلغ الصبي إذا صار فتى) .
+ (٥٤) بَلَفَ - يَبْلِفُ	(خدع) .
= (٥٥) بَلَّ - يَبِلُّ	(بل الشيء بالماء ويقال أيضاً «بل سكر» إذا أذاب السكر فصنع منه شراباً)
= (٥٦) بَلَا - يَبْلِي	(أى يصيب فيقال في الدعاء مثلاً «الله لا يبليك بكيت»
× (٥٧) بَنَّا - يَبْنِي	(بنى البيت) .
= (٥٨) بَهَتَ - يَبْهَتُ	(بهت لون الثوب إذا حال من أثر الشمس أو من الغسل)
= (٥٩) بَهَرَ - يَبْهَرُ	(بهره المنظر أى خلّب له) .

ملاحظات

- (١) من هذه الأفعال الثلاثية (٢٩) فعلاً صحيحة الضبط فيما عدا كسر حرف المضارعة ومعانيها مطابقة للمعاني العربية القاموسية وقد علم أمامها بعلامة (×) .
- (٢) من هذه الأفعال (٢٤) فعلاً محرفة في حركة مضارعها أو بتغيير حرف من حروفها ومنها ما هو مستعمل في معنى مخالف للمعنى الأصلي القاموسى وقد أشير إليها بعلامة (=) .
- (٣) من هذه الأفعال (٧) أفعال ليس لها أصل في العربية القاموسية وقد أشير إليها بعلامة (+) .

مصطلحات طبية معرفة أقرها مؤتمر المجمع (١)

Aqueductus	قناة - مجرى
Astigmatism	اللانقطية (اللا استجمية)
	« هي حالة الصر حين لا تكون سطوح طبقات العين سطوحاً كرية » .
Auricula, Auricle	أذينة - أذننا القلب
Cardiac Auricles	أذنا القلب :
	« تجويفان علويان يتلقيان الدم من الأوردة الرئيسية فيصبانه في الشطينين » .
Axilla	الإبط
	« باطن المنكب في الإنسان والدواب وباطن الجناح في الطير » .
Blanching	ايضااض - تبيض - قصر
	« زوال اللون من الشيء أو إزالته حتى يبيض » .
Commotion	صدمة - ارتجاج
Concussion	ارتجاج مخي
	« اختلال في وظائف المخ من ضربة على الرأس أو هزة عنيفة، يتميز بغثيان ودوار يعقبهما سُبُبات مع بطء في التنفس وصمم في النبض، ولا يستلزم وجود تغيرات عضوية في المخ وهو قابل للشفاء » .
Deglutition	الابتلاع
	« دخول شيء كالأطعام أو الشراب من الفم إلى البلعوم فالمرء فالعدة » .
Dilatation	(١) تمدد - تمديد . (٢) اتساع - توسيع
	« هو اتساع تجويف أو قناة أو فتحة اتساعاً مرضياً أو عملياً » .
Drop foot	استرخاء القدم
	« شلل في عضلات الساق الأمامية ينشأ عنه استرخاء » .

(١) عرضت هذه المصطلحات على مؤتمر المجمع في الدورة الخامسة عشرة (١٩٤٨ - ١٩٤٩) .

Drop wrist	استرخاء اليد
	« شال في عضلات اليد ينشأ عنه استرخاء » .
Focus of a lens	بؤرة العدسة
	« لمتى الأشعة المتوازية أو امتداداتها بعد نفوذها من العدسة » .
Inferior	تحتاني
	« ما كان تحت غيره » .
	ويقاله :
Superior	فوقاني
	« ما كان فوق غيره » .

النحو

لحضرة العضو المحترم الأستاذ خليل السكاكيني *

من الإعراب ، وإذا أرادوا أن يقولوا فات
الشيء قالوا أصبح في خبر كان، وإذا أرادوا أن
يقولوا: وغير ذلك قالوا : وهلم جرا أو وقس
عليه ما ورد . وقوانين النحو كانت في أصلها
قليلة على قدر ما دعت إليه الحاجة في إقامة الملكة .
ثم توسعوا في الاستنباط إلى ما تقتضيه الصناعة
لا الحاجة . ثم خرجوا بها إلى مما حركات لا طائل
تحتها ، مما أوشك به علم النحو بعد نضجه
أن يحترق .

* * *

إن العناية بقوانين اللغة مذهب قديم أخذه
المتأخرون عن المتقدمين على سبيل التقليد أو
العدوى ، فالعرب أخذوه عن السريان والإفرنج
نسجوا على منوال اللغتين اليونانية واللاتينية ،
واقترضوا اصطلاحاتها . فهي لا تزال غريبة
عن لغاتهم إلى اليوم ، ولا يفهمها تلميذهم إلا
إذا ترجمت إلى لغته ، بل لا يزال في أحكام
اللغات الإفرنجية الحديثة ما لا ينطبق عليها مثل
حالات الاسم بين أن يكون مسنداً إليه
Nominative أو مضافاً إليه أو مجروراً
Possessive أو مفعولاً به Objective
أو منادى Vocative وليس عندهم علامات
إعرابية لتلك الحالات ولا يتغير في بعض هذه
الحالات إلا الضمير . ومن العجب أنهم يسمون
الحالة الأولى في الإنكليزية رفعاً Upright

ما النحو ؟ هو فن الإعراب والبناء .
وما فائدته ؟ قال النحاة : فائدته التحرر من
الخطأ وقال ابن الوردى :
"بجمل المنطق بالنحو فن
يحرم الإعراب بالنطق اختبل"

أى أن فائدته ليست في نفسه بل في تجميل
المنطق والتحرر من الخطأ ، وبعبارة أخرى
في إقامة ملكة العربية . ولكنهم تدرجوا فيه
من العناية به إلى التخصص فيه إلى اعتباره
غاية . فخصصوا له مدارس لا يعلم فيها غيره
منها المدرسة النحوية في جوار المسجد الأقصى
في القدس . بل كان هو الغاية من كل
دروس اللغة والأدب . وما من كتاب أو شعر
أو مثل أو حديث شرحوه إلا عنوا بإعرابه
وتطبيقه على قوانين النحو . بل ما من كتاب
في اللغة أو الشعر أو الأدب أو الأخبار أو
التفسير أو غير ذلك حتى مما لا علاقة له باللغة
إلا وفيه نحو . بل قد نجد من دقائق النحو في
غير كتب النحو ما لا يجده في أمهات كتبه .
وما من علم شاعت اصطلاحاته وشواهده
على ألسنة الناس حتى الأميين منهم مثل علم
النحو . من ذلك أنهم إذا أرادوا أن يقولوا
ليس إلى هذا الشيء حاجة قالوا : لا محل له

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثالثة للمؤتمر
(١٣ من ديسمبر سنة ١٩٤٨) .

وماسواها خفضاً Falling حسب اصطلاح العرب . بل إن مصيبة الإفرنج أعظم فإن الأديب عندهم لا يعول على أدبه إلا إذا درس مع لغته اللغتين اللاتينية واليونانية ، يتعلم ثلاث لغات ليكون أديباً في واحدة .

ماكان أغنى المتأخرين من عرب وإفرنج عن تقليد المتقدمين من سريان وكلدان ولاتين ويونان في التعلق بهذه القوانين على غير حاجة إليها . وماكان أحراهم إذا أرادوا إقامة ملكاتهم أن يقتبسوا عن أسلوب آخر .

مد بضع سنوات أذاعت وزارة المعارف المصرية التحليلة تقريراً قالت فيه :

« بما أن الوزارة سبق لها أن عملت على تبسيط قواعد النحو والصرف والبلاغة فيما أخرجت من كتب وكان لهذا العمل نتيجة مرضية ، وبما أن هذه الخطوة التي خطتها الوزارة في الماضي لم تكن كافية إذ أنه لوحظ أن صعوبة قواعد النحو والصرف والبلاغة لاتزال قائمة . وأن المعلمين والمتعلمين يبذلون جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً في تعليمها وتعلمها ولا يصلون بعد هذا كله إلى نتائج تتفق مع ما يصرف من زمن وجهد ؛

لذلك نرى تشكيل لجنة مهمتها البحث في تبسيط قواعد النحو والصرف وأن تقدم اقتراحها في هذا الشأن مبينة مشروع التبسيط الجديد والأسس التي يقوم عليها . »

هذه هي المرة الثانية التي تدعو فيها الوزارة التحليلة إلى تبسيط القواعد ولتسمح لى الوزارة

التحليلة أن أقول إنها ستجد بعد حين أن هذه القواعد الميسرة عسيرة فيجب تبسيطها ثم تجد بعد حين أنها لاتزال عسيرة فيجب تبسيطها وقد يكون في التبسيط مايزيدها تعسيراً . ولذلك أرجو أن أعرض رأياً آخر ، وهو أن نلغى القواعد بجملتها . وليس هذا الرأي جديداً ، فإن لتعليم القواعد ثلاثة أساليب :

١ - الأندلسي وهو الأسلوب الذي يجمع بين القواعد والشواهد .

٢ - الأسلوب المغربي وهو الأسلوب الذي يقتصر على القواعد دون الشواهد وقد قال ابن خلدون في هذا الأسلوب :

« إن العلم بقواعد الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل ، وليس هو نفس العمل . ولذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين بتلك القواعد إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذى مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصدوه أخطأ فيهما الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي »

ويفهم من هذا أن هذا الأسلوب لا أثر له في إحسان الملكة بل قد يفسدها ، ولا شك أن كثيرين من الأساتذة رأوا من آثار هذا الأسلوب ما يؤيد ما قاله ابن خلدون .

٣ - الأسلوب الخلدوني . وهو الأسلوب الذي يقتصر على الشواهد دون القواعد .

المغربى إن صناعة العربية أصبحت من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل . ولكن رياضة العقل فيما لا تدعو إليه الحاجة لإسراف في غير محله .

فأنتم ترون أن الاستغناء عن القواعد بجملتها ليس رأياً جديداً ويظهر أن هناك نزعة حتى في اللغات الغربية إلى هذا الأسلوب .

خلفوا اللغة الإنكليزية مثلاً فإن هناك ثلاثة أساليب في تعليمها :

الأول - أن تعلم اللغة الإنكليزية على أصول اللغة اللاتينية على حين أن اللغة الإنكليزية شيء ، وأن اللغة اللاتينية شيء آخر .

الثاني - أن تعلم اللغة الإنكليزية على أصول تقتضيها اللغة الإنكليزية نفسها لا اللغة اللاتينية .

الثالث - أن تعلم اللغة الإنكليزية بدون قواعد .

وقد أثبت الاختبار في أميركا أن الطلاب الذين يتعلمون اللغة بدون قواعد أصبح ملكة من الطلاب الذين يتعلمون القواعد .

• • •

كم نبغ في اللغة العربية قبل وضع علم النحو من الشعراء والخطباء ومنهم من لم يعرف القراءة والكتابة مثل المثلثس والفرزدق وذى الرمة وغيرهم ، وهم هم الذين من أقوالهم استخراج النحاة أحكام النحو وبأقوالهم لا يزالون يحتاجون .

أى يسار فيه من الشاهد إلى الاستعمال فيقاس الكلام بعضه على بعض لاعلى أحكام مجردة . تقول قال الرجل بالضم قياساً على قال النبی ، قال الأحنف ، قال المهلب : وتقول النهار جميل برفع الاثنين قياساً على قولهم : العلم زين . والصدق عز . والكذب خضوع . والخير عادة . والشر لحاجة . وإذا أخطأ الطالب أرشدناه أو قلنا لرفاقه : أرشدوا أخاكم فقد ضل . وعلى الحملة نعلم اللغة الصحيحة كما نعلم الطفل لغة أمه . فهو يسمعها ، ثم يألّفها ثم يفهمها ، ثم يستعملها بدون أن تعلمه أمه قوانين اللغة ، وبدون أن تفسر له ألفاظها أو ترجمها . قد يخل بالأسلوب في أول أمره ، كما قد يسيء التلفظ ببعض حروفه ، ولكنه لا يلبث أن يهتدى إلى الصواب بحكم التقليد وبضرورة أن يكون مفهوماً ، بل كما يتعلم الطفل ابتسامات أمه وحركاتها وإشاراتها ، وكما يتعلم أن يلبس وأن يمشى وأن يغنى إلى غير ذلك مما يأخذه بالتقليد والتمرّن . وهذه نفس الطريقة التى بها يتعلم كل أجنبي لغة أمه ، فهو يحسن ملكتها قبل أن يعرف شيئاً من أحكامها . وفى اللغات الأجنبية ما هى أصعب من اللغة العربية كثيراً مثل اللغة الألمانية واللغة الروسية فإن فيهما من التصاريّف وتعدد الحالات على الاسم والشذوذ ما لا يذكر بجانبه ما فى اللغة العربية منه . وإذا تعلم الأجنبي قوانين لغته فليس عن حاجة إليها ، ولكنه إنما يتعلمها تبعاً للعادة أو لما قد يكون فى درس هذه القوانين من ترويض للعقل . ولذلك سمي النحو فى اللغات الإفرنجية : منطق اللغة أو إقليدس اللغة . وقد قال ابن خلدون فى كلامه عن الأسلوب

وكم نبغ فيها من الشعراء والأدباء بعد وضع علم النحو من قديم الزمان إلى اليوم من لم يكونوا يحسنون إعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المنخفض ، ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية ، وبينهم من لم يكونوا في أول نشأتهم من أهل الأدب ، فهم من كان خرافاً ومنهم من كان رفاء ، ومنهم من كان سقاء ، ومنهم من كان أجير عطار ، ومنهم من كان دلال بطيخ ، ومنهم من كان بزازاً ، ومنهم من كان من أجلاف البادية أو صعاليك العرب وهم كثر .

وكم نبغ في اللغات الأخرى القديمة والحديثة من لم يتعلموا شيئاً من القواعد فهذا أفلاطون رب البلاغة لم يكن يعرف من قواعد اللغة اليونانية شيئاً . وهذا شكسبير معجزة الدهر لم يكن يعرف من قواعد اللغة الإنكليزية شيئاً .

ومن الذين جروا على هذه الطريقة في عصرنا هذا الذي كدنا نصبح فيه غرباء عن اللغة العربية محمود سامي البارودي الذي قيل فيه إنه متنبى عصره . فقد كان من أولئك الذين تعلموا على الأسلوب الخلدوني ومثله كثيرون . بل لعسل أكثر الذين يحسنون الملكة من كتابنا وأدبائنا وشعرائنا لا يحسنون الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المنخفض وقد لوحظ أن الذين يشتغلون بتمثيل الروايات الموضوعية باللغة العربية الصحيحة قد أصبح الإعراب فيهم ملكة مع أن أكثرهم أميون .

إذا أردنا إقامة الملكة العربية بدون أن

نتعلم القواعد فماذا نعمل ؟ الجواب يحتمل كلاماً كثيراً لا تكفي فيه محاضرة أو محاضرتان أو أكثر وغاية ما أرجوه أن تعيروه جانب اهتمامكم . لا أكلفكم أن تتعجلوا في قبوله . ولكن أرجو أن لاتتعجلوا في رفضه .

١ - أن تكون اللغة العربية الصحيحة لغة التعليم .

إذا كانت كذلك فهي لا تنحصر في مكان لا تتعداه من حلول الدروس . ولكنها تدخل في كل درس ولا ينفرد بها أستاذ دون آخر ولكن يشترك فيها جميع الأساتذة . فكل درس مهما كان موضوعه لا يمكن أن يجرى عن أن يكون درساً في اللغة ، وكل أستاذ مهما كان موضوعه لا يمكن إلا أن يكون أستاذاً للغة ، وبعبارة أخرى كل أستاذ مسئول عن اللغة . ولذلك يجب أن يكون الأستاذ مهذب اللغة عارفاً بتركيبتها . لا يستعمل فعلاً في محل فعل آخر ، أو حرف جر في محل حرف آخر . ولا يسكن المتحرك أو يحرك الساكن . ولا يتوكأ على اللغة العامية في حال . فإن الطالب أسرع إلى تقليد لغة أستاذه منه إلى تقليد لغة كتابه . لأن اللغة تؤخذ عن طريق السماع والاستعمال أكثر مما تؤخذ عن طريق آخر . وإلا فكيف تصح ملكة الطلاب في اللغة إذا كان الأستاذ الواحد يحاول جهده لإصلاحها على حين أن غيره لا يبالي أن يمسدها ؟

٢ - أن تكون اللغة العربية الصحيحة لغة التخاطب إذ كانت أحسن الطرق لاكتساب ملكة اللغة هي مشافهة أهلها أو معاشتهم

وإذا لم يكن هذا العصر عصر فصاحة فلا بد أن يمثل الأستاذ بنفسه الأمة العربية في عهد فصاحتها . ليس شيء أضر باللغة وأدعى لفساد الملكة من الأستاذ العبي الذي يعلم قوانين اللغة وأصول الفصاحة والبلاغة وهو عامي اللفظ يرمى الكلام على عواهنه .

إذا أردت أن تكلف تلميذك القيام أو القعود أو القراءة أو الكتابة . فقل له : قم . اقعد . افتح الكتاب . اقرأ السطر الأول . اكتب . امح اللوح . أمسك القلم . فیتعلم الأمر من قام وقعد وقرأ وكتب ومحا وأمسك ، ويتعلم أن ينصب المفعول به في افتح الكتاب .

اقرأ السطر . امح اللوح . أمسك القلم ، من فوره وبدون عناء . وقيس أمثالها عليها . ولا يفيد شياً أن يعرف قاعدة بناء الأمر من الصحيح والمضاعف والمثال والأجوف والناقص واللفيف المفروق واللفيف المقرون والمهموز من الثلاثي والرباعي والخماسي والسداسي . ولا يفيد شياً أن يعرف أحكام المفعول به محذافها . وإنما يفيد أن يسمع غيره يستعمل اللغة على الوجه الصحيح فيقلده . وكذلك يجب على الأستاذ أن يكلف تلاميذه ألا يتكلموا إلا باللغة الصحيحة وهم إذا سمعوها فآلوهما ففهموها هان عليهم أن يستعملوها .

النهضة الأدبية في العراق

لحضرة العضو المحترم السيد محمد رضا الشيباني (*)

يا حضرة الرئيس ،
أيها الأساتذة الأجلاء ،

لا أدري ، وقد طلب إلى أن أتحدث في هذا المؤتمر عن النهضة الأدبية العربية في العراق هل كان يقصد أن أتحدث عن تاريخ الأدب أم لا . وعلى كل فقد فضلت اعتماداً على لطفكم أن أتحدث بحديث أدنى إلى التاريخ منه إلى أي شيء آخر وأن أتجنب الرواية وإيراد النصوص ، وأن أتجشأ على الأكثر ذكر كثير ممن هم على قيد الحياة من علماء وشعراء وأدباء عراقيين مد الله أعماركم وأعمارهم أجمعين .

راجعت مامعي من مذكرات ومن أصول تتعلق بهذا الحديث ، فوجدت فيها ما يعزز رأيي في الأخذ بناحية التاريخ وتفضيلها على ناحية النقد الأدبي ، وذلك عندما طلب إلى يوماً ما ببغداد أن أتحدث عن الأدب العصري في العراق ، ويحلولي في هذا الصدد أن أشير إلى ذلك ، فقد قلت ما هذا نصه نقلاً عن تلك المذكرات :

« نعلم عدد غير قليل من الأدباء بأنني سأتناول في حديث لي أدبنا العصري وهذا موضوع ينبغي أن أتجشأ الخوض فيه ، فما من شك أن نقد الأدب العصري يزعج الناقد

في مأزق حرج فكيف إذا كان لدى ذلك الناقد ما يزيد على حاجته من مأزق حرجة كثيرة .

« إنني مثلاً أريد أن أستكثر من الأصدقاء ، ولا سيما من طبقة الشعراء والأدباء ، وقد دلّني التجربة على أن قول الحق والجهر بالحقيقة لا يبقني باقية من الصداقة ، وأنا أيضاً على شيء من سلامة القلب وحسن القصد ولكنني لست من سلامة القلب وحسن القصد إلى حد أن أضع نفسي بين شقي الرحى أو بين أشدق السباع ، فإن خصومة الأدباء وعداوة الشعراء بثس المقتنى ، تبعاً لإمام الشعراء أبي الطيب المتنبي في قوله :

ومكابد السفهاء واقعة بهم
وعداوة الشعراء بثس المقتنى

« في وسع الباحث ، أو الناقد ، أن يكتب عن الماضين من أعلام الأدب بدون عناء ، وليس الأمر كذلك إذا تناول ببحثه أو نقده أحداً من المعاصرين له .

« إنك مهما حاولت الإنصاف في إصدار الحكم على معاصريك فأنت محمول من ناحية القوم على الغرض ، أو متأثر في حكمك بشيئ المؤثرات .

(*) بحث ألقى في مؤتمر المجمع (الجلسة الخامسة ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٤٨) .

« إذا خصصت أديباً من معاصريك بشيء من الإكبار ، أو الإعجاب جاز أن يكون للعاطفة دخل في ذلك ، وهكذا الأمر في النقد والتمحيص ، فليس من السهل أن تتجرد عند الحكم على لداتك وأبناء عصرك من أثر العاطفة عاطفة الحب أو عاطفة البغض . فاهوى إله معبود والناس عبيد الشهوات

« ليس من الغريب انفعال أبناء العصر الواحد وتأثرهم فيما بينهم بالأهواء فإن ذلك محدود في جملة الأمور الطبيعية المألوفة ، ومرده إلى تصادم المصالح وتضارب الأغراض والعقائد. أضف إلى ذلك ما يمكن في أطواء الحياة نفسها من شرور وأحقاد ، إلى هذا ونحوه مما كان ولم يزل عاملاً من أقوى العوامل في تشويه الحقائق ومسح التاريخ .

« إن العذر الذي أنتحله في إحجامي عن معالجة هذا الموضوع قد اتضح للإخوان . ولكن لبعضهم مذهب آخر ففهم من يقول: نريد أن نقف على رأيك في طبقة شعرائنا وأدبائنا الآن وأين مكانهم من المتنبي وطبقة المتنبي مثلاً ؟

« وطولاء أقول : إن لدينا ولا شك عدداً غير قليل من الشعراء المجيدين ولكن بينهم وبين المتنبي وطبقة المتنبي بون شاسع وستمضي على العرب أجيال إلى أن يظهر من يجاري أبا الطيب في بلاغته وجزالته وفي أصالة رأيه وصرامته واستبطائه لخفيات الأمور وأسرار الحياة .

« هذا البون الشاسع بين طبقة المتنبي وبين هذه الطبقة المعاصرة من شعرائنا هو كالبون الشاسع بين عصر المتنبي وعصر المعري وأبي فراس من جهة وبين عصر شوقي وحافظ والرصافي من جهة أخرى ، أو هو كالبون الشاسع بين حياة الأمة العربية في القرن الرابع وحياتها في القرن الرابع عشر . والإنسان وليد البيئة والنشأة ، لا يسعه الانفكاك عنهما في الصعود والهبوط .

« عشرة قرون وعشرات من الأجيال تحولت فيها أحوال الأمم فانقلبت رأساً على عقب ، وعثر الحظ بما عثر بها ، واستوى من استوى قائماً على قدميه ، سة الله العامة التي تسير بموجبها هذه الكائنات باهضة طوراً ومنحدرة تارة إلى الخضيف

« في هذه العصور الجديدة تقدمت أمم متأخرة وتأخرت أمم متقدمة . وفيها ولدت حضارات واندثرت حضارات ، ولقد كان العرب والمسلمون في عصر أبي الطيب قدوة البشر ومثلهم الأعلى في نظمهم الاجتماعية وغيرها وأسعد الأمم في تلك العصور من قلد أمة المتنبي في مظاهر حياتها وحضارتها فأين مكاننا اليوم من تلك المكانة ؟ وما أبعد الفرق بين الخلف والسلف :

أيا دارها بالخيف إن مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهواله

بهذا القدر أكتفي مما ورد في تلك المذكرات .
والآن أنتقل إلى حديثي عن تاريخ الأدب العراقي الجديد

لاشك بوجود نهضة أدبية عصرية في العراق قطعت إلى الآن عدة مراحل مختلفة .

وقد يلاحظ من يعنى بتاريخ الأدب في عصرنا وحوود رابطة وثيقة بين هذه الحركة الأدبية العصرية وبين النهضة السياسية العامة التي بدأت بإعلان الدستور في بلاد الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) إذ لا ينكر ما لهذا الانقلاب السياسى من أثر في ذلك التجديد الأدبي، فهو إذن أولى المراحل التي قطعها هذه الحركة . ولهذا لا يسع مؤرخ الأدب العراقي إغفال العامل المذكور متى أراد أن يتطرق إلى هذا الموضوع .

قوبل إعلان النظام الدستوري الجديد بالتهليل والتكبير في العراق وعمرت الجمهور موجة من السرور ليس لها مثيل كما نعمت غيرهم من رعايا الدولة ، لأنه دستور كفل فيما كفل لنا من الحقوق العامة حرية الرأي وحرية القول والنشر ، فكان العراقيون من أكثر الأقوام غبطة بهذا الدستور الجديد لأنهم من أشد الناس تأثراً بمساوئ الاستبداد وهكذا دخلت البلاد إحمالاً في دور من أدوار اليقظة الفكرية وإن انكشف لها بعد ذلك فشل الأخذ بهذا النظام في مرحلة التطبيق

ليس معنى ما تقدم أن بلادنا لم تشهد حركة أدبية قبل العصر المذكور . فإن تاريخ البلاد في القريين الثامن عشر والتاسع عشر يشهدان شهادة قاطعة بخلاف ذلك . ففيهما تكونت طبقات عدة لاطقة واحدة من أدباء العراق وشعرائه المبحول .

كانت للأدب دولة في عصر بعض الورراء من المماليك الذين تمردوا على الباب العالي واستأثروا بالحكم في العراق . ويعد عصر الوزير (داود باشا) من عصور الأدب الزاهية في بغداد . وكان الوزير نفسه ملماً بآداب اللغة العربية وله آثار عمرانية وأدبية معروفة في العراق ، وعصره هو عصر الشيخ صالح التميمي شاعر العراق غير مدافع في زمانه ، وقد نشر له ديوان شعر في السنة الماضية .

ومن أدباء هذا العصر وشعرائه المجيدين . آل الأزرى والشاوى . وجاءت من بعدهم طبقة هي طبقة عد الباقي العمرى الشاعر المتفنن الرقيق وآل الآلوسى والأحرس البعادي وغير هؤلاء .

وهذا العصر هو أيضاً عصر النهضة الأدبية الكبيرة التي تمخضت عنها حواضر الفرات الأوسط كالنحف والحلة في مستهل القرن التاسع عشر ، وكان قوام النهضة في هذه الحواضر الفراتية طبقة كبيرة من أدباء وشعراء وعلماء تركوا لنا كتباً ومؤلفات ودواوين أو مجاميع شعرية كثيرة . وقد عاشت هذه النهضة الأدبية برعاية رهط من زعماء الفرات

ومن أعلامها السيد المهدي الطباطبائي والشيخ جعفر الكبير ، ومنهم السيد المحام وآل الحوى والأعسم وآخرون من هذه الطبقة

وقد تبتعها طبقات الواحدة بعد الأخرى إلى نهاية القرن التاسع عشر . من أشهرها

عصر من عصور الانتقال في الأدب ، وهو أدب يختلف بطبيعته ومميزاته عن أدب العصر السابق تبعاً لاختلاف العصرين ، ومن خصائص هذا الأدب العراقي الحديث أنه أقرب إلى الأدب الواقعي الصادق وأبعد عن الأدب الخيالي الكاذب . ففي عصرنا هذا نشبت حروب عامة لم يشهد الكون لها مثيلاً وفيه دالت دول وقامت على أنقاضها دول أخرى ، وزالت نظم قديمة مألوفة في الحكم والثقافة وحلت محلها نظم حديثة ، وماعصرنا هذا إلا فترة السلم القصيرة الواقعة بين حربين طاحنتين ، فهو عصر اليقظة الفكرية والوعي القومي فلذلك جاء الشعر في هذا العصر ترجماناً لما يجيش في أعماق النفوس وقرارات القلوب وسجلاً للكوائن والأحداث وما وقع في العراق والمجتمع العربي من أفراح وأتراح . وقد وفق الشعراء فيه إلى شيء من الإبداع والابتكار وعرضوا بنات أفكارهم على موازين جديدة من منطق وفلسفة وحقائق علمية .

وفي هذا الضرب من الشعر العصري في العراق نجد دعوة قوية إلى التجدد أو التطور وجرأة بالغة في التعامل على القديم . ولقد تخطى من تخطى من شعراء عصرنا شيئاً من الحدود ، وحاول بعضهم التحلل من القيود ونسب إليهم مانسب من تمرد واندفاع .

وقد يحتاج من يحتاج لهذه الثورة الأدبية ومافيه من عنف وإفراط بأنها نتيجة من نتائج التفريط والتقصير ، ورغبة في أن تسلك الأمة كل طريق للنجاة ، ولا تخلو الآراء من تضارب في هذا الشأن .

طبقة السيد حيدر الحلبي أشهر شعراء الحلقة المتأخرين ، وديوانه معروف ، ومثله الشيخ محسن الحضري نشر له ديوان في السنة الماضية والسيد محمد سعيد الحبوبي أبلغ شعراء هذه الطبقة وأرقهم ديباجة وله شعر غنائي سارت به الركبان وكان من نوادر عصره في البلاغة وفي فقه اللغة العربية ، وله ديوان مشهور .

وقد جاءت بعد ذلك طبقة أخرى هي طبقة السيد جعفر الحلبي والسيد إبراهيم الطباطبائي والحواد الشيببي وأبي المحاسن الحائري وهم أشهر شعرائنا المتأخرين ودواوينهم متداولة مشهورة .

أما مميزات هذا الأدب فهي مميزات الأدب القديم في بعض عصوره لاني عصوره كلها : جزالة عربية في الألفاظ ومحاكاة للقدماء وجمود على تلك الفنون الشعرية المألوفة . وقل أن تجد في هذا الأدب عمقاً في التفكير أو ابتكاراً في المعاني أو تجديدأ في الأغراض . وما يلاحظ أيضاً أن الأدب كان يستمد قوته ونشاطه من العاطفة الدينية في بعض هذه الأدوار .

وما لاشك فيه على كل حال أن الفصحى انتفعت بما في هذا الأدب من بيان أصيل وأساليب بليغة مستساغة إلى هذا اليوم . وأنا في غنى عن إيراد الشواهد والنصوص في هذا المقام إذ يمكن الرجوع في ذلك إلى ما نشر من دواوين هؤلاء الشعراء ، وإلى كتب المؤرخين في هذا الموضوع .

هذا وقد بدأ بعصر الدستور كما قلت سابقاً عصر من عصور الانتقال في السياسة كما بدأ به

هذه بعض مميزات الأدب والشعر في هذا العصر من ناحية المعنى . وأما مميزاته من ناحية اللفظ فهي تتجلى في رصانة مبانيه وقوالبه الشعرية : ديباجة في غاية الصفاء وبيان في منتهى الإشراف في كثير من الأحيان .

وكانت هذه المميزات ظاهرة ظهوراً بيناً في شعر الرصافي الشاعر العراقي المشهور ، ومن بعده في شعر الزهاوي وطبقتهما في هذا العصر ، وفي شعراء الشباب من العراقيين من ينسجون على هذا المنوال في البلاغة وحسن الأداء . هذا وقد انبعثت بعد مضي مدة يسيرة على إعلان الدستور حركة أدبية في العراق مركزها مدينة البصرة ، وكان انبعاثها على يد السيد طالب النقيب ، وقد اتجهت هذه الحركة البصرية إلى مناوأة غلاة الأتراك . وتعد الحركة المذكورة إحدى نتائج الغلو والإفراط في النعرات العنصرية التي عرف بها فريق من شباب الأتراك في ذلك الحين ، وكانت لهؤلاء الغلاة في بحس حقوق العرب سياسة معروفة.

وقد استطاع السيد طالب النقيب أن يجتذب إلى مدينة البصرة عدداً غير قليل من شعراء العراق وكتابه وشبابه الواعي . وأنشأ في البصرة صحافة عربية جريئة عاشت مدة بعد ذلك .

وقد عرف السيد طالب بجراته النادرة وبمطامحه البعيدة وكانت مساعيه متجهة إلى إنشاء دولة عراقية قاعدتها البصرة والغرض منها تحرير البلاد من سياسة العالة المتطرفين

من الحكام على أن ترتبط بحلف سياسي مع الإمارات العربية الواقعة على شط العرب والخليج وفي داخل الجزيرة .

وكانت لبعض المحافل والأندية الأدبية العاملة في بغداد والآستانة صلة وثيقة بالحركة المذكورة . وقع ذلك كله بعد خيبة الآمال بالعهد الجديد .

نشأت الصحافة العراقية في مستهل هذا العصر في أحوال لا تحسد عليها ، فقد كانت الأمية شاملة وموارد الصحف المالية ضئيلة والخبرة الفنية محدودة ولهذا كانت الصحف تتوارى بعد صدورها بمدة يسيرة .

ولا أنسى في هذا الباب أن الصحف المصرية ومن بعدها صحف الشام استقبلت صحفنا الناشئة بكثير من الانتقاد ، واستهجن تلك اللكنة التي ارتضخها بعض العراقيين ، ونددت بركاكة التعابير وعجمة الأساليب

والواقع أن العراقيين معذرون ومن السهل تعليل ضعفهم في هذا الفن ، وهل أبناء العراق إلا أمة ناشئة عاشت في ظل حكامها المستبدين عصوراً طويلة محرومة من النور ومن جميع عوامل التقدم والنهوض ؟

ومما هو جدير بالذكر أن فريقاً من الأحرار العاملين وعدداً من الكتاب والشعراء المحيدين في العراق اتخذوا من بعض الصحف والمجلات المصرية والسورية الصادرة في مستهل هذا القرن مجالاً لأقلامهم . ينشرون فيها مالا سبيل

إلى نشره في العراق . وبعض هذه الصحف تعد مرآة للأدب العراقي الحديث . ومن أراد أن يطلع على صفحة من صفحات الأدب المذكور فليتنصفح بعض تلك الصحف والمجلات من مصرية وشامية ففيها جولات صادقة لطبقة من أدبائنا المعاصرين ، وفي طليعتهم : السيد محمود شكرى الألويسى العالم المصنف المشهور وهو صاحب مدرسة تخرج فيها عدد من خيرة أساتذة اللغة والأدب في مدارس بغداد . ومنهم أشهر مشاهير شعرائنا المعاصرين : الكاظمى والزهاوى والرصافي وغيرهم من الشعراء . ومنهم اللغوى المحقق أنستاس مارى الكرملى الذى فقد مجمعنا بفقده عضواً عاملاً متفانياً في خدمة لغة العرب غير مكترث بما لحقه في هذه السبيل من عنت وإرهاق ، وهو ناشر مجلة « لغة العرب » . وكانت للكرملى في مكتبته ندوة ينتدى إليها طبقة راقية من أدباء بغداد لمناسمة الأمالى والأحاديث في اللغة والآداب ، وقد امتازت هذه الندوة بنشاطها في ذلك الحين .

ومن هذه الطبقة السيد عبد اللطيف ثنيان له فصول جيدة في اللغة والتاريخ ، والسيد طه الراوى من الثقات في الأدب وفي رواية النصوص إلى طبقة أخرى من شعراء وكتاب ولغويين .

ولا نبالغ إذا قلنا إن عدداً من الكتاب والصحفيين العراقيين على قلوبهم في هذه الفترة ما كانوا يبدون أمثالهم من الصحفيين المصريين والشاميين .

ولابد لي من القول أيضاً بأن الصحافة العراقية اليومية عادت فقطعت الآن مرحلة أخرى من مراحل تطورها بعد تلك المرحلة السابقة ، فهي الآن أرقى مظهرأ وأغزر مادة من صحف الفترة السابقة .

يتضح لنا مما تقدم أن فجر القرن العشرين تمخض عن نهضة أدبية لا يستهان بها في العراق وبالرغم مما اعترض سبيل هذه النهضة من مشبطات متنوعة مادية ومعنوية فإنها تدرجت في النشوء إلى أن تحلى الأثر اك تماماً عن البلاد ، وانتقلت مقاليد الحكم إلى أيدي العراقيين بعد سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) . وقد توقعنا للعربية مستقبلاً زاهياً في هذا العصر إلا أن النتيجة جاءت على خلاف ذلك ، وهذا من الغرابة بمكان . والحقيقة أن العراق قطع بعد استقلاله بمدة يسيرة مرحلة عصيبة توالى فيها الاضطرابات والأزمات الداخلية ، وأخيراً وقعت الحرب العالمية الثانية ومالابسا من الأحداث المعروفة في العراق ، فاستقل كل عراقي بنفسه وشئونه الخاصة . فها هذه الفترة المشار إليها إلا فترة السلم القصيرة بين حريين طاحتين كما قلنا سابقاً ، ومن مميزات الظاهرة أن السياسة الداخلية استبدت بنشاط أبناء العراق على اختلاف طبقاتهم ، فأهمل جانب كبير من المرافق العامة مادياً ومعنوياً وهكذا كانت هذه المرحلة التاريخية كارثة على الأدب فأخذ بالتضاؤل والانكماش كما وكيفا . ولنا أن نسمى هذا العصر عصر الركود والفتور في سير الحركة الأدبية في العراق .

ومن رأينا أن علة العلل فيما منى به الأدب أخيراً في العراق ليست في الأحداث المشار إليها وحدها بل في شيء آخر أبعد وأدق من ذلك ، ألا وهو فقدان خطة عامة مرسومة للنهوض بالثقافة وباللغة العربية وبالأدب وتشجيع الإنتاج الأدبي في البلاد . ولو رسمت في هذا الشأن وطبقت مثل هذه الخطة لما استطاعت تلك الأحداث أن تعصف بحياة الأدب في البلاد . وإنما قصر من قصر وأهمل هذه الخطة من أهملها ونحن الآن نعاني مغنة ذلك الإهمال والتقصير من تشتت وتوزع في القوى الأدبية يخشى بعضهم أن يتطور إلى بلبلة وفوضى فكرية بل نحن نواجه في هذا الصدد مشكلات اجتماعية عويصة قلما واجهها مجتمع عربي الآن . فقد انفردت وتباعدت الشقة بين جيلنا الماضي والنشء الحاضر وأصبح حل هذه المشكلة بالتوفيق بين الجيلين شغل المكربين الشاغل ، وقد واجهت مصر مشكلة من هذا القبيل بلاشك ولكنها لم تبلغ حد المشكلة التي نواجهها في العراق وبعض البلاد العربية الأخرى ، لأن النهضة في مصر مرت منذ عهد محمد علي إلى اليوم في مراحل تدريجية تبعاً لخطة رسمها قادة الرأي في مصر روعى فيها الاعتدال والتوازن في الانتقال من القديم إلى الجديد . فأدى ذلك إلى نوع من الاستقرار الصكري والأدبي تغبطون عليه الآن . وهذه مزية لمصر تمتاز بها على غيرها من البلاد العربية .

أما النهضة في العراق فلم تكن تدريجية خاضعة لخطة مرسومة . بل كانت اندفاعاً

سريعاً إلى الأمام . على أن في العراق بالرغم من ذلك كله طبقة من رجال العلم وأخرى من رجال الأدب والشعر ، أما شعراء العصر وشعراء الشباب في العراق ومثلهم على ما أظن شعراء العصر في مصر والشام فهم فريقان : فريق يترسم خطى شعراء الجيل في الماضي القريب ، ويجري على سننهم المعروف في المذاهب والأساليب مع شيء من التجديد . وقد نشرت لعدد من هؤلاء الشعراء دواوين لطيفة ومنهم السيد أحمد الصافي والسيد محمود الحبوبي واليعقوبي والسيد مهدي الجواهري والمقلد والسيد علي الخطيب وصالح الجعفرى وشعراء الرابطة العلمية الأدبية المعروفة في النجف . ولولا هذه الطبقة الناهضة من شعراء الجيل وأدباء الشباب لجيل لنا أن القريض العربي قد مات ، وأن البيان الحر مقضى عليه بالزوال . وأما الفريق الآخر من شعراء الشباب فهو يميل إلى مجازاة الغربيين ويحاول أن يتعاطى النظم على طريقتهم المعروفة ، وعددهم قليل .

وقد مالت طبقة تضم بعض حملة الشهادات الجامعية العالية وغيرهم من الأدباء إلى فن من فنون الأدب الحديث وهو فن القصة ، فراحوا يخرجون القصص ترجمة وتأليفاً ولا يزال هذا الفن في دور النشوء وكثير من كتابه مقلدون .

وللأدب العراقي الحديث في مرحلته هذه مميزات من أظهرها حنوحه إلى التشاؤم والشكوى ووصف مظاهر البؤس والحرمان في كثير من الأحيان . ومن مميزات نزوع ظاهر إلى العنف في مقاضاة الطبقة الحاكمة والدفاع عن حقوق الطبقة المحكومة .

مقبلون على عصر لامناص لنا فيه من تعزيز الصلات الأدبية القائمة بين مصر والعراق ، فقد شرع الفريقان من عراقيين ومصريين بذلك لحسن الحظ والشواهد عليه كثيرة من أحداث هذه السنين ، وفضلا عن هذه المؤتمرات السنوية التي يعقدها المجمع وفيها تمثل هذه الأقطار العربية ، وفضلا عن يزور العراق من الأساتذة المصريين للتدريس في معاهدنا العلمية كل عام - ولا بد لي أن أقول بهذه المناسبة إن الأساتذة المصريين يتمتعون بسمعة طيبة ويحاطون بكل ترحيب وإعزاز - فقد تم بعد ذلك تنظيم العلاقات الثقافية بين البلدين بموجب معاهدة معروفة سميت بالمعاهدة الثقافية ، وقد مضى على التوقيع عليها أربع سنوات فكان ذلك بمثابة الخطوة الأولى ، وأرجو أن تقترن بخطوة ثانية وهي خطوة التنفيذ إن شاء الله . وهو ولي التوفيق .

وفي البلاد عدد من العلماء ومن الباحثين المنقطعين للدراسات على اختلاف مواضيعها وكثرتهم في بغداد والموصل والنجف وفي حواضر عراقية أخرى ، يدرسون ويؤلفون ويقومون بنشر المخطوطات القديمة ولهم أبحاث تنشر في بعض المجلات المصرية والسورية والعراقية وقد ظهرت لعدد منهم تصانيف ومؤلفات ، نذكر منهم السيد منير القاضي والسيد محمد بهجت الأثرى والدكتور مصطفى جواد والسيد يوسف غنيمه والسيد عباس العزاوي والدكتور داود الحلبي والسيد صادق كمونة والدكتور جواد علي والدكتور أحمد سوسة وكوركيس عواد وغير هؤلاء .

هذا هو شطر من تاريخ الأدب العراقي أو تاريخ النهضة الأدبية العصرية وما إليها في العراق ، وإنني لأستشف من إلقاء هذا الحديث وتفضل هذه الطبقة المختارة بالإصغاء إليه أننا

منطق أرسطو والنحو العربي

لحضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومي مذكور(*)

على تقديره ، ويحق للعرب أن يفخروا به .
ولإذا قارنا النحو العربي بعلوم النحو القديمة والحديثة وجدنا أن أحداً منها لم يصادف مصادفه من درس وعناية ، فللإغريقية واللاتينية نحوهما ، وللبعض اللغات الشرقية القديمة نحو معروف كالسريانية والعبرية ، غير أنه لم يصل نحو من هذه إلى ما وصل إليه النحو العربي من عمق البحث وسعة الدراسة وتشعب الآراء . أما اللغات الحديثة فقد احتزلت - في كثير منها - نحوها واختصرته في أضيق الحدود الممكنة .

ولم يكن غريباً أن يعنى المسلمون بالنحو هذه العناية ، فهو أداة من أدوات فهم الكتاب والسنة . ووسيلة ضرورية لمن شاء أن يعالج العلوم الدينية ، وخاصة من الموالى والأعاجم الذين ليست العربية فطرتهم ولا الفصحى سليقتهم . وقد جاء في مقدمة ابن خلدون أن من أراد الشريعة فلا بد له من معرفة علوم اللسان العربي ، وهي أربعة : لغة ونحو وبيان وأدب . وأهمها النحو لأنه يبين أصول المقاصد بالدلالات . ولولاه لجهل أصل الإفادة واحتل التفاهم جملة .

لم يصادف نحو من العناية مصادفه النحو العربي . نشأ في الثلث الأخير من القرن الأول للهجرة ، وبقي ينمو ويتكون خلال القرون التسعة التالية . فبحث عن الرواة ورجال البادية لتؤخذ عنهم الأساليب الصحيحة والتعبيرات المستقيمة ويستشهد بنقلهم وروايتهم . وتوالت المدارس بعضها على أثر بعض ، بين بصرية وكوفية أو بغدادية وأندلسية ، تتلاقى أحياناً وتتعارض أخرى ، أو تتوسط ، فتسلك مسلك الجمع والتوفيق . ووضعت الرسائل الصغيرة في بعض الموضوعات الفرعية ، كالمقصور والممدود والمذكر والمؤنث ، أو الكتب الجامعة ، نثراً أو نظماً ، كالكتاب لسيبويه والمفصل للزمخشري والكافية لابن الحاجب والألفية لابن مالك والمغنى لابن هشام . وخلط النحو باللغة والأدب ، ثم فصل عنهما ليصطبغ بصبغة معينة ويعتمد على مصطلحاته الخاصة . وشرحت النصوص والشواهد ، وجمعت الشوارد والغرائب ، وأحصيت أوجه الخلاف بين نحوى ونحوى ، أو بين مدرسة وأخرى . وترجم للنحاة ورتبوا طبقة بعد طبقة . وقد تشعبت الدراسات النحوية بحيث استوعبت معظم نشاط المثقفين في القرون الستة الأخيرة . وفي اختصار يمكننا أن نقول مع دى بور « إن علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربى لما فيه من دقة في الملاحظة ونشاط في جمع ما تفرق . وهو خدأ يحمل المتأمل فيه

(*) بحث ألقى في مؤتمر الجمع (الجلسة السابعة

٢٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٨) .

يبد أنه لا يزال في النحو العربي جوانب غامضة ، أخصها ما اتصل بنشأته والعوامل التي أثرت في تكوينه . وعندى أن هذه العوامل كثيرة ومتنوعة ، بين داخلية وخارجية وعربية وأجنبية . وسأقصر كلمتى هذه على منطق أرسطو وأثره في النحو العربي .

ولاشك في أن المنطق الأرسطى قد صادف في القرون الوسطى المسيحية والإسلامية نجاحاً لم يصادفه أى جزء آخر من فلسفة المعلم الأول فعرف أرسطو المنطق قبل أن يعرف أرسطو الميتافيزيقى ، وترجم الأرجانون قبل أن يترجم كتاب الطبيعة أو كتاب الحيوان . وللأرجانون في العالم العربى منزلة خاصة ، فكانت أجزاءه الأولى أول ما ترجم من الكتب الفلسفية إلى اللغة العربية ، ثم ألحقت بها الأجزاء الأخرى فترجمت وشرحت واختصرت . وتوالى البحث في المنطق لدى المدارس الإسلامية المختلفة ، عند الفلاسفة والمتكلمين ، بل وعند الفقهاء .

والغزالي في حملته على الفلسفة والفلاسفة يضلح المنطق جانباً لأنه إنما ينصب على قوانين الاستدلال العقلى بصرف النظر عن موضوعه ، ويذهب إلى أبعد من هذا مقررأ أن المنطق ليس خاصاً بالفلاسفة وحدهم ، بل هو متصل أيضاً بالمتكلمين الذين يسمونه علم الجدل أو علم النظر . وقد استخدم الفقهاء كثيراً من المصطلحات المنطقية في بحوثهم الأصولية ، فتحدثوا عن الجنس والنوع ، والكلى والجزئى والعام والخاص . واعتبروا القياس أصلاً من أصول التشريع الأربعة ، ورسوموا قواعده

ونظموا طرقه محاكين صنيع أرسطو في قياسه المنطقى . ونعود مرة أخرى إلى الغزالي فنجد أنه يقول في مقدمة كتابه معيار العلم « إن النظر في الفقهيات لا يباين النظر في العقليات في ترتيبه وشروطه وعيابه » ويضيف إلى هذا أنه ما دامت المهمة في عصره متجهة نحو البحث الفقهى فإنه سيقدم في هذا الكتاب المنطق أمثلة فقهية كي يعم النفع . وفي كتاب آخر له أصولى - وهو المستصنى - يرى لزماً عليه أن يقدم له بمقدمة منطقية خالصة يعتبرها ضرورية و متممة لعلم أصول الفقه .

• • •

ولم يقف الأمر - فيما نعتقد - عند الفقه والكلام والفلسفة ، بل امتد إلى دراسات أخرى من بينها النحو ، وقد أثر فيه المنطق الأرسطى من جانبيين : أحدهما موضوعى ، والآخر منهجى . فتأثر النحو العربى عن قرب أو عن بعد بما ورد على لسان أرسطو في كتبه المنطقية من قواعد نحوية ، وأريد بالقياس النحوى أن يحدد ويوضع على نحو ما حدد القياس المنطقى .

وقد يقال : ما للنحو والمنطق ، واللغة في أساسها اصطلاح كثيراً ما يعصى قسوانين العقل والمنطق ؟ ولكن لا نزاع في أن منطق أرسطو قد اشتمل على مبادئ نحوية ، ففي المقولات وهو الجزء الأول من كتبه المنطقية يعرض للألفاظ ، ثم يتناول في الجزء الثانى - كتاب العبارة - الحمل ويفصل القول فيها ،

وهذه أمور في ظاهرها نحوية . ولم تخل كتبه المنطقية الأخرى من قواعد الأجرومية اليونانية.

ونود أن نلقى نظرة عاجلة على بعض هذه القواعد لتبين ما يمكن أن يلحظ من شبه بينها وبين أول ما عرف من قواعد النحو العربي ، ورائدنا في هذا الأرجانون من جانب وكتاب سيبويه من جانب آخر . ففي مقدمة كتاب العبارة يقسم أرسطو الكلمة إلى اسم وفعل معرفاً الأول بأنهما دل على معنى وليس الزمن جزءاً منه ، ومعرفاً الثاني بأنه ما دل على معنى وعلى زمن . ثم يشير في كتاب منطقي آخر - هو طوييقا أو الجدل - إلى قسم ثالث من أقسام الكلمة يسميه الأداة . وهنا ننقل إلى كتاب سيبويه فنجد يبدأ بتقسيم الكلم إلى اسم وفعل وحرف ويعرفها الواحد تلو الآخر تعريفاً يحاكي من بعض النواحي التعريف الأرسطي . ومن الغريب أن ما يسميه سيبويه حرفاً يسميه الكوفيون الأداة ، وكأنهم شاموا أن يحتفظوا بالمصطلحات المنطقية احتفاظاً تاماً .

وندد جانباً ما ورد على لسان أرسطو من حديث عن النوع والكم ، أو بعبارة أخرى عن التذكير والتأنيث والإفراد والجمع ، وما عرض له من توضيح الإثبات والنفي ، والطلب والاستفهام مما له بالنحو صلة وثيقة . ونكتفي بأن نشير إلى مثل آخر له شأنه ، وهو أساس تكوين الحمل فعلية كانت أو اسمية ، ونعني به الإسناد . وذلك أن أرسطو عرض بإسهاب لنظرية الإسناد في كتابي المقولات والعبارة ،

ففي الأول يحاول أن يحصر أنواع المحمولات العامة الممكنة ، وفي الثاني يوضح الصلة بين المحمول والموضوع ويعرف الجملة التعريف النحوي الصحيح . وهنا نعود إلى سيبويه ، فنجد أنه يتحدث في « الكتاب » عن المسند والمسند إليه ، وفي مكان آخر يعقد الفصل الآتي : « المبتدأ والمبنى عليه » وكأنه يريد أن يقول الموضوع والمحمول عليه . وواضح أن الإسناد دعامة كل نحو عربي كان أو غير عربي .

وقد يتساءل : ما لسيبويه الفارسي أصلاً العربي تربية ولمنطق أرسطو ولم يعرف له ولوع بالفلسفة والمنطق ؟ وما أحوجنا إن شئنا أن نجيب على هذا السؤال إجابة واضحة أن نعرض لشيء من تاريخ الترجمة في الإسلام . وقد سبق أن حدثتكم عن أثر الترجمة والمترجمين في نشأة المصطلحات العلمية والفلسفية ، وأعتقد أن نشأة كثير من العلوم الإسلامية تتصل بهؤلاء المترجمين . ومن الثابت أن كتب أرسطو المنطقية الثلاثة الأولى (المقولات ، والعبارة ، وأناطوطيقا الأولى أو التحاليل الأولى) كانت معروفة لدى السريان وقد ترجمت إلى لغتهم الأولى قبل الإسلام ، ويقال أيضاً إنها نقلت إلى الفارسية . والمهم أنها ترجمت إلى اللغة العربية منذ النصف الأول للقرن الثاني الهجري ، ترجمها عبد الله بن المقفع عن الفارسية أو ابنه محمد عن السريانية على خلاف في ذلك . فهي إذن ثروة جديدة نقلت إلى العالم العربي ، ولا بد أنها قوبلت بما تستحق من تقدير ، إن من سيبويه أو من

سبقه ممن اشتغلوا بالمسائل النحوية ، وقد كان النحاة يحاولون - شأن كل باحث - أن يستعينوا على ما هم بصددده بما يعرفون من لغات أو دراسات أخرى .

على أن هناك عملاً مشابهاً تم على مقربة من نحاة العرب الأول ، وهو وضع النحو السرياني بمدرسة نصيبين في القرن السادس الميلادي . ولا شك في أن هذا النحو قد تأثر بالنحو اليوناني ومنطق أرسطو ، ومن بين واضعيه والمشتغلين به مترجمون اتصلوا بالعرب ونحاتهم وعاشوا معهم . فيحقوب الرهاوي له شأنه في وضع النحو السرياني وهو معروف في الأوساط العربية ، وحنين بن إسحق مترجم آخر معاصر للخليل وسيبويه ، بل وصديق للخليل ، وقد تعلم العربية في سن متقدمة وعانى منها ما عانى ومن اليسير أن نتصور أنه قد تبادل فيما تبادل مع الخليل بعض القواعد النحوية ، خصوصاً وهو يعزى إليه أنه ترجم بعض كتب الأجرومية اليونانية وأتم مع ابنه إسحق البقية الباقية من كتب أرسطو المنطقية

وفي وسعنا أن نقرر بعد كل هذا أن المترجمين في تعلمهم للعربية وفيما نقلوا من كتب أجنبية قد بدأوا في القرن الثاني للهجرة فأنثروا جواً حول المشاكل النحوية ولأرسطو في هذا الجو نصيب ملحوظ . ولا يصح أن نغفل ما لهذا الجو من أثر على نحاة العرب الذين عاشوا فيه وتغلغلوا بغدائه المادي والمعنوي . ووجه الشبه بين المنطق والنحو قديم ، فصناعة المنطق من العقل والمعقولات كصناعة النحو من اللسان

والألفاظ ، وهذا ما أشار إليه صاحب السلم بقوله :
(وبعد) فالمنطق للجنان نسبته كالنحو للسان
ولأمر ماسمى نحاة البصرة بأهل المنطق ،
ولهذه التسمية ما لها من دلالة .

ولعل في هذا ما يفسر تلك المفاجأة التي أحدثها كتاب سيبويه ، بظهوره في تلك الصورة الجامعة ، دون أن تصل إلينا سوابق ممهدة له الأمر الذي دفع صاحب « طبقات الأئمة » أن يقول إنه لا يعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بدقائقه ، غير كتب ثلاثة : المحسنى في الفلك ، والأرجانون في المنطق ، وكتاب سيبويه في النحو . وفي هذه الدعوى تسامح ظاهر وجهل بالتاريخ . وإذا تركنا الفلك والمنطق جانباً ، وجدنا أنه عرفت مؤلفات في النحو العربي قبل كتاب سيبويه ، وإن كانت لم تصلنا . وقد مهدت له دون شك ، وإن كانت أقل منه مستوى ، كما مهدت له البحوث الأدبية واللغوية السابقة والمعاصرة التي اضطلع بها أمثال عيسى بن عمر التقني وأبو عمرو بن العلاء . ولسنا في حاجة أن نلاحظ أنه مزيج من الأدب والنحو واللغة . هذا إلى أنه أشبه ما يكون بتوجيه لبعض التعبيرات والاستعمالات ، منه بتقنين القوانين ووضع المبادئ ، فهو لم يقعد قطعاً قواعد النحو على الصورة التي قعدت بها فيما بعد . وقد مهد له أخيراً تلك البحوث النحوية التي نقلها المترجمون عن نحو السريانية أو عن منطق

أرسطو ، ويبدو على سيبويه نفسه أنه لم يكن مغمض العينين عن أمثال تلك المؤثرات ، ويكنى أن نشير إلى ذلك الفصل الذى عقده فى الجزء الثانى من الكتاب وعنوانه « باب اطراد الإبدال فى الفارسية » .

ولقد سبق لبعض المستشرقين أن أثاروا هذه النقطة ، وإن كانوا لم يقفوا عندها طويلاً ، ونذكر من بينهم بروكلمان ودى بور وزميلنا الأستاذ ليمان . ولا يضير النحو العربى فى شيء أن تتضافر عوامل شتى على تكوينه ، أو أن يساهم منطق أرسطو فى توجيهه إليه . وهناك ناحية أخرى من نواحي الصلة بين هذا المنطق والنحو العربى ونعنى بها تلك الناحية المنهجية التى أشرنا إليها من قبل . والتى لم توضح بعد التوضيح الكافى .

وكلنا يعلم ما للقياس من أهمية فى نشأة النحو العربى وعزارة مادته واستخلاص قواعده وضبط أحكامه . ذهب إليه النحاة الأول بحكم فطرتهم وسجيتهم ، مقارنين بين الأشباه والنظائر ومستنبطين منها الأوصاف المشتركة التى تلتقى فيها . وتوسع فيه من جاءوا بعدهم ، فجعلوه منهجاً ذا قواعد ثابتة ومعالم محدودة واعتبروه مبعأً رئيسياً تستمد منه القواعد النحوية . وربما حكموه فى لغات العرب وروايتهم . فيقولون إن لغة أقيس من أخرى وإن تعمراً ما يميزه القياس وإن لم يده السماع وكأما يشرعون فى النحو كما شرع الفقهاء فى

المعاملات . وهاهو ذا ابن جنى يقول : « إذا بطل أن يكون النحو رواية ونقل ، وجب أن يكون قياساً وعقلاً . » ويقرر من بعده ابن الأنبارى : « إن إنكار القياس فى النحو لا يتحقق ، لأن النحو قياس كله ، فمن أنكره فقد أنكر النحو » ، ولا يعلم أحد من العلماء ينكره . ويعزى إلى الكسائى ذلك البيت المشهور :

إنما النحو قياس يتبع
وبه فى كل أمر ينتفع

وقد استخدم القياس فى النحو منذ المراحل الأولى ، فعالجه عبدالله الحضرمى المتوفى سنة ١١٧ هـ ، وأخذ يقيس ويعلل الأقيسة . ونماه الخليل بن أحمد ودعمه ، وتوسع فيه سيبويه أيما توسع ، وفى « الكتاب » أقيسة عدة واعتداد بالقياس فى مناسبات مختلفة لترجيح رأى على آخر . وقد لا يقف عند استقرار الأمر الواقع ، بل يفترض فروضاً نظرية ويعطيها أحكاماً خاصة . وإذا كان نحو البصرة قد سبق نحو الكوفة بطبقتين كاملتين أو بما يقرب من مائة سنة ، فإن البصريين يعتبرون واضعى دعائم القياس فى النحو العربى . على أن الكوفيين أيضاً لم يترددوا فى استخدام القياس والتعويل عليه . وربما اكتفوا بالشاهد الواحد فاستنبطوا منه قاعدة عامة ، وبالغوا فى الأقيسة النظرية والعلل العقلية . وهانحن أولاء نقيس حتى اليوم . والمجمع قرارات سابقة تتصل ببعض الأقيسة النحوية . كالنسبة إلى جمع التكسير ، واستعمال وزن مفعلة للمكان .

ومهما يكن من أمر الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة ، فإن مما يلتم النظر أن القياس النحوى نبت ونما فى العراق حيث نبت ونما القياس الفقهى ولم يجر ذلك عنثاً ، وإنما كان وليد الاعتداد بالرأى والتأثر بالثقافات الأجنبية ، ومن بينها منطق أرسطو . وهنا نقطة ينبغى توضيحها . نتحدث عن قياس فقهى وآخر نحوى ومن الخطأ أن يظن أن الأمر فيهما كما هو فى القياس الأرسطى ذلك لأن هذا الأخير يقوم فى أساسه على سير من الكلى إلى الجزئى ، أما قياسنا النحوى وزميله الفقهى فعلى عكس ذلك يسيران من الجزئى إلى الكلى . ولكن ينبغى أن نلاحظ فوراً أن أرسطو لم يهمل هذا النوع من الاستدلال ، فقد عرض فى لواحق قياسه لضربين من الاستدلال هما الاستقراء والتشيل . وإذا كان لم يعتد بهما كل الاعتداد ، فقد قدرلها أن يستخدما فى البحوث والدراسات العلمية التى جاءت بعد ، وعلى الاستقراء بوجه خاص يعتمد البحث العلمى الحديث .

فالقياس النحوى تمثيل إن استنبطت القاعدة من شاهد واحد - الأمر الذى كان ييغضه نحاة البصرة - أو استقراء ناقص إن استخلصت القاعدة من عدة حالات فردية . وهو على كل حال فطرى فى صورته الأولى التى تتلخص فى تتبع الأشياء المتشابهة والبحث عن أسبابها وعللها . وليس لأحد أن يدعى أن هذا القدر الفطرى من صنع أرسطو أو أى فيلسوف آخر ولكن يوم أن تتحول الفطرة إلى فن وصناعة

ينبغى البحث عن عوامل هذا التحو . ولم يقف القياس النحوى عند تلك الصورة المطرية التى أشرنا إليها ، بل فلسفه النحاة واقتنوا فيه إلى درجة كبيرة .

فبحثوا عن أركانه ، وقالوا كما قال الفقهاء إنها أربعة : أصل وهو المقيس عليه ، وفرع وهو المقيس ، وحكم قدبتنوع كما تتنوع الأحكام المقهبة فيكون واحداً أو ممنوعاً أو حساً أو قبيحاً ، وأخيراً علة وهى دعامة القياس . ثم حاولوا بعد هذا أن يحددوا شرائط القياس النحوى الصحيح كما حدد أرسطو شرائط إنتاج قياسه المنطقى وإذا كانت هذه الشرائط لم تصلنا على شكل كامل وفى صورة مهذبة فإننا نجد منها شذرات هنا وهناك فى «الخصائص» لابن حنى ، وفى «أصول النحو» و«الإنصاف» لابن الأنبارى ، وفى «الاقتراح فى أصول النحو» للسيوطى .

ودون أن نتبع مبادئ القياس النحوى ، نكتفى بأن نشير إلى أمثلة منها ، فيقال : يحمل الأقل الأندر على الأعم الأكثر لا العكس ، والحمل على ماله نظير أولى من الحمل على ما لا نظير له ، وما جاء على أصله لا يسأل عن علته ، والقياس على الفاسد فاسد ، وإن أجازوا القياس على ماورد فى ضرورة الشعر بشرط أن يستعمل فى هذه الضرورة أيضاً . وفى هذه المبادئ وأمثالها مايدل على أن نحاة العرب أرادوا أن يضعوا لقياسهم أصولاً تحاكي تلك الأصول التى وضعها الفقهاء . وأصول القياس النحوى كأصول القياس الفقهى تلتقى فى أنها ترسم خطى القياس المنطقى .

ومثل واحد من بين هذه الأصول كاف في توضيح ذلك ، ألا وهو مبدأ العلية ، وقد كان لهذا المبدأ شأن في السحو العربي لا يقل عن شأنه في المنطق الأرسطي ، ذلك لأن العلة هي الدعامة التي يقام عليها القياس السحو والمنطقي . وما نظرية العامل النحوية إلا وليدة مبدأ العلية الفلسفي . وإذا قلنا نظرية العامل فلنما تلخص النحو في جملته ، وقديماً قالوا : « النحو أثر يجله العامل » . وقد وضع أبو علي الفارسي كتاباً سماه « العوامل » استوعب فيه النحو جميعه ، كما وضع عبد القاهر الجرجاني كتاباً آخر اسمه « العوامل المائة » فيه خلاصة نحوية مستوفاة .

والعوامل ظاهرة ومضمرة ، وقوية وضعيفة ، ومجموعة العوامل المتشابهة تكون أسرة واحدة . وهناك كلمات تعمل بنفسها وأخرى لمشايتها لغيرها ، فالأصل في العمل للأفعال . وتلحق بها الأسماء إذا شابهتها . وتكون الكلمة عاملاً حيناً ومعمولاً حيناً آخر ولا يمكن أن تكونهما في آن واحد . والبحث عن العوامل بيان وتوضيح لعلل الإعراب ، وقد عرفت علل الإعراب أو علل النحو قبل أن تعرف نظرية العامل في ثوبها الكامل ، ويعتبر « كتاب » سيبويه أول بحث جامع للعلل النحوية .

فمن أين استمد النحاة فكرة العلل أونظرية العامل هذه ؟

يذهب فريق إلى أنهم تأثروا فيها بالفلسفة الكلامية ، وإذا كان لكل حادث محدث

فلكل معمول عامل . ويقول الإمام الرضى إن . « النحاة يحررون عوامل النحو كالموثرات الحقيقية » . ويذهب فريق آخر إلى أنهم تأثروا بالبحوث الفقهية ، ذلك لأن القياس النحوي شبيه كل الشبه بالقياس الفقهي . يقول ابن جنى في « خصائصه » : « اعلم أن أصحابنا انتزعوا العلل من كتب محمد بن الحسن ، جمعوها منها بالملاطعة والرفق . » ويشير الزنجشري إلى شيء شبيه بهذا في مقدمة « مفصله » ، ويضع السيوطي كتابه « الاقتراح في أصول النحو » على ترتيب يحاكي - فيما يرى - أصول الفقه في الأبواب والفصول والتراجم . ولكن ابن جنى يعود فيقرر أن علل حذاق النحاة أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل الفقهاء ، لأنها أكثر مجازاة للطبع .

وسواء أكانت العلل السحوية أشبه بالعلل الكلامية أم بالعلل الفقهية ، فإن كلا العرضين لا يحل الموقف تمام الحل . ذلك لأن علل الإعراب عرفت في أوائل القرن الثاني للهجرة قبل أن تزداع وتعرف علل المتكلمين والفقهاء وإذا صدق كلام ابن جنى والزنجشري على القرن الرابع والخامس ، فإنه ليس من السهل أن توضح به أحداث القرن الثاني . على أن فكرة العلية عند المتكلمين والفقهاء أنفسهم قد تأثرت بأصل أرسطي .

وذلك أن الفيلسوف اليوناني عرض لمبدأ العلية في كتبه الطبيعية والميتافيزيقية والمنطقية ، ويعيننا الآن الجانب المنطقي لهذا المبدأ . ففي « التحاليل الثانية » يشرح أرسطو العلل الأربع المادية ، والصورية ، والفاعلية ، والغائية ، ويبين مدى استخدامها في التعريف والبرهان

فالتعريف الصحيح هو الذى يوضح مادة الشيء وصورته ، أو يكشف عن باعته وغايته . والقياس العلمى الدقيق هو الذى يستخلص النتيجة من عللها الحقيقية ، وكلما كان الحد الأوسط أحد العلل الأربع كان الاستنتاج سهلاً يسيراً والاستدلال واضحاً قوياً .

ولم يعمل النحاة شيئاً أكثر من أنهم حاولوا أن يدعموا قياسهم بمبدأ العلية ، كما فعل أرسطو من قبل . فتلمسوا عللاً لما قرءوا وما سمعوا ، وقاسوا عليه كل ما يشترك معه فى علته . وتنوعت العلل عندهم كما تنوعت عند الفيلسوف اليونانى ، فلديهم علة تشبيه كبناء الاسم لمشابهة للحرف وإعراب المضارع لمشابهة للاسم ، وعلة استثقال كحذف واو يعد استثقالا لوقوعها بين ياء وكسرة ، أو علة تغليب مثل وكانت من القانتين . وقد غلوا فى هذه العلل إلى حد أفقدها كثيراً من قيمتها ، ومن أمثلة المتعلمين : « العلة النحوية كالوردة تشم ولا يضغط عليها . » وإذا كان ابن جنى والسيوطى قد تصديا للدفاع عن العلل النحوية ، فما ذاك إلا لما أخذ عليها من ضعف ووجه إليها من نقد .

* * *

هذه هى آثار منطق أرسطو فى النحو العربى وجه إلى بعض قواعده : وساهم فى تكوين بنيانه ، وأعان على رسم منهجه ، وكان عاملاً قوياً من عوامل عزارة مادته واتساع أبوابه ولكنه من ناحية أخرى أصابه - فيما يظهر - بشيء من العقم والصورية التى بلى بها المنطق الأرسطى نفسه فعنى بالصور والأشكال أكثر مما عنى بالدلالات والمعانى . وأكثر من

القوانين والضوابط فأثقل على العلماء والمتعلمين . وغلا فى القواعد بحيث أصبحت جوفاء لاتصدق إلا على حال أو أحوال محدودة ، ومع ذلك لم تخل من شذوذ واستثناء ، وأسرف فى التمارين غير العملية التى جاءت وليدة تشبيه وفروض وهمية لا أساس لها . ومن يقرأ شرح السيرافى على « كتاب » سيبويه أو شرح أبى حيان على التسهيل يلمس أن النحاة كثيراً ما أفسدوا النحو بما وضعوا من فروع وعلل وأصول وأقيسة ومسائل غير عملية .

وفوق هذا فتح مبدأ العلية على النحاة باب فلسفة مفرطة وثقيلة أحياناً ، فهناك على أول وثوان وثنال ، وقد يكون للمعلوم الواحد أكثر من علة يتأولها كل نحوى كما يترأى له . وفى باب الممنوع من الصرف أمثلة من تلك العلل المتهاقنة ، وفى باب الاشتغال ولا النافية أمثلة أخرى من تلك الاعتبارات الفلسفية غير المقبولة . وكثيراً ماورد فى المسألة قولان أو أقوال ، واستخدمت الملة الواحدة فى إثبات الشيء وضده .

وكان من نتائج هذا أن اختلف النحاة فيما بينهم اختلافاً بيناً ، اختلفوا مدارس كما اختلفوا أفراداً . وحد كل فريق فى الدواعى عن رأيه والتدليل على وجهة نظره ، واعتبرت التوجيهات النحوية ضرباً من النشاط الذهبى الذى افتن فيه أئمة افتنان . فكانت مثار جدل طويل لم يعد أرسطو الحيلة فى أن يعديه بوسائله الجدلية الكثيرة ومن الغريب أن الخلاف فيما يصح أن نسميه فلسفة النحو أشد من الخلاف فى النحو نفسه . ونظرة إلى « كتاب الإنصاف »

لابن الأنبارى تكفى لتوضيح ذلك ، فالبحريون والكوفيون مجمعون على رفع المبتدأ ، والخلاف بينهم فى علة الرفع : هل هى الابتداء أو الخبر ؟ والنحاة متفقون على نصب المفعول معه ، وإنما يختلفون فى علة هذا النصب فالجمهور يراها ما تقدمه من فعل ، والجرجاني الواو المقارنة لهذا المفعول ، والزجاج يضمن لذلك فعلاً خاصاً ، والكوفيون يقولون بعامل معنوى هو الخلاف . ولا أظننى أبيح لنفسى أن أثقل عليكم بسرد أدلة كل رأى من هذه الآراء .

ولو وقف الأمر فى هذا كله عند الخاصة والمتفرغين ، لقلنا لم شأنهم وليسلكوا من سبل البحث ما يشاءون . أما أن يفرض على شباب المتعلمين جميعاً ، فهذا تكليف بما لا طاقة عليه ، وإجهاد فى غير طائل . ولعل هذا هو الذى دفع ابن مضاء الأندلسى إلى

القول بإلغاء نظرية العامل ورفض القياس والعلل النحوية ، فوق ما كان لديه من اعتبارات أخرى نظرية . ولا شك فى أن نظمنا التعليمية خطت خطوات فسيحة فى إعفاء شباب المتعلمين من هذه الفلسفات العقيمة والخلافات غير المجدية ، ولكن لاتزال دعوة تيسير النحو قائمة . وما أوجبنا أن نصنفه تصنيفاً جديداً ، فنحذف منه ما لا لزوم له — وما أكثره — ونستغنى عن التأويل والتقدير فى الصيغ والعبارات ، ونقرب نحونا من روح العصر ومقتضيات الحياة الحاضرة ، ونراعى فيه تطور النحو فى اللغات الأخرى .

وإذا كانت لجنة الأحوال الشخصية ، بل والبرلمان قد يسرا للناس كثيراً من أمر حقوق الأسر ، فلن يعز علينا أن نيسر لهم قواعد لغتهم التى يتخاطبون بها ويكتبون قبل أن يتقاضوا ويختصموا .

الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية لحضرة العضو المحترم الأستاذ علي الجارم (*)

من زعم أن ذلك كان من غيرك أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت . ومن البين في ذلك قولهم في المثل : أتعلمني بضرب أناحرشته ؟

والقسم الثاني ألا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل وتمنعه من الشك ، فأنت لذلك تبدأ بذكره وتوقعه أولاً ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه ، لكي تباعده بذلك من الشبهة وتمنعه من الإنكار ، أو من أن يظن بك الغلط أو الزيد ، ومثاله قولك : هو يعطى الجزيل وهو يحب الثناء : لا تريد أن تزعم أنه ليس ههنا من يعطى الجزيل ويحب الثناء غيره ، ولا أن تعرض بإنسان وتخطئه عنه وتجعله لا يعطى كما يعطى ولا يرغب كما يرغب ، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه ، وأن تتمكن ذلك في نفسه ... ، قال عبد القاهر : وبما يحسن ذلك فيه ويكثر ، الوعد والضيان كقول الرجل : أنا أعطيك ، أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر ... وكذلك يكثر في المدح والفخر نحو :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى
لاترى الأدب فينا ينتقر

(دلائل الإعجاز ص ٩٩)

(*) بحث ألقى في مؤتمر الجمع (الجلسة الثامنة
أول يناير سنة ١٩٤٩) .

تقتضى العقلية العربية أن تكون الجملة الفعلية الأصل والغالب الكثير في التعبير ، لأن العربي جرت سليقته ودفعته فطرته إلى الاهتمام بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة وهي التي لا يريد فيها أن ينبه السامع إلى الاهتمام بمن وقع منه الحدث أو التي لا يهتم هو فيها بمن وقع منه الحدث ، فالأساس عنده في الإخبار أن يبدأ بالفعل فيقول : عدا الفرس ورعت الماشية ، وعاد المسافر . وقد يلتجئ العربي إلى الجملة الاسمية إذا كان القصد إلى الفاعل وإلى الإسراع بإزالة الشك فيمن صدر منه الفعل ، فيبدأ بذكره أولاً قبل أن يذكر الفعل لكي يخصصه به أو لكي يبعد الشبهة عن السامع ويمنعه أن يظن به الغلط أو الزيد . قال صاحب دلائل الإعجاز : «... فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدث عنه بفعل فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت : زيد قد فعل وأنا فعلت وأنت فعلت ، اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل . إلا أن المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين : أحدهما جلي لا يشكل وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له وترغم أنه فاعله دون واحد آخر أو دون كل أحد . ومثال ذلك أن تقول : أنا كتبت في معنى فلان وأنا شفعت في بابه ، تريد أن تدعى الانفراد بذلك والاستداد به وتزيل الاشتباه فيه وترد على

ثم انتقل عبد القاهر إلى الحديث في عادة العربى بالتعبير بالجملة الفعلية إذا لم يوجد مقتضى للاهتمام بالفاعل فقال : « ويزيدك بياناً أنه إذا كان الفعل مما لا يشك فيه ولا ينكر بحال لم يكذب على هذا الوجه ، ولكن يوثق به غير مبنى على اسم ، فلذا أخبرت بالخروج مثلاً عن رجل من عاداته أن يخرج في كل غداة قلت : قد خرج ، ولم تحتج إلى أن تقول : هو قد خرج . ذلك لأنه ليس بشيء يشك فيه السامع فتحتاج أن تحققه وإلى أن تقدم فيه ذكر المحدث عنه . وكذلك إذا علم السامع من حال رجل أنه على نية الركوب والمضى إلى موضع ولم يكن شك وتردد أنه يركب أو لا يركب ، كان خبرك فيه أن تقول : قد ركب ، ولا تقول : هو قد ركب . »

يتضح من هذا أن من طبيعة العربى تقديم ما يهتم به ، فهو مطبوع بشعوره الخاص على أن يبدأ الكلام بما يرى أن السامع في حاجة إلى تقديمه ، فلذا قال : « سبقت فرسى » فإنه يرى أن السامع يتطلع أولاً إلى وقوع الحدث وهو السبق ، ثم يأتي صدور السبق من الفرس ثانياً . وعلى هذا النمط يجرى في أكثر أخباره . ولكن إذا كانت الفرس معروفة بالبلادة والبطء وكان السامع لا يتوقع سبقها عدل عن الجملة الفعلية وقال : « فرسى سبقت » للإسراع بما يقتضى الدهشة والعجب .

ومما يستأنس به في هذا الباب ما جاء في دلائل الإعجاز من الكلام عن التقديم والتأخير بين الفاعل والمفعول به :

« واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه (أى في التقديم والتأخير) شيئاً يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام . قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول : كأنهم يقدمون الذى بيانه أهم لهم وهم بشأنه أعنى وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم . ولم يذكر في ذلك مثلاً . وقال النحويون : إن معنى ذلك أنه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه ، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجى يخرج فيعيث ويفسد ويكثر به الأذى ، أنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم منه شيء ، فلذا قتل وأراد مريد الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجى فيقول : قتل الخارجى زيد ولا يقول قتل زيد الخارجى ، لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ، ويعلم من حالهم أن الذى هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجى المفسد وأنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه »

« ثم قالوا : فإن كان رجل ليس له بأس ولا يقدر فيه أنه يقتل فقتل رجلاً وأراد الخبر أن يخبر بذلك فإنه يقدم ذكر القاتل فيقول : قتل زيد رجلاً : ذلك لأن الذى يعنيه ويعنى الناس من شأن هذا القتل طرافته وموضع الندرة فيه وبعده كان من الظن . ومعلوم أنه لم يكن نادراً وبعيداً من حيث كان واقعاً بالذى وقع به ولكن من حيث كان واقعاً من

الذى وقع منه . فهذا جيد بالغ إلا أن الشأن في أنه ينبغي أن يعرف في كل شيء قدم في موضع من الكلام مثل هذا المعنى ويفسر وجه العناية فيه هذا التفسير . « انتهى كلام عبد القاهر .

ومما يؤكد طبيعة العربي في تقديم ما يهتم به ماجرى عليه في الاستفهام . فإن هناك فرقا بين أن يقول العربي « أفعلت ؟ » وبين أن يقول « أنت فعلت ؟ » فهو يسأل في الصورة الأولى عن صدور الفعل لأنه يشك في صدوره ولذلك قدمه . أما في الصورة الثانية فهو لا يشك في الفعل ولكنه يشك فيمن فعله . ويأتى النفي على هذا النحو فقولك : « ما كتبت » غير أن تقول : « ما أنا كتبت » لأنك في الأولى نفيت عنك كتابة لم يثبت وقوعها أما في الثانية فقد صدرت الكتابة ، ولكنك تنفي صدورها منك . وإذا قلت « ما أكلت الطعام » فإن هذا لا يحتم أن يكون الطعام أكل ، ويجوز أن يكون أكل وأن آكله غيرك .

وتقديم الفعل على الفاعل هو الأصل ، فالمرء يهتم بالحدث أولا ، ثم يتجه إلى محدثه لأن الحدث هو الأمر الجديد الذى يعنيه شأنه ولذلك يمكن أن ندعى أن الأسلوب العربى هو الأسلوب الجارى على الأصل ، كلما خطر بذهن متكلم وقوع حدث من فاعله فهو يندفع أولا إلى ذكر الحدث ثم ينسبه إلى من صدر منه .

ودليل أهمية الحدث في طبيعة المتكلمين

أن اللغات تكتفى كثيرا ببناء الفعل للمجهول وتهمل فاعله ، لأن لحصول الفعل عندها المرتبة الأولى ، نعم أنهم ذكروا لإهمال الفاعل أسبابا كثيرة ولكن من أكثر أسباب البناء للمجهول عدم الاهتمام بالفاعل نفسه وحصر الإخبار في وقوع الفعل من شخص ما .

وقد يحتاج علينا محتج بأن منطق الأشياء كان يقتضى العكس ، وهو أن يقدم الفاعل على الفعل ، لأن ذكر الفعل قبل فاعله ذكر للأثر قبل المؤثر . وعلى ذلك جرت لغات أهل الغرب ، وعلى ذلك جرى العامة في مصر وغيرها من الأقطار العربية ، ولكننا نجب بأن المسألة ليست مسألة منطق ، وإنما هى مسألة شعور العربى بما يرى نفسه مندفعاً إلى الإسراع بالتعبير عنه .

ولعل أساس ميل العرب إلى البداءة بالفعل أنهم كانوا يعيشون عيشة بداءة تحيط بها المخاوف ويكتنفها التوجس ، وتكثر فيها المفاجآت فكان يهمهم أن يسرع المتكلم بذكر الحدث قبل من وقع منه الحدث ، فتقول مثلا . سطا الذئب ، وأغارت قبيلة بنى فلان ونضبت البئر ، إلى غير ذلك .

ثم إن الفعل في نظر العربى يتضمن فوق الحدث الذى يفيد نوع الفاعل على شيء مامن الإجمال . فإذا قيل مثلا : « عدا » فإنه يفهم قبل أن يذكر فاعل العدو أن الفاعل لابد أن يكون حيواناً ، وأن يكون حيواناً خاصاً مما يصح أن يعدو . ويتضح الأمر أكثر من هذا إذا قيل : « اجتر » مثلا ، فإن الفاعل ينحصر

في أنواع قليلة من الحيوان . فهو إذا قدم الفاعل استفاد أمرين : معنى الحدث ، ثم نوع الفاعل على الإجمال . وقد يدل الفعل على فاعل بعينه نحو : نقت الضفادع وماء القط الخ ...

والفعل يتضمن حدثاً وزمناً ، أو بعبارة أخرى يتضمن معنيين في آن : فالعربي يسرع بتقديمه بدل أن يقدم من صدر منه الفعل لأنه لا يفيد إلا معنى واحداً .

ثم إن العربي ميال بفطرته إلى الإيجاز وتجنب الفضول . فهو يقول : جاء الرجل ولا يقول الرجل جاء ، لأن الثانية تتضمن تكرار الإسناد لامحالة . وهو لا ياجأ إلى تكرار الإسناد إلا لغرض بلاغي . حقاً إن الكوفيين أجازوا تقديم الفاعل على الفعل ، وأن مثل قولك : « الرجل قام » لا يتضمن الفعل فيه ضميراً على رأيهم وإنه كقولك « قام الرجل » تماماً . ولكني أرى أن نحيزة العربي ألا يخل فاعلاً من فاعله ، سواء أكان هذا الفاعل ظاهراً أم ضميراً بارزاً أم مستتراً ، وأن ذوقه العام يقتضيه أن يقدم الفعل على الفاعل كما نراه

في الكلام الكثير من لغة العرب . ولو كان العربي يحيز تقديم الفاعل على الفعل لقال : « أنا قام » و « أنت قام » ، ولكنه يقول : « أنا قمت » و « أنت قمت » ولو ادعى مدع أن التاء في قمتُ وقتَ حرف للتكلم أو الخطاب في هذه الأمثلة ، فماذا يقول في قول القائل : « قمت لفلان » ؟ أيدعى أن هذه الجملة بلا فاعل ، أم ماذا يقول ؟

أما إذا أراد العربي أن يخبر عن اسم باسم ، فقد يكون الخبر اسماً جامداً وقد يكون وصفاً أي اسماً مشتقاً يدل على ذات متصفة بحدث ، وهذا هو الكثير الغالب وهو في هذه الحال يقدم الخبر عنه على الخبر إذا لم تدفعه لفظة بلاغية .

ذلك لأنه يعد الخبر صفة للإسم الأول ، ومن طبيعته أن يقدم الموصوف على الصفة . فهو يقول : الرجل قائم ، كما يقول : رأيت رجلاً قائماً . وليس من عادة العربي أن يعدل عن هذا النمط إلا لأغراض تقتضي العناية بالخبر فيقدمه .

مدرسة القياس في اللغة

لحاضرة العضو المحترم الدكتور أحمد أمين (*)

واستنباط الأحكام منه ، وأهل الرأي أو أهل القياس ، وهم الذين يقيسون ما لم يرد فيه نص على ما ورد فيه نص ، وهذا هو الشأن في كل جماعة يشتغلون بكل علم : منهم من يقف عند ما قرره العلماء ، ومنهم من يبتكر ويستنبط ويبين خطأ من قبله ويصححه .

وكذلك الشأن في اللغة حتى بين الأدباء فمن الشعراء والأدباء من كان يلتزم ما ورد في اللغة ولا يخرج عنه بحال من الأحوال ، ومنهم من كان يجيز لنفسه أن يحدد . فيحكى عن العجاج وابنه ربيعة أنهما كانا يصوغان ألفاظاً لم يسبقا إليها . ويروى عن بشار أنه كان يقيس ما لم يرد على ما ورد : فرأى العرب تصوغ فعلى من الفعل للدلالة على السرعة فقالوا جمرى لسرعة السير فقام عليها وقال :
والآن أقصر عن سمية باطلى
وأشار بالوجه على مشير

وقال :

على الغزلى منى السلام فربما
لهوت بها في ظل غنضلة رهـ
وعابه المحافظون على ذلك فقالوا لم يسمع
من العرب وجلى ولا عزلى .

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة التاسعة للمؤتمر (٣ من يناير سنة ١٩٤٩) ، وانتهى المؤتمر بعد مناقشته إلى قرار في الأخذ بمبدأ القياس (انظر القرار الأول من القرارات العلمية لهذه الدورة)

من طبيعة الأشياء أن يكون في كل جماعة بلغت شأوا ما من الرقي ، طائفة من المحافظين وطائفة من الأحرار .

فالمحافظون بطبيعتهم ميالون إلى السير على القديم من غير تفكير في تغييره ولا الخروج عليه ، ويدعوهم إلى ذلك : إما خمودهم الذهني وفقدان النشاط العقلي الذي يبعث على التفكير ويدعو إلى التغيير وإما حب السلامة وعدم تنغيص الحياة بما يستوجب التجديد من الاضطراب والتعرض للنقد ، وإما منفعتهم الشخصية من النظام القديم على وجه ما ، وإما إخلاصهم للقديم وإجلالهم له لما أسبغ عليه من تقديس .

والأحرار ميالون إلى التجديد يدعوهم إلى ذلك نشاط دهنهم وما يرونه في القديم من عيوب تدعوهم إلى نقدها وتغييرها ولهم من الشجاعة والغيرة ما يحملهم على مجابهة القديم والدعوة إلى الجديد .

هذا هو الشأن دائماً في تاريخ الحياة الإنسانية وقد كان هذا عند العرب كما كان عند غيرهم . فالدعوة إلى الإسلام نفسه دعوة إلى التجديد وكان في الصحابة أنفسهم محافظون وأحرار قد يمثلهم جميعاً عمر بن الخطاب وابنه عبد الله .

وجد هؤلاء الأحرار والمحافظون في الفقه فكان أهل الحديث الذين يقفون عند جمعه

وأشدد الخليل رجل فقال :
 « ترافع العزّ بنا فارفنعنا »
 قال الخليل : فقلت هذا لا يكون . فقال :
 كيف جاز للعجاج أن يقول :
 « تقاعس العزّ بنا فاقعنسنا »

على كل حال ، بدأ العلماء يجمعون اللغة من أفواه العرب سواء في ألفاظها وأصاليها وقد بذلوا في ذلك جهداً مشكوراً وتحملوا في ذلك من العذاب ما لا يستطيعه إلا أولو العزم وفضلوا أن يأخذوا عن العرب العرباء الذين لم تفسدهم الحضارة ولا الاختلاط وعدوا أصبح من تؤخذ عنهم اللغة ، وهم قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يأخذوا عن غيرهم من سائر قبائلهم كما لم يأخذوا عن حضري ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم .

ولكن يؤخذ عليهم أنهم ساروا في الجمع حينما اتفق فلم يفرّدوا كل قبيلة بما أخذ عنها ولو فعلوا ذلك لأفادونا فائدة كبرى . وفي رأي أن كثيراً من الاضطراب في اللغة كالذي نراه في أوزان جموع التكسير المختلفة ، وجمع الكلمة على أشكال عدة مثل جموع ناقة وعبد ، سببه اختلاف لغات القبائل وأن كل لغة كان لها موازينها القياسية المطردة غالباً ، وكذلك اختلاف أوزان الأفعال الثلاثية كثير منها كان سببه هذا ، وكذلك تعدد المصادر للفعل الواحد ففعل لقي مثلاً له أكثر من عشرة مصادر وما أظن أن قوما عقلاء يجعلون لغتهم مصادر أكثر من عشرة لكلمة واحدة . وهذا ما جعل اللغة العربية تنوء بالترادفات . فلو أن جامعي

اللغة جمعوها على نمط منظم لأفردوا كل لغة بمجموعة وكان هذا يفيدنا كثيراً في تنظيم لغتنا وحذف ما يحذف وإثبات ما ثبت .

كما يؤخذ عليهم أنهم لم يفرّقوا في جمعهم بين اختلاف الكلمات الواحدة من حيث مادتها وبين الكلمات المختلفة بحسب اللهجات فقد تكون الكلمة واحدة في الأصل ولكن اختلفت لهجات القبائل في وضع حرف مكان حرف أو تقديم حرف وتأخيرها مثل أن تقول قبيلة : نكف عن الشيء وقبيلة كنف ومثل عاث يعيث وعثا يعثو والشيء الشائع والشيء الشاعى وبضا بالمكان وباض أى أقام ومثل كدر وكدل وكدن إلى كثير من أمثال ذلك . والمعاجم مملوءة بها وبتعدادها ، مع أن الواضح فيها أن أصل المادة شيء واحد واختلفت فيها اللهجات ، فلما جاء أصحاب المعاجم جمعوا هذا حينما اتفق أيضاً . وكان الواجب أن يكون بعد هذا الجمع الترتيب والتبويب والغرلة والدراسة كما هو الشأن في كل علم تجمع مادته الخاصة حينما اتفق ثم تفحص وترتب حسبما يدل عليه العلم ، فمثلاً : جمع المشتغلون بالحيوان أصناف حيوانات البحر وسموها سمكا اعتماداً على سكنى الماء وتمائل الصورة وجعلوا صنفاً يسمى الوهيل من السمك لهذه الشواهد الظاهرية فلما عني علماء الحيوان بالبحث وجلوه من ذوات الثدي فألحقوه بالخيول والبقر وأخرجوه من دائرة الأسماك .

وعد الأقدمون الأجرام السماوية من ذوات النفوس لما شاهدوا في حياتهم الأرضية من أن المتحرك من غير محرك محسوس لا يكون إلا

ذا نفس وإرادة فجعلوا للنجوم نفوساً وإرادات وعدوها أرقى من الإنسان لأنها في السماء وهم في الأرض . فلما اكتشف قانون الجذب ، وتقدم العلم تبين أنها ليست بذات أنفس وإرادات وإنما هي مادة جامدة كالأرض إلى كثير من هذه الأمثلة .

وقد قصر أصحاب المعاجم في تحميم المستقصى عن النمط العلمي .

وكان هذا الجمع هو المادة الخامة للغويين والحويين . فأما النحويون والصرفيون فقد برعوا في القياس إلى أقصى حد ، فكل علمهم قياس . نظروا إلى الأعم الأغلب فجعلوه قاعدة وجعلوا ما جاء على خلافها شاذاً لا يصح لنا الإتيان بمثله . فالعرب لم تلتزم مثلاً بصب اسم إن ولا رفع خبرها ولا عطف المرفوع على المرفوع والمنصوب على المنصوب وهكذا بل ورد في القرآن رفع اسم إن في قوله تعالى « إن هذان لساحران » وجاء فيه . « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » . وقوله « إن الدين آموا والذين هادوا والصابئون والصاري » . فقعدوا قواعدهم على الكثير العالب . وكذلك الصرفيون في قواعد الإعلال والإبدال واشتقاق صيغ اسم الفاعل والمفعول والزمان والمكان الخ فضبطوا بذلك اللغة في اختصاصهم ، وكل هذا عن طريق القياس .

أما اللغويون فسادت عليهم المحافظة وقلت فيهم الحرية . وليس الاختلاف في أن اللغة توقيفية أو غير توقيفية إلا مطهرات من مظاهر المحافظة والحرية فمن قال بأنها توقيفية أو عبارة

أخرى من وضع الله أسنخ عليها حلة من التقديس والتزمها من غير تصرف فيها . ومن قال إنها غير توقيفية أو بعبارة أخرى من وضع البشر كان أكثر حرية في التصرف فيها .

على كل حال يرى كثير من اللغويين وقفوا عندما ورد وكانوا محافظين ومن هؤلاء . جامعوا اللغة كالأصمعي وابن الأعرابي وأبي زيد فلم يكونوا يستريحون لأنفسهم أن يقولوا كلمة أو يشتقوا اشتقاقاً إلا عن سماع ، ومن هؤلاء أيضاً أصحاب المعاجم كالجوهري والفيروزابادي وابن منظور فلم يقيسوا على ما روي ، وإن اختلف بعضهم عن بعض في زيادة الكمية المروية أو نقصها ، وكثرة الاستشهاد وقلته ، وذكر أسماء البلاد والأعلام أو عدمه ، ونحو ذلك

وبحان ذلك قلة من القياسيين أو بعبارة أخرى مدرسة القياس وربما كان من أعلام هذه المدرسة أبو علي الفارسي وتلميذه ابن حي .

فأما أبو علي الفارسي ففارسي الأب عرني الأم . مات بغداد سنة ٣٧٧ في أيام الطائع لله عن سيف وتسعين سنة طوف كثيراً في بلاد الشام وأقام بحلب مدة وخدم سيف الدولة ابن حمدان ثم رحع إلى بغداد وخدم عصف الدولة وبقى بها إلى أن مات

وقد كان معاصراً لأنى سعيد السيراني وكان أبو سعيد هذا أكثر من الفارسي رواية وكان الفارسي أكثر منه قياساً حتى لقد قال أبو علي

الفارسي : « لأن أخطئ في خمسين مسألة مما يابه الرواية أحب إلى من أن أخطئ في مسألة واحدة قياسية . وقد قال فيه بعض تلاميذه : « أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا » . وما العلل إلا مقدمة القياس .

وكان يقول : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . فإذا عربت لفظة أعجمية أجريت عليها أحكام الأعراب وعددها من كلام العرب ، وأجيز الاشتقاق منها : كما عرب العرب لفظة الدرهم واشتقوا منه دَرَهْمَتُ الْحَبَّازِ أي صارت كالدرهم وقالوا رجل مُدْرَهَمٌ ، أي كثرت دراهمه .

وكان يقول : لو شاء شاعر أو ساحر أو متسع أن يبنى يلحاق لام الكلمة اسماً أو فعلاً أو صفة لجاز له ولكان ذلك من كلام العرب . وذلك نحو قولك : خرجت أكرم من دخلت وضربت زيد عمرأ ، ومررت برجل ضربت وكرم ونحو ذلك . فقال له تلميذه ابن حنبل أفتر تجل اللغة ارتجالاً ؟ قال ليس بارتجال ، لكنه مقيس على كلامهم فهو إذن من كلامهم ثم قال : ألا ترى أنك تقول : طاب الحشكنان فتجعله من كلام العرب وإن لم تكن العرب تكلمت به هكذا . قال : فرفعك إياه كرفعها ما صار لذلك محمولاً على كلامها ومنسوباً إلى لغتها .

وكان جريئاً إلى حد لم يصل إليه إلى اليوم فكان من رأيه أن الألف اللينة في الكلمة الثلاثية تكتب ألفاً مطلقاً سواء أكان أصلها

واواً أم ياءً وقد علل ذلك بحمل الخط على اللفظ .

وأما ابن جني فهو من أب رومي وكان من أمهر العلماء في التصريف . مات في سنة ٣٩٢ في خلافة القادر . اجتمع بالمتنبي في بلاط سيف الدولة وكان المتنبي يقول فيه : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » وكتابه الخصائص نحا فيه منحى جديداً طريفاً يدل على تذوقه للغة وتعمقه في فهم أسرارها ومحاولة فلسفتها . وقد صلب أبا علي الفارسي أستاذه أربعين سنة واستوعب علمه وزاده تفصيلاً وتعليلاً وتدليلاً . وقد رأى الفقهاء وضعوا للفقه أصولاً والمتكلمين وضعوا للعقائد أصولاً فأراد أن يضع للغة والنحو كذلك أصولاً فكان بذلك واضع علم جديد يقول فيه : « إنه من أشرف ما صنف فيه من علم العرب وأذهب في طريق القياس والنظر وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة . » ووصف ما كان يعاني في ذلك الباب من إمعان النظر وطول التفكير ومقارنة الأشياء بالأشياء وموازنة الظواهر بالظواهر فكان له من ذلك كله اكتشاف كثير من حقائق اللغة . وسر الوضع ، ورسم مناهج القياس

وكان له فصل كبير فيما سمي الاشتقاق الكبير وهو الذي سماه بهذا الاسم . وقد تنبه إليه أستاذه أبو علي الفارسي . قال ابن جني : « إن أبا علي — رحمه الله — كان يستعين به ويخلد إليه لكنه مع ذلك لم يسمه وإنما كان

المؤسسة على الرواية وانكشئت طريقة المعتزلة المؤسسة على العقل والقياس وأثر ذلك في وقوف جميع العلوم ومنها اللغة .

وقد كان للمعتزلة أثر كبير في القياس في اللغة يظهر في قولهم بأن اللغة اصطلاحية من وضع البشر لاتوقيفية ، كما يظهر في تحرر الجاحظ وأمثاله من المعتزلة في تشقيهم الكلام واستعمالهم للمولد من الألفاظ بل والأعجمي ، وكما يظهر أيضاً في أن زعيمى مدرسة القياس وهما أبو علي الفارسي وابن جني كانا من المعتزلة ، وكما يظهر في البحوث اللغوية الطريفة التي حققها الزمخشري في كتبه وتفريجه بين دلالة الألفاظ عن طريق الحقيقة ودلالاتها عن طريق المجاز وهو معزلى أيضاً . فلما ذهبت دولتهم غلبت دولة المحافظين في اللغة كما هو الشأن في كل علم . فإن قلت إن العلم العربي وقف عند نكبة المعتزلة أو بعدهم بقليل - لأن أثرهم لم يمح مرة واحدة بل ظل قرناً أو أكثر يعمل بحكم دفعهم القوية - وقلت : إن العلم أصبح في الأعم الأغلب جمعاً ورواية وتأليفاً لفترق وتفريقاً لمجتمع من غير نظر عقلي قوى أو ابتكار ، لم تكن بعيداً عن الصواب .

وبحسب إذا أيدنا القول بالقياس في اللغة ودعونا إليه فما الذي نريده ؟ وما الذي نستفيد منه في مثل موقفنا ؟

يمكننا أن نستفيد من القول بالقياس في اللغة فوائد كثيرة من أهمها في نظرنا :

يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه . فجاء ابن جني فوسعه ونمّاه وسماه ، وسمى الاشتقاق المعروف في أيدي الناس بالاشتقاق الصغير كأن نشق من كتب : يكتب وأكتب وكاتب ومكتوب ومكتب وكتاب ... الخ ... أما الاشتقاق الكبير فيعنون به حصر أصول الكلمة وتقليبها على وجوهها المختلفة وأن تستخرج منها التباديل والتوافيق وتقرن بينها كأن تأخذ كلمة كلم وتحولها إلى . ك م ل ، م ك ل ، ل م ك ، ل ك م ، ل م ك . وتمعن النظر فيها لتنظر هل هذه الحروف إذا جمعت كلها على نحو ما دلت على شيء واحد يتنوع بتنوع تركيب هذه الحروف : فتستخرج مثلاً أن هذه الحروف الثلاثة إذا اجتمعت دلت على القوة وتستخرج معنى القوة من كل ما دلت عليه في أشكالها المختلفة وهذا باب عظيم من أبواب أصول اللغة يتفوق فيه ابن جني .

ومما يؤسف له أن مدرسة القياس هذه لم تستمر في سيرها حتى توثق ثمارها فإن النكبة التي أصيب بها المعتزلة نكبة أصيب بها العلم العربي كله . فقد كانت الحرب بين المعتزلة والمحدثين حرباً أيضاً بين منهجين للعلم : منهج تحكيم العقل مع المحافظة على أصل الدين - وهو المنهج المعتزلة - وهو منهج البحث والتجربة والاستدلال العقلي والشك والقياس وما إلى ذلك كما يظهر في منهج النظام والجاحظ وأشباههما ، ومنهج الذين يقتصرون على الرواية والجمع والتحريج والتعديل وما إلى ذلك وهو منهج المحدثين . فلما نصر المتوكل المحدثين ونكل بالمعتزلة سادت طريقة المحدثين

جديدة من مثل ما أثبتته دوزي في معجمه لما
بالنا لاثبتته في معاجمنا قياساً على ما فعل العرب؟

(٤) أننا نجد العرب أحياناً يلحظون في
الشيء معنى من المعاني فيسمونه باسم مشتق
من الكلمة التي تدل عليه ، فقد سموا القارورة
قارورة لأنهم لحظوا أن الشيء يقر فيها وسموا
الدار داراً لأنه يكثر فيها الدوران ، فلماذا
لانتعمل هذا الباب فيما يقابلنا من كثير من
ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية الكثيرة
التي نقف أمامها حائرين ولانشتق من الكلمات
العربية كلمات تدل عليها ملاحظين مانلمحه
من معنى فيها ؟

(٥) وهناك باب أخطر من ذلك وأجراً
وهو التفهم في عمق وأناة . كيف وضع العرب
لغتهم ؟ فرى مثلاً أن العرب كان لها ذوق
مرهف في وضع الكلمات استناداً على محاكاة
الأصوات تارة بتقليد الأصوات كما سموا
صوت الماء خريراً وصوت الحجر صكاً
وصوت الريح هبوباً والصفدع نقيقاً واللبن
دراً والمريض أنيناً الخ ... محاكاة للأصوات
التي يسمعونها أو يتخيلونها من صوت هذه
الأشياء . ثم صاغوا من هذه الأسماء أفعالا
ثم توسعوا في الاشتقاق منها للدلالة على ما يشبهها
وما يقرب منها . فاللغة عند حدوثها الأول
كانت أصواتاً يحدثها المتكلم حاكياً للأصوات
المسموعة ، ثم صارت تلك الأصوات المحكية
علامة لما يسمع بالأذن أو يبصر بالعين أو
يلمس باليد أو يشم بالأنف أو يعقل بالعقل
شأنها في ذلك شأن الخط . كان عند حدوثه
تصويراً للمحسوسات فالماء للبيت والعين للعين

(١) أننا نجد كتب اللغة كثيراً ما تذكر
المصادر ولا تذكر أفعالها أو العكس ،
أو يذكر الفعل ولا يذكر من أي
باب هو ، فالقول بالقياس يمكننا
من تكميل هذا النقص بحمل المجهول على
المعلوم . فترايناهم يكثر من المصادر على
وزن خاص إذا كان الفعل على وزن خاص في
الأعم الأغلب أمكننا أن نقيس ما لم يذكر وأعلى
ما ذكرنا وأن نعهده من كلام العرب وهكذا .
وهذا الباب يكمل نقصاً كبيراً في المعاجم .

(٢) أننا إذا وجدناهم يشتقون وزناً خاصاً
ويستعملونه للدلالة على شيء خاص أمكننا أن
نقيس عليه ما لم يذكرنا . فإذا وجدناهم مثلاً
يصوغون « فَعَّال » للدلالة على محترف الحرفة
أو المهنة كنجار وحداد وفعال أمكننا أن
نقيس عليه من أسماء أصحاب المهن والحرف
ما لم يذكره .

(٣) الاعتراف بالمولد والدخيل وعده
عريباً وإدخاله في معاجمنا مادام يجري على الصيغ
العربية ويسير على نمط العرب في وضعهم أو
اشتقاقهم ، مثل كلمة الوزائع وقد استعملها ابن
خلدون بمعنى الضرائب التي يوزعها الحاكم
على الرعية . ومثل : تنذر إذا جاء بالنادرة
وتنادر عليه إذا جعله موضع نادرته وقد
استعملها صاحب الأغاني ، ومثل : المقيدة
وهي الدفتر الذي يكتب فيه الرجل ما يمر به
تذكرة لنفسه . ومثل تفرج بمعنى اطلع على
الشيء ليتسلى به ، ومثل مثات الكامات التي
استعملت في العصور المختلفة للدلالة على معان

ثم صارت علامة للأصوات المسموعة ، ولكن عادة يكون صوت الحاكى أقصر من المحكى فيكتفى في الحكاية بالرمز أما في النحت والتصوير فتكون الحكاية كاملة .

والأمر في دلالة الكلمات على الأصوات أدق مما يتصور ، وكثيراً ما تعتمد الكلمة في حكاية الصوت على حرف يدل عليه وتكمل بقية الحروف لخدمته ، فحرف السين أساسى في كلمة التنفس والحس واللمس لأنه يتخيل في مدلولها صوت السين عند الاحتكاك ، وحرف الراء هو الأساسى في البحر والنشر والفجر والنحر والبلر والفر لأنه يتخيل في هذه الأشياء كلها صوت الراء ، وحرف النون هو الأساسى في الظن والرن والغن ، وحرف القاف في الدق والشق والطرق وهكذا .

وعند تحرى هذا الباب نراهم يحاكون أولاً صوت المسموع بالأذن ثم ينقلونه إلى المبصر بالعين ثم ينقلونه إلى المحسوس بيباقى الحواس الخارجية ثم إلى المعقول بالعقل . فثلاً لو نظرنا إلى كلمة حس وتبعناها وجدنا أن المصدر الأصلى لحس كان صوتاً سينياً تخيلوا أنه يسمع عند الحس أى عند المس باليد ثم انتقلوا من الإحساس باليد إلى الإحساس بغيرها فسموا كل ما يشعر به محسوساً وسموا الآلات التى يحس بها حواس ثم أطلقوها على العلم الحادث من الحواس وعلى اليقين الحاصل من العلم بها واشتقوا أحس بالشئ إذا أدركه بحاسته ونقلوه إلى أحسست بالشئ أى أيقنت به ، ولو تتبعنا المادة لوجدناها كلها من هذا القبيل متدرجة على نحو ظريف . ثم فوعوا هذا

الصوت السينى فجعلوه مرة حساً ومرة لمساً ومرة مساً ... ولو تفحصنا هذا الباب على هذا النمط لأفادنا فائدة كبرى ولدلنا على أن مصادر اللغة التى تحاكى الأصوات فى منبعها الأول كانت مصادر محصورة تعد بالعشرات فإن توسعنا قليلاً قلنا بالمئات ، ثم تضخمت هذه المصادر بالاشتقاق الصغير والاشتقاق الكبير على مدى الأزمان وعلى حسب ما يجد من المعانى وما يقرب من المصادر الأصلية ، وهو باب يفيدنا عندما يفسر أصحاب المعاجم أو المفسرون للقرآن والحديث والنصوص الأدبية اللفظ بتفسيرات مختلفة فستطيع به أن ترجح قولاً على أقول ورأياً على رأى ، كما نستفيد منه استكشاف بعض الأغلاط التى وردت فى معاجم اللغة ومنشؤها خطأ فى النقل أو تصحيف فى الكتابة أو نقل عن أئمة أو نحو ذلك ، وهذا باب عظيم يحتاج الكلام فيه إلى أكثر من محاضرة وإذا كان ابن جنى قد سمي ما اكتشفه الاشتقاق الكبير فيصح أن نسمى هذا الضرب الاشتقاق الأكبر .

وتارة كانوا يلحظون ما بين الحرف والمعنى من مناسبة فيلاحظون فى الحاء إذا أتت فى آخر الكلمة دلالة على الاتساع والانتشار مثل ساح وباح وصباح وشرح ومرح . والكلمة المبدوءة بالشين على التشتت والتفرق مثل شنت وشطر وشعث وشع الخ ... والكلمات المبدوءة بالغين على الغموض مثل غمض وغابت الشمس وغيش الليل وغار الماء وغطى الشئ الخ ... وقد فطن بعض كبار اللغويين إلى هذا الأمر ونهبوا عليه كما يفعل الترغشرى كثيراً فى تفسيره .

وهذا الأمر وإن لم يصرح العرب به ، فقد كان مركزاً في طبيعتهم مندساً في أذواقهم يعتمدون عليه في وضع الكلمات والاشتقاق منها ، فمن بلغ من قوة الحس مبلغهم ومن دقة الملاحظة دقتهم ، كان له بمقتضى القياس مثل ما لهم .

ولكن من الذى يجوز له هذا ؟ إننا إذا قلنا بجوازه لكل فرد كان الأمر فوضى وتعرضت اللغة للاضطراب ولكننا نقول كما قال الفقهاء ونحذو حلومهم ، ففى عصورهم الزاهية كان الاجتهاد وكان البحث فى المجتهد والقول فى شروطه ، وحصروا قياس الأحكام وتقويم العدالة وصحة الحكم فى يد المجتهدين ، وشرطوا للمجتهد شروطاً تتلخص فى أن يكون محيطاً بمدارك الشرع متمكناً من وسائل النظر فيها والاستنباط منها ، وعلى الجملة يكون فضلاً عن مواهبه الذهنية مثقفاً ثقافة شرعية وما يلزمها من ثقافة لغوية ونحوية الخ . وعلى هذا القياس يجب أن نقول فى المجتهد اللغوى ، فلا بد أن يكون مثقفاً ثقافة لغوية وأدبية واسعة متمكناً من النحو والصرف

لأنهما وسائل من وسائل إتقان اللغة وفوق ذلك أن يكون له ذوق قد أرهف بكثرة القراءة اللغوية والأدبية ومعرفة بسر الوضع على النحو الذى أبتأ ، حتى يستطيع أن يدرك بحسه الذى كونه الثقافة وعلمه العميق الجيد من الردىء وما يصح وما لا يصح ونحو ذلك . كما يستطيع بهذه المؤهلات كلها أن يتخير اللفظ المناسب للمعنى المناسب إما بوضع جديد أو اشتقاق من لفظ قديم ، فإذا بلغ هذا المبلغ كان له الاجتهاد اللغوى كما كان لنظيره الاجتهاد الفقهى .

وكما أن للهيئات القضائية مركزاً هاماً يستند إليه فيما يصدر عنه من أحكام ويستأنس بما وصل إليه فى القضايا المعروضة من اجتهاد فذلك يجب أن يكون الشأن فى اللغة - فى الاجتهاد وشروط المجتهد والجمعيات اللغوية التى تتمثل فى الجامعات وأشباهها . لا يمكن أن نحيا أمة حياة صحيحة إلا بالاجتهاد . الاجتهاد فى التشريع والاجتهاد فى كل علم من العلوم والاجتهاد فى اللغة . ودعامة الاجتهاد التى يركز عليها هى القياس . والله الموفق .

المعاجم الأوربية الحديثة ومدى ما تستفيده المعاجم العربية منها لحضرة العضو المحترم الأستاذ ل. ماسينيون (*)

الكلمة الثانية: Locution Remarquable

في الفرنسية ، ومعناها التراكيب المشهورة - مثل «مكارم الأخلاق» ، فلا بد من ذكر مثلها في المعاجم ، لأنها من خصائص الآداب ولا بد من بيان أول نقل ثقة لها في النظم أو النثر . وهذا ما يستفيده معجمنا الكبير من جزازات معجم فيشر . ومثلاً مكارم الأخلاق أول ورود لها في الديوان المنسوب لامرئ القيس . ولنا أن نذكر الطبعة والصحيفة في المعجم .

الكلمة الثالثة: Réurrence أو Fréquence

وهذا يدل في الفرنسية على معنى «الورود» ، وقد أشار القلقشندي في صبح الأعشى ج ٩ ص ٢٣٢ إلى ترتيب ورود الحروف ٢٨ في المتون العربية وله رمز (أ ل م ي و ن هـ) للدلالة على تدرج ورود هذه الأحرف كثرة وقلة . ولا بد أن نذكر في المعجم تحت كل حرف مفرد وروده ، لأن هذا من خصائص اللغة العربية بين اللغات السامية ، بل بين اللغات جميعاً . ولنا أن نذكر تحت كل حرف مفرد ورود هذا الحرف في المصحف ، مثلاً الظاء أقل الأحرف وروداً . وعدد مرات ذكره ٨٤٢ ، وأما الألف فعلى حساب ابن

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية عشرة للوثوم وورفق على إحاطته إلى لجنة المعجم اللغوي الكبير (انظر القرار الثاني من «القرارات الإدارية والتنظيمية» في هذه الدورة) .

إذا رجعنا إلى المعاجم الأوربية الحديثة وجدنا فيها مما تستفيده المعاجم العربية صنفين :

الأول : المعاجم الأوربية المختصة بالعربية مثل معجم W.Marçals في لهجات تكرونة ومعجم فيشر الموجودة بعض جزازاته بالمجمع ومعجم فيشر لشواهد النحويين وعددها ١٠٢٤

الثاني : البرامج الحديثة التي بدئ النظر فيها لجميع اللغات على مقتضى نظرية علم الصوتيات لمؤسسها Troubetzkoy وميز بين علم الصوتيات وهو Phonologie وبين علم الأصوات وهو Phonétique . فعلم الصوتيات تركيبى ، وعلم الأصوات تحليلي . وأهمية نظرية علم الصوتيات هي بحث الأشياء جملة كما هي في الحياة لا تفصيلاً كما في علم التشريح .

ونحن نذكر سبعة من المصطلحات الحديثة في فن الصوتيات لا بد من ترجمتها إلى العربية وهي تدل على ما يجب أن نتجه إليه من فائدة للمعاجم العربية :

الكلمة الأولى : Hapax في اليونانية ومعناها الشاهد الأحادي (وهو مقابل : «أخبار الآحاد» في مصطلح الحديث) . وعلى نظرية علم الصوتيات لا يمكن أن نذكر في معجم ما الشواهد الأحادية إلا برمز يشير إلى أنها طريقة حارقة للعرف المستعمل ، خشية أن تكون من أغاليط السمع .

مجاهد ٤٨٨٩٢ ، ويطبق مثل ذلك على الحركات أيضاً لبيان امتياز ورودها في اللغات السامية ، وهذا مما لا غناء عنه في المعاجم . مثلاً الكسرة عند العبرانية ١٧٪ وفي العربية ٧٪ وفي السريانية ٦٪ وهذا عظيم الشأن في قياس علم تركيبى مثل علم الصوتيات .

الكلمة الرابعة : Incompatibles ومعناها الحروف المتنافرة ، وهذا بحث تولاه اللغويون من ناحية والبلاغيون من ناحية أخرى . ولا بد من أن يذكر في المعجم مراتب الأصول الثلاثية التي لا يمكن النطق بها لاشتمالها على حروف متنافرة .

الكلمة الخامسة : الحروف Opposées ومعناها المتباعدة ، أعنى أن الفرق الثابت بين الحروف المتناسبة أبعد مخرجاً في النطق ، مثلاً هناك تباعد بين الفاء والباء والميم ، وهذا التباعد ثابت يميزها ويمنع الاشتباه بغيرها ومن المشهور أيضاً التباعد بين الضاد واللام مثل قضب وقلب ، وضغظ ولغظ . والتباعد بين الهمزة والعين ، مثل آهل وعاهل . وللمؤلف اللغوى Cantineau كتاب جديد طبع في باريس في أهمية بحث الأصول الثلاثية التي لها حروف متباعدة في المعاجم ، وقال لا بد أن يذكر في المعاجم تحت الضاد أنه متباعد بالنسبة للام ، وكذلك في اللام والضاد ، والعين والهمزة . وهذا التمييز مقبول أيضاً بين الكلمات أسماء وصفات كما هو في الحروف . يقول علماء الصوتيات إنما الإنسان إذا فكر

في مادة عامة كاللون ، ففكرة الأسود كامنة في ضميره إذا ذكر الأبيض ، لأن الفكر تركيبى ، وفكرة اللون تجمع النقيضين ، فالقطبان هما حدان يشيران إلى منتهى التباعد ، وأحدهما ملازم للآخر في التصور الذهني وفي الاصطلاح النطقى . وهذا الأصل اللغوى حجر الزاوية في نظرية علم الصوتيات من حيث هو علم تركيبى . ويحوز أن نستخرج من هذا المذهب نتائج مهمة في استعمال أصول ثلاثية مثل غفر فن معانيها التوبة ومن معانيها الرجوع إلى الذنب .

الكلمة السادسة : الكلمات Homonymes

أى المتواردات ، وهذا راجع إلى الاسم المشترك . فلا بد من ذكرها في المعجم مع أشباهها المسماة Paronymes وقد كتب فيها اللغويون العرب كتباً وتناولوا فيها تناولوه التصحيفات الخفيفة ، ولا بد من ذكرها بين قوسين في مادة الكلمة . وكذلك المترادفات ، لا بد من ذكرها في جدول خاص في أول المادة .

الكلمة السابعة : القيمة الوظيفية للحرف مفرداً Valeur Fonctionnelle وقد أشار مارسى إلى النقصان في المعاجم المشهورة في تنظيم تنوع القيمة الوظيفية للحروف المفردة كاللام ، فلما تجىء للابتداء والتأكيد والبعد والجحود والاستحقاق والتعجب ... الخ . ويمكن على أساس نظرية علم الصوتيات أن ننظم ذلك في المعجم .

الشواهد على قاعدة توهم أصالة الحرف لحضرة العضو المحترم الشيخ عبد القادر المغربي (*)

وأول هذه الشواهد أو هو الأساس الذي شيدت عليه قاعدة (توهم أصالة الحرف) ما قرأته في كتاب الأغاني عن «عمارة بن عقيل» فقد كان عمارة هذا من شعراء البادية في القرن الثالث للهجرة . وكان يطرأ على الحضرة فتؤخذ عنه اللغة . واشتهر بالفصاحة حتى قالوا فيه (إن الفصاحة ختمت به في شعراء المحدثين) . قال صاحب الأغاني : أنشد عمارة هذا قصيدة من شعره وقع فيها لفظ (أرياح) جمعاً لرياح فاعترضه إمام اللغة أبو حاتم السجستاني قائلاً : « هذا لا يجوز إنما هو الأرواح بالواو . فقال عمارة معتزلاً : لقد جذبني إليها — أي إلى أرياح — طبعي . أما تسميهم بقولون (رياح) بالياء أيضاً ؟ فقال أبو حاتم : هذا خلاف ذلك قال عمارة صدقت . ورجع إلى الصواب . فلم يعد من يومئذ يجمع ريح على أرياح بل على (أرواح) إذ لا داعي لقلب الواو ياء في (أرواح) بخلاف (رياح) التي أصلها (رواح) فإنه يجب قلب واوها ياء لوقوعها لآخر كسرة .

ألا ترون أيها السادة أن عمارة كان معنوراً في توهمه وانجذاب طبعه وما وقع له يقع لغيره فهانحن أولاء نكثر من استعمال كلمة (حيله) بالياء (واحتيال) بالياء فإذا تذاكرنا الحيلة

كنت ألقبت على مسامع الإخوان في ختام الدورة الماضية بحثاً جعلت عنوانه : « بين اللغة والنحو » وقد شرحت فيه قاعدتين في تسهيل أمر اللغة العربية . ولعل كنت أول من انتبه إلى هاتين القاعدتين ولزوم الاستفادة منهما ، مد وضعت لهما اسمين وأصلتهما ، وجمعت شمل مسائلهما ، ولمت شوارداً الأمثلة والشواهد عليهما .

سميت الأولى (قاعدة توهم الأصالة) أي توهم أصالة الحرف الزائد أو المتحول .

وسميت الثانية (قاعدة توهم الزيادة) أي توهم زيادة الحرف الأصلي أو المتحول .

ولم يعلق بكفى من الشواهد على القاعدة الثانية إلا القليل . ولذا لم يسجل مؤتمركم يومئذ قراراً بشأن هذه القاعدة مادامت في بدء تكونها ومستهل تطورها ، بخلاف القاعدة الأولى التي موضوعها (توهم الأصالة) فإن يبدى من الشواهد عليها ما يعد بالعشرات من الكلمات التي عدل بها في جمعها أو في فعلها عن القياس إلى غير القياس ، وقد كنت ذكرت للمؤتمر بعض تلك الشواهد على سبيل المثال ، فقبل المؤتمر هذه القاعدة (قاعدة توهم الأصالة) مبدئياً لما تبين من فائدتها في التيسير والتسهيل وأرجأ تسجيل القرار القطعي بشأنها إلى هذه الدورة ريثما أكون جهزت الشواهد عليها فأعرضها عليكم ملخصاً بيان وجهة نظري فيها .

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية عشرة من مؤتمر (١٠ من يناير سنة ١٩٤٩) وانتهى للمؤتمر إلى قرار فيه (انظر القرار الثاني من «القرارات العلية» في هذه الدورة) .

وأرباب الحيل مثلاً وتكررت على مسامعنا هذه اللفظة ونطقناها مراراً كثيرة ثم تساءلنا أى الرجلين زيد أو عمرو يتفوق على رفيقه فى الحيلة لاجرم أن يكون جوابنا : زيد مثلاً أحيل من عمرو . نقول أحيل وهو خطأ فى القياس وصوابه أحول لأن فعله واوى فكما نقول من مصدر خيفة أخوف كذلك وجب أن نقول من مصدر حيلة أحول لكن (خيفة) لا تتردد على الأفواه كتردد (حيلة) ولذلك نستوحى منها أفعل التفضيل (أحيل) من حيث لا تشعر وما هو إلا التوهم وانجذاب الطبع الذى اعتذر به (عمارة بن عقيل) مذ قال (أرياح) فى جمع (ريح) .

ومن مواقع العجب أيها السادة أن (عمارة) رجع عن غلطته إلى صواب ما قاله علماء العربية أما علماء العربية أنفسهم فإنهم فكروا فى غلطته هذه فأروا لها نظائر كثيرة فى أقوال الخلفاء من أهل اللسان ، ولاحظوا أن العامل الأصل فى انجذاب الطبع إليها انجذاباً لا يمكن مقاومته ، فهو إذن سر من أسرار تكون اللغة ، وعامل من عوامل نموها . فإن كانت بداوة (عمارة بن عقيل) أو سداجته لم تساعد على الاحتجاج بأن انجذاب طبعه علة مؤثرة فى نمو اللغة وتكاثر مشتقاتها فخفض واستكان لاعتراض أبى حاتم السجستاني ، فإن أباً حاتم أو نقول شيعته من أهل اللغة عادوا فافترضوا غلطته وأقروها ودونوها فى المعاجم مع غيرها مما يشبه غلط الطبع أو غلط اللسان . وهو فى الحقيقة ناموس طبيعى فى نمو اللغة عبر عنه عمارة بانجذاب الطبع . أما هم أى اللغويون أو أرباب المعاجم فقد تناسوا

كلمة (انجذاب الطبع) ، واستعاضوا عنها بكلمة (توهم) أحياناً وأحياناً يقولون قولاً يلمح منه معنى التوهم الذى سميت به القاعدة . ومع هذا وذاك فإنهم رحمهم الله لم يثبتوا الغلط ولا انجذاب الطبع ولا التوهم كقاعدة لغوية أو صرفية مستقلة ، وإنما هم يعبرون عن ذلك بالشنوذ كما فعل صاحب اللسان فإنه قال فى كلمة (ريح) وجموعها (وحكى فى جمع ريح أرياح بالياء وهو شاذ) .

وهذا الشنوذ الذى صرح به صاحب اللسان ينبرم به ويشكو منه الشدة من طلاب العربية فنزيل شكواهم يجعل هذا الشنوذ قاعدة نحوية مطردة لما توفر من الشواهد عليها ، ومعظم الشواهد التى سأذكرها أنماط قاموسية دونت فى المعاجم وعالت مخالفتها للقياس بالتوهم تصريحاً أو تلميحاً . أما بقية الشواهد التى سأذكرها فليست قاموسية ولم يعرفها الفصحاء وإنما هى من كلام المولدين وقد استعملوها متأثرين بالتوهم المذكور .

وقد عثرت على الشواهد عرضاً ومن دون تعمل ولم أتعمد تتبعها وتقصيها فى كتب اللغة ، ولو فعلت لكان لنا من الشواهد فوق ما جمعت ولمت ، وبالأمر وأنا أتصفح نماذج المعجم الكبير وجدت فيه فعل « تأيَّب » وكلمة « آية » فذكرت لكم أنهما يصلحان لأن يكونا من جملة الشواهد على قاعدة توهم أصالة الحرف . فن شواهد هذا الباب التى وقع التوهم فيها على نمط التوهم فى ريح وأرياح قولهم (عيد وأعياد) : أصل عيد عود من العود فالواجب أن يقال فى جمعه (أعواد)

فلم يقولوه وإنما قالوا أعياد وعللوا ذلك بالتفرقة بين أعياد بمعنى المواسم و(أعواد) بمعنى الأخشاب ، والتعليل الصحيح ما علل به بعضهم وهو لزوم الياء في عيد. أقول : وهذا اللزوم هو الذى جعلهم يتوهمون أن الياء فيه أصلية كياء جيد وفيل وميل ، فبنوا جمعه أى جمع عيد على اعتبار أصالة يائه فقالوا أعياد كما قالوا أجياد وأفيال وأميال . وسرى هذا التوهم في عيد إلى غير الجمع : سرى إلى التصغير فقالوا عييد وإلى الفعل فقالوا عيدوا تعييداً .

وعلى هذا النمط (زير) يقال فلان زير نساء بمعنى أنه يزورهن كثيراً فأصله (زور) وإذا جمعه قالوا أزوار بالواو على القياس ، وعلى (أزيار) بالياء على توهم أصالة الياء في زير ، ونظير ذلك قولهم (مياسم) في جمع ميسم بمعنى آلة الوسم وبمعنى أثر الوسم ، توهموا ياء ميسم أصلية فجمعوها على (مياسم) كثيراً ، وعلى (مواسم) قليلاً مع أن المواسم هو القياس

ونظيره من المصادر (ميائى وميائى) في جمع (ميائى) من (وئى) قال صاحب التاج (مواثيق على الأصل وميائى على اللفظ) وليس معنى هذا إلا أنهم اعتبروا ظاهر اللفظ متوهمين أصالة يائه . وأنشد الفراء . . . ولا نسأل الأقبام عقد الميائى

وما يؤيد قاعدة التوهم أنهم جعلوا (ميائى) جمعاً لميثاق لا لموئى وذلك لأن جمع موئى موائق ولا ياء فيه تحمل على التوهم بخلاف

ميثاق الذى فيه الياء .

وأكثر ما يخالف فيه القياس بسبب التوهم ألفاظ مبدوءات بميم مصادر أو أوصاف أو أسماء أمكنة أو أسماء آلات ونسبها الميميات ، منها كلمة (المنطقة) وهى ما يشد في الوسط : ميمه للآلة أو لشبه الآلة مشتقة من النطاق وفعلها القياسى تنطق أى شد النطاق أو المنطقة على وسطه ، لكنهم يقولون أيضاً (تمنطق) لكثرة ما استعملوا (منطقة) حتى توهموا ميمها أصيلة كدال (دحرجة) التى فعلها دحرج .

(المدرعة) هى الدراعة كساء من صوف فعله القياسى (تدرع) وقالوا أيضاً (تمدرع) على توهم أصالة الميم . (المكحلة) فعله القياسى تكحل وقالوا أيضاً (تمكحل) كما في مختار الصحاح . (المرفقة) الهدة وقد (تمرفق) إذا أخذ مرفقة والقياس (ترفق) ، وهل منه يا ترى قول شوقى في شعره الذى يتغنى به حتى ترفق ساعدى فطواه

ولو قال تمرفق لساغ لغة لا فناً ولما تمت له التورية . (المنديل) مشتق من نذات يده وسنت . فميمه للآلة وفعله القياسى (تمندل) ، وقالوا أيضاً (تمندل) على توهم أصالة ميم منديل .

جاء رجل سفيان الثورى فقال له : (تمسك هذه الدنانير وتنتفع بها ؟) فأجابه (اسكت فلولاها لتمدلتنا هؤلاء الملوك ، ولكن من كان في يده منها شيء فليصلحه فإنه زمان من احتاج فيه كان أول ما يبذل دينه) . وقول

ذهب إليه واتبعه . وكان القياس أن يقال (تذهب) . ونظيره (المولى) مراداً به سيد القوم فقد توهموا ميمه أصلية حتى قالوا في فعله (ما كان فلان بمولى ولقد تمولى) وكان القياس تولّى .

ومن أمثلة الميمات المتوهمات في أسماء المكان كلمة (المكان) نفسها فإنها مفعول من الكون بمعنى الوجود والحصول فقياس جمعه مكاون كما قالوا مكاون ومطارح ، غير أن كثرة استعمال لفظ (مكان) جعلهم يتوهمون ميمها أصلية وأن وزنها (فعال) لا (مفعول) فجمعوها على أمكنة كما جمعوا (قذال) على أقذلة ، وجمعوا (مكان) أيضاً على (أمكن) كما جمعوا (عناق) على أعنق ، وصاغوا له أيضاً جمع جمع فقالوا (أماكن) كل ذلك على التوهم بل أوغلوا في هذا التوهم حتى اشتقوا منه أى من (مكان) فعلا فقالوا مكّنهم في الأرض وتمكنوا فيها ، وقيل في اشتقاق مكن غير ما ذكرنا وتفصيله في المطولات .

ومثل المكان كلمة (مسيل) اسم مكان من سال الماء يسيل فسيل مفعول مكان سيلانه . وقياس جمعه (مسایل) ثم شاعت كلمة (مسيل) حتى توهموا ميمها أصلية كراء رغيث وأن وزنه (فعل) لا مفعول فجمعوه على أمسلة ومسلان كما جمعوا رغيث على أرغفة ورغفان غير أن القاموس وشرحه جعل المسيل من مادة (مس) وهو الشق في الأرض وعزوه إلى ابن دريد ، قال التاج وزعم بعضهم أن المسيل من سال الماء وميمه زائدة ثم قال مانصه : (قال الأزهري : وهذه الجموع

سفيان هذا يذكر بقول (المقدام بن معد يكرب الصحابي) كانت له حارية تبيع اللبن ويقبض هو الثمن . ففيل له في ذلك ؟ فقال وما بأس بذلك ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ليأتين على الناس زمان لا ينفع فيه إلا الدراهم» .

ونظير المناديل (الخاريق) تلعب بها الصبيان وشبهت بها السيوف . قال عمرو بن كلثوم .
كأن سيوفنا منا ومنهم
مخاريق بأيدي لاعينا

وواحد المخاريق مخراق . وقد توهموا ميم مخراق أصلية فاشتقوا منها فعلا وقالوا مخرق مخرقة إذا كذب وهو ممخرق والقياس في فعله خرق وخرق وأخرق وتخرق ، وكلها بمعنى أكثر من الكذب .

ومن الميمات كلمة (مسكين) من السكون . وقياس فعله تسكن كما يقال في معطير تعطر لكنهم توهموا أصالة ميم (مسكين) لكثرة دورانها فأقحموها في الفعل وقالوا (تمسكن) ونوا مصدره على الميم أيضاً فقالوا مسكنة .

ونظيره (مسلم) اسم فاعل من أسلم . قالوا في فعله (تمسلم) أى دخل في الإسلام كما قالوا (أسلم) . وفعل (تمسلم) ذكره في المعاجم وكأنه كان شائع الاستعمال قديماً ، لكننا لم نر له أثراً في لمحة أهل بلادنا ولا في كلام كتابنا وشعرائنا .

ومن أمثلة الميم الزائدة في المصادر (المذهب) قالوا في فعله (تمذهب) بمذهب كذا إذا

لمسيل وهي « أمسلة ومسل ومسلان » على توهم ثبوت الميم أصلية في المسيل ، كما جمعوا المكان على أمكنة وأصله مفعل من فعل كاناه) وهذا نص صريح عراه التاج إلى الأزهرى صاحب التهذيب وناهيكم به حجة وشاهداً على أن في اللغة شيئاً يسمونه (توهم الأصالة) وهو الذى استندت إليه في تحقيق موضوعي هذا وتسميته .

ومثل (المسيل) حذوك النعل بالنعل كلمة (المصير) أصل معناه المرجع وجمعه مصاير ثم سمي المعى مصيراً لأن الطعام بعد استقراره في المعدة يصير إليه . ولم يجمعوه على مصاير بل توهموا ميمه أصلية كراء رغيغ وأن وزنه فاعيل لامفعول فكما جمعوا رغيغ على أرغفة ورغفان جمعوا (مصير) بمعنى المعى على أمصرة ومصران ثم جمعوا (مصران) على مصارين كما جمعوا ثعبان على ثعابين . وهكذا أيها السادة ترون أن التوهم لعب دوراً مهماً في خدمة التوسع أو التسامح اللغوي .

من لطيف التوهم ما وقع في ميم (مأونة) ووزنها في الأصل مفعلة من الأين أو الأون وهما يرجعان إلى معنى الشدة والتعب . وكذلك المأونة فإن رب العائلة يتكلفها ويتعب في تداركها وكثرت كلمة (المأونة) حتى توهموا ميمها أصلية وأن وزنها فعولة لا مفعلة واشتقوا منها فعلاً ثلاثياً فقالوا مأنه يمؤنه وحفمؤه إلى مانه يمونه وكان القياس أن يقال إن عياله يئونهم أو يؤونهم

ومن التوهم في ميم اسم المتعول قولهم في

الشيء إذا أصابته ريح إنه (مريح) قياسه (مروح) بالواو . وينبغي أن يخرج (مريح) على توهم أصالة الياء في ريح يقال غصن مريح وأنشد أبو زيد الأنصاري في نوادره :

ودرست غير رماد مكفور
مكتتب اللون مريح ممطور

وفي التاج (شجرة مروحة ومريجة صفتها الريح فألقت ورقها) .

ومثل غصن مروح ومريح قولهم لبن مشوب (ومشيب) الفعل واوى شاب يشوب فاسم مفعوله القياسى مشوب ، فقولهم مشيب بالياء خالفوا فيه القياس . وقد نطق به العرب قال السليك بن السليكة : (وماء قدور في القصاع مشيب) يريد أنه مخلوط بالتوابل . قال التاج : وقوله مشيب إنما بناه (على شيب) الذى لم يسم فاعله . وليس معنى هذا من سليك إلا لتوهمه أن ياء (شيب) المححول أصلية . ويقول التاج في تحليل (مريح) بالياء ما قاله في تحليل (مشيب) من أن قولهم (عدير مريح) إذا ضربته الريح إنما بنوه على فعل (ريح) الذى لم يسم فاعله وعلى هذا فالتوهم في (مريح) إما أن يكون مشوؤه (لياء) في كلمة (ريح) الاسم وهو الذى أرححه أو الياء في (ريح) الفعل المححول وهو ما اعتمده صاحب التاج . ومن الكلمات التى حرى فيها توهم وهي مدوئة ميم لكن ميمها أصلية كلمة (مأق) بمعنى موق العين وهذا نص ما قاله صاحب الصحاح بتأنيها (ومأق العين لعة في موق

العين وهو فعلى وليس بمفعل لأن الميم من نفس الكلمة . وإنما زيد في آخره الياء للإلحاق فلم يجدوا له نظيراً يلحقونه به ، لأن فعلى بكسر اللام نادرة لا أخت لها فألحق بمفعل فلهذا جمعه على مآقى على التوهم كما جمعوا مسيل الماء على أمسلة ومسلان والمصير على مصران تشبيهاً لها بفعيل على التوهم (فكأنه يقول إنه لا يوجد في اللغة ألفاظ بوزن فعلى إلا مآقى فينبغي أن يكون جمعها مآقيات على وزن فعليات مادامت الميم أصلية لكنهم جمعوها على مآقى لتوهمهم أن مفردة مآقى على وزن مفعول وهذا نص آخر من قول الجوهري دل على استعمالهم للفظ (التوهم) واعتباره أصلاً يرجع إليه في تعليل بعض الألفاظ التي خالفت القياس في جمعها .

بقيت كلمة من الميميات لم أجدها في المعاجم لكنني ظفرت بها منذ عهد قريب في كتاب أدب هو (شرح أمالي أبي علي القالي للبكري جزء ١ ص ٥٢٣) فقد زيف البكري بيتاً من الشعر لبشار فقال : (وهذا لا يعنى) قال ناشر الكتاب الأديب المعاصر الراجكوتي الهندي في تفسير (لا يعنى) أى لا يتجه له معنى . والبكري هذا هو أبو عبيد صاحب (معجم ما استعجم) الذي توفي سنة ٤٨٧ هـ . ولاندرى ما الذى جعل البكري يقول (لا يعنى) أسبقه إليها سابق أو أنه انجذب إليها طبعه كما انجذب طبع أهل العصور الأولى فقالوا : (من تمنطق فقد تزندق) متوهمين أن ميم (منطق) وهو اسم للعلم المشهور أصلية

فاشتقوا منه فعلاً وقالوا (تمنطق) فانظروا أيها السادة إلى أى حد بلغت سيطرة (التوهم) وخصوصاً في هذه الكلمات الميميات . وإذا كان هذا التوهم لم ينبج منه أهل اللسان وفرسان البيان فكيف ننجو من تأثيره نحن وقد استحسنت العجمة فينا وملكت علينا أمرنا فقلنا تمشيخ فلان أى صار شيخاً كما قالوا هم (تمولى) إذا صار مولى توهماً أن الميم في (مشيخة) وهى مصدر أو جمع - أصلية ، وأرى أن ميم (مشايخ) هى التى أوقعنا في هذا التوهم فإن لفظة مشايخ أكثر دوراناً على الألسنة واستعمالاً في الحديث للدلالة على رؤساء الدين باعتبار أنهم طائفة ممتازة في علمها وفضلها وتقاليدها الخاصة بها ، حتى قال بعض الظرفاء مداعباً مفاكهاً :

إن المشايخ لاتنسى فضائلهم
عن وصفهم قصرت كل الأراجيز
إن يسمعوا يافى بالرز فى جبل
شدوا النعال ودقوا بالعكاكيز

ومر أن الأقدمين قالوا : تمسكن مسكنة متوهمين أصالة ميم مسكين فجاريهاهم وقلنا من مسخرة (تمسخر عليه) متوهمين أن ميم (مسخرة) أصلية . ومسخرة تأنيث مسخر مصدر سخر منه وقياس تمسخر تسخر كما أن قياس تمسكن تسكن وكذا استعمال لفظ الملعون وجمعه الملاعين حتى توهمنا ميمها أصلية وأقحمناها في صيغة فعلها وقلنا أخذ فلان يتملن وفلان ما كان ملعوناً ولكنه عادفتملن وإنما قياسه تلعن . و (المسمار) كثير الاستعمال جداً إذ هو آلة التسمير والتثيت فتوهمنا ميمه

لعنناه فتلغم وهو ملغم أو متلغم . وبعد أن كتبت هذا تذكرت أن مجعما هذا في دوراته . الأولى كان قرر في استعمال (ملغم) شيئا فرجعت إلى محاضره فإذا هي تقول مانصه .

الجلسة الـ ٣١ من الدورة الثانية ٣١ مارس سنة ١٩٣٥ .

الإلغام Amalgamated (أمالكامايد)

حضرة العضو المحترم الأب أنستاس :
الإلغام أصله إلغام بالعربية ولفظة Amalgam (آمالكام) لفظة عربية الأصل .

العضو المحترم الأستاذ فيشر : كلمة Amalgam يونانية الأصل .

العضو المحترم الأستاذ جب . هناك شك في كونها يونانية وقد رأت اللجنة أن تميز بين Amalgam و Amalgamated فوضعت للأولى ملغم وللثانية ملتغم .

حضرة الرئيس : هل توافقون على إلغام . وملغم . وملتغم . موافقة (انتهى) .

فعلى قول المرحوم الكرولى من أن الإلغام عربي الأصل تكون ميم ملغم ليست من مادته الأصلية فإقحامها في مشتقاته ملغم وتلغم هو من جزئيات قاعدة التوهم التي أثبتناها .

ومن الميمات العصريات ماشاع استعماله في عهد قيام مهدي السودان مد جعلت الصحف تسميه (المتمهدي) نسبة إلى (المتمهدي) اسم

أصلية وهي زائدة . وقلنا في فعله (مسمره) كدحرجه وتمسمر فلان في مكانه إذا ثبت ولم يتحلحل ، وقولنا هذا لاينفي فصاحة استعمال سمر وتسمر كما لا يخفى . وفي الميمات الحديثات العهد في لهجتنا الحاضرة فعل (تمرکز) أخذناه من لفظ (مركز) اسم مكان من ركزه في الأرض أثبتته . ومراكز الأسنان منابتها توهمنا ميمها أصلية كما توهموا ميم (مكان) فقالوا هم (تمكن) في المكان وقلنا نحن (تمرکز) في المركز ، الحسى أو المعنوى قال الفارابي :

محيط السماوات أولى بنـا

فإذا التنازع في المركز

ومن الميمات المولدة (مرجوحة) الصبيان نقولها في الشام ولانعلم إن كان المصريون يقولونها وفصيحتها (أرجوحة) سهمزة في أولها قلبها العامة إلى ميم وتوهموها أصلية ثم اشتقوا منها فعلا فقالوا (تمرجح) ثم انتبه بعض الصحفيين إلى أن الأصل أرجوحة فجعلوا يقولون تأرجح توهماً أن الهمزة أصلية وهو خطأ ثان إذ لا يقال من العوبة (تألعب) وإنما يقال تلعب ولا من أمنية تأمى وإنما يقال تمنى فالفصحى إذن (ترجح) لا تمرجح ولا تأرجح . ومن الميمات الحديثات وهي من كلمات الفن كلمة (الملغم) من ألغم الذهب إذا خلطه بالزراوق وهو الزئبق فحصل منه طلاء هو المسمى الملغم وإذا كانت الكلمة الأعجمية الأصلية خالية من الميم كانت الميم في ملغم زائدة ومع هذا نتوهمها أصلية فنقول ملغم المعدن بالملغم فتلغم وهو ملغم أو متلغم وكان القياس

فاعل لفعل (تمهدى) أى ادعى المهدوية اشتقاقاً من (مهدى) على توهم أن ميمه أصلية وصوابه تهدى ويشبهه قول الناس فى الشام ولا أعلم إن كان المصريون يقولونه (مدراء) فى جمع (مدير) اسم فاعل من أدار المديرية تولى شؤونها فهم مديرون لكنهم توهموا ميم (مدير) أصلية فقالوا (مدراء) كما نقول فى جمع كريم كرماء وظريف ظرفاء لكنه توهم لاسوغ له لأن ميم مدير مضمومة لافتححة حتى يجمع على فعلاء. وآخر الميميات تولداً فعل (تمجمع) من كلمة (الجمع) الشائعة الاستعمال فى المدة الأخيرة. فى السنة الماضية ذكرت بعض المجلات خبر انتخاب زميلنا الأستاذ المازنى عضواً لجمع فؤاد الأول فقالوا (تمجمع الأستاذ المازنى) توهماً أن ميم (مجمع) أصلية على معنى أنه دخل فى الجمع كما قال الأولون (تمذهب) فلان على معنى أنه دخل فى المذهب.

و (المختار) شيخ الحارة أو شيخ القرية تاؤه زائدة. ومثله إنما يجمع جمع تكسير على مفاعيل بعد حذف حروف الزيادة فجمع مختار فى القياس مخاير، لكنهم أى رجال الحكومة فى معاملاتهم الرسمية جمعوه على مخاير بإثبات التاء بل ربما قالوا (مختروه) كما قال أوائلنا دهقنوه كل ذلك على توهم أن تاء مختار أصلية.

وتشبه مختار كلمة (مناطيد) وهى من مواليد العصر الأخير واحدة (منطاد) اسم فاعل لفعل انطاد من باب انكسر ومعناه ذهب فى الهواء صعداً.. فالسبيل فى جمعه أن تحذف

نونه الزائدة ويقال (مطاود) لكن من ولد الكلمة وسيرها بيننا جمعها على (مناطيد) توهماً أن النون فى (منطاد) أصلية كما وقع فى توهم تاء (مختار)، ونسمع الحداق فى علوم اللغة يعللون الإبقاء على النون والتاء فى أمثال مناطيد ومخاير بقولهم إننا أبقينا عليهما (توفية للمعنى وحراسة له ودلالة عليه) فهل يعتبر مجموعنا بقولهم هذا فى أوضاعه؟ ومن التوهم فى غير الميميات كلمة (تخم) الطعام أصلها وخمة توهموا تاءها أصلية وإنما هى منقلبة عن واو من الوخامة فقالوا فى فعلها (أتخمه الطعام) مكان أوخمه، وهذا الطعام (متخم) مكان (موخم) وقالوا فى التفضيل (أتخم من فضيل) مكان أوخم ومثلها أختها (تهمة) أصلها وهمة توهموا فقالوا: أتهمه الحاكم مكان أوهمه وفى أمثالهم: (شدة الحذر تهمة) أى توقع فى التهمة. ومما نحن فيه وهو قاموسى فعل (اتقى) من الوقاية وأصله (اوتقى) توهموا تاء الافتعال أصلية إلى حد أن تناسوها فى جميع المشتقات تقريباً وبنوا عليها فعلاً ثلاثياً فقالوا تتقى يتقى كقضى يقضى تقاء وتقى وتقوى وفعل الأمر (تق) قال الشعبى.

تق الله لاتنظر إلهين يافتى
وماخلتى فى الحج ملتمساً وصل

ومثله فعل (اتخذ) أصله اتخذ فتاؤه منقلبة عن همزة فتوهموها أصلية حتى اشتقوا منه فعلاً ثلاثياً فقالوا: اتخذ زيداً صديقاً اتخذاً كتيب تعباً وذهب بعضهم إلى أن تاء (اتخذ)

أصلية لامتوهمه وهذا كما اختلفوا في تاء (تالد وتلبد وتلاد) أهى-أصلية أو منقلبة عن واو ، راجع التاج والمخصص مجلد ١٢ ص ٢٧٢ .

ومن توهم التاء لكنه غير قاموسى ما كان فى كلمة (اختيار) بمعنى الشيخ الهرم ، توهمنا تاءها أصلية فاشتققنا منها فعل (أختر) الرجل إذا تهدم وشاخ . ولا يعرف هذا أهل اللسان وإنما جاءنا من الأتراك الذين يطلقون (الاختيار) على المسن بمعنى أنه فى صدد اختيار الله له ودعوته إلى جواره ، كما يعبرون عن العجز أحياناً بقولهم إنها (حق الجنة) أى مستحقة لها وكان القياس فى (أختر الرجل) أن يقال (ختر الرجل) أو (أخار) على معنى أنه وقعت عليه الخيرة . ومما له علاقة بفعل اختار وهو من باب التوهم القاموسى قولهم (اختار من القوم زيدا واختار القوم زيدا) فالمشهور عند النحاة أنه من باب نزع الخافض أما علماء اللغة فعملوا حذف (من) من المفعول بتعليل منها ما قاله صاحب التاج وهذه عبارته « أنه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم وخير من القوم فلما جاءت الإضافة مكان (من) ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا اخترتكم رجلا واخترت منكم رجلا » اهـ . أليس معنى هذا أن حذف (من) فى قولهم (خير القوم) جعلهم يتوهمون جواز حذفها بعد فعل (اختار) وجعل الفرزدق يقول :

منا الذى اختير الرحال سماحة .

ولا أدل على فصاحة هذا التوهم من آية (واختار موسى قومه) .

ومن التوهم ما ذكره صاحب التاج فى تفسير كلمة (عفريت) فقال : هو الكثير الحبث والشيطنة . لاحرم أن تكون الشيطنة مصدراً لفعل شيطان وتشيطان وهذا الفعل مشتق من وصف (شيطان) فقد توهموا فيه أن نونه أصلية مع أنها رائدة بناء على أن شيطان مشتق من فعل (شاط) إذا احترق . ففعل شيطان شيطنة وتشيطان يمكن عده من الكلمات القاموسية استناداً إلى استعمال التاج لكلمة شيطنة ويكون شاهداً من شواهد قاعدة الأصالة والقياس فيه تشيط . أما من جعل شيطان مشتقاً من الشطون وهو البعد فلا شاهد فيه . وأشهر من شيطنة وتشيطان قولهم المستفيض سلطة وتسلطن وهو اشتقاق من كلمة (سلطان) وأصلها مصدر كالسلطة توهموا أن نونها أصلية مع أنها زائدة وقياس الفعل تسلط . ومثلها (رهان) جمعاً لراهب فإن نونه زائدة لكنهم توهموها أصلية وأقحموها فى الفعل فقالوا (ترهبن) كما قالوا فى الفصيح (ترهب) . واستعمال فعل (ترهبن) قليل فى لهجاتنا الكتابية والكلامية ولعله شائع فى بلاد اليمن فقد قرأت فى كتاب (طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب) لملك اليمن أبى حمص (عمر بن رسول) فى كلامه على أحد ملوك المنادرة فقال (إنه ترهبن) . ومهما يكن فإن أفعال (تسلطن) و (ترهبن) و (تشيطان) لا نحروا على عدها فى القاموسيات أو اللغويات وإنما هى من كلام المتأخرين المتأثرين بقاعدة توهم أصالة الحرف . ومن التوهم تثنية فتى (فتوان) بالواو وجمعه على (فتوة) والقياس (فتيان) و (فتية) بالياء لأن فعله فتى يعنى على حد بلى بلى وفنى يعنى فهو من الناقص اليائى . فن

أين جاءت الواو إلى (فتوان) مثني، و (فتوة) جمعاً؟ أجاب سيبويه: (إن إبدال الواو فيهما شذوذ) ولماذا لا نقول إنه جاء من توهمهم أصالة الواو في (فتوة) مصدراً والواو فيه منقلبة عن ياء فأصل فتوة (فتوية) على حد أخواتها: طفولة ورجولة ومروءة فأعلت بقلب الياء واواً وإدغامها بالواو التي قبلها. وكثر استعمال كلمة (الفتوة) لاسيما في العهد العباسي ونشوء جماعات الفتيان من الشطار فتوهموا الواو-أصلية في فتوة وقالوا (فتوان) و (فتوة) وزد عليهما (فتوات) للشواب من النساء مكان فتيات.

وجمع (نائم ونائمة) نوام ونوّم بالواو لأن أصله نأوم من النوم الواوي. لكنهم قالوا أيضاً (نيام) و (نيم) قال صاحب مية:
ألا طرقتنا مية ابنة مندر
فما أرق النيام إلا سلامها

فن أين جاءت الياء في نيام ونيم؟ لم أسمع لهم في ذلك جواباً وأرى أن يطبق وجود الياء على توهم أصالة الياء في قولهم فلان نائم وفلانة نائمة. يسهلون الهمزة إلى ياء، بل الأولى أن نقول إنهم توهموا أصالة الياء في لفظ (نيام) وهو جمع كثير الاستعمال: (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) فسرى التوهم إلى الجمعين الآخرين وهما: (نيام) و (نيم) ونظيره قولهم في مبالغة صائغ (صياغ) وفصيحه القياسي (صواغ) بالواو كجوال وقوال. وعلل ابن جني قلب الواو ياء في (صياغ) بكراهة التقاء الواوين في صواغ ولكن لماذا لم يكرهوا التقاء الساكنين في قوال وجوال وبوال فيقولوا قيال

وجيال ويال؟ أرى أنه لما كثر استعمال قولهم (صايغ) بالياء اللينة توهمت الياء فيه أصلية، أو أن التوهم جاء من قولهم في المصدر (صياغة) فقالوا صياغ بالياء. ومن الكلم التي تعاورها التوهم وألح عليها كلمة (سنة) أصلها سنو حلفوا واوها وعوضوها تاء يوقف عليها بالهاء فإذا جمعناها أو اتخذنا منها فعلا كان القياس أن نرجع إلى مادتها الأصلية ولكن كثرة استعمال الناس لكلمة السنة في ضروب معاملاتهم ومعاقباتهم ووقوعها في أحاديثهم عن أعمارهم وما يقع لهم في أخبارهم وأطوار حياتهم جعلهم يتوهمون أن تاءها الموقوف عليها هاء هي الأصل. وكان توهمهم حائراً متردداً بين التاء وبين الهاء فتارة يذهب وهلهم إلى التاء فيشتقون من كلمة (السنة) أسنت القوم إذا أجذبوا مريدين بالسنة معنى الجذب والقحط وفلان الشيخ الهرم الموسر تسنت فلانة الشابة الحسنة أي أنه افترض قلة مالها وعسر أهلها في سنة الجذب فتزوجها وليس من أكفائها وكان القياس في أسنت وتسنت أسنى القوم وتسنى فلان فلانة. وتارة يذهب وهلهم إلى هاء سنة من كثرة ما يقفون عليها بالهاء فقالوا في جمعها سنهات كما قالوا سنوات. وقالوا في الفعل سانه مسانه أي عامله بالسنة لا بالشهر ولا باليوم كما قالوا ساناه على القياس. ولم يقف بهم الوهم عند هذا التحم بل تخطاه إلى نون سنين فتوهموها أصلية واشتقوا منها التسنن وفسروه بالإنتان وتغير الراءحة ففي قوله تعالى: (فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) أصله يتسنن بثلاث نونات قلبت الثالثة ألفا كما في تظني أصله تظنن وتقضي البازي أصله تقضض. ثم دخل على (يتسنى)

الحازم وهاء السكت كما دخلت في آية (فبهذا هموا اقتده) فقليل (لم يتسنه) أى لم يتغير بمرور السنين عليه . فالتسنن إذن فعل مشتق من سنين على توهم أصالة النون ، ومنه (حامسون) وهو المتغير المتن ، مما أتت عليه السنون . وقيل إن مادة (السنن) بنونين تدل على معنى التغير والإنتان . وعندى أن فيه نظرا بسطته في التعليقات التي أشرت إليها في أول المحاضرة .

ومن قبيل توهم أصالة هاء سنة توهمهم أصالة هاء (شية) التي أصلها (وشى) كما أن أصل عدة (وعند) والوشى علامات وقوش على الثوب . وأصل الشية علامة من الألوان في الحيوان تخالف لونه و (الثور الأشيه) الذى فيه شية ، قليل بياض إذا كان أسود أو قليل سواد إذا كان أبيض ، وكانت بقرة بنى إسرائيل (لاشيه فيها) — إذن (الأشيه) من الشية والشية من الوشى فكان القياس أن يقال (ثور أوشى) لكن كثرة استثناسهم بهاء شية الموقوف عليها بالإسكان كثيراً جعلهم يتوهمونها أصله ويقولون في الوصف منها ثور أشيه كما قالوا كبش أملح و كلب أبقع . ومن هذا القبيل كلمة (هنة) التي يكنى بها عن الشيء القليل أو الحقير أصلها (هنو) أعلت كما أعلت سنة أى بحذف واوها وتعويض التاء ، فإذا صغروها قالوا (هنية) على الأصل ، لكنهم مع هذا يقولون أحياناً (هنية) بإثبات هاء بعد ياء التصغير ، لاجرم أن يكون ذلك ناشئاً عن توهمهم هاء هنة أصلية من طول مايقفون عليها بالهاء . وهذا التوهم في الكلمات

القاموسية قلما نسمع علماء اللغة وأرباب المعاجم يصرحون به وإنما يلمحون إليه تلميحاً كما قلنا ، من ذلك اسم المفعول من فعل جفا يحفو فإن قياسه محفو لكنهم يقولون (محفى) بالياء . قال الراجز : (ما أنا بالجانى ولا المحجى) وعلة الفراء بقوله « محفى » منى على فعل جفى المجهول فلما انقلبت الواو ياء فيما لم يسم فاعله (أى فى جفى) بنى اسم المفعول عليه « هذا قول الفراء . وتخرجه (محفى) على هذا الشكل يرجع في الحقيقة إلى ماقررناه من (قاعدة توهم الأصالة) غير أن الفراء لم يلفظ التوهم إنما ألمع إليه . ومما جرى في فعله التوهم قولهم : « زير البيطار جحمة الفرس ليزل فيتمكن من بيطرته » وقياس زير أن يقال (زور) بالواو وآلة التزوير تسمى (الزيار) وهى خشبتان يضغط بهما البيطار على شفة الفرس . فقد توهموا ياء (زيار) أصلية فقالوا في فعله (زير) بالياء بناء على هذا التوهم .

ومثله فعل (تحيز) من (الحيز) وهو المكان الذى يحوز ما فى ضمنه ، ففعله واوى وأصله (حيوز) وقياس فعله (تحوز) ولكنهم قالوا (تحيز) بالياء بناء على توهمهم أصالة الياء فى حيز . ويشه (تحيز) فى لهجتنا الدارجة فعل (تريض) وفصيحه (تروض) بالواو لكننا توهمنا أصالة الياء فى كلمة رياضة المتفشية على الألسن فسرى التوهم إلى فعلها وقلنا (تريض) ، ولماذا لانعذر في هذا التوهم ويسمح لنا هذا الاستعمال قياساً على قولهم (تحيز) و(رير) وهما قاموسيتان ؟

ومن هذا القليل وهو مما ذكرته المعاجم

كلمة (عيال) وهم الذين ينفق عليهم الرجل ويقوم بمؤونتهم ، أصلها (عوال) بالواو إذ يقال في فعله عالم وأعولم بالواو على الأصل كما يقولون أعيلهم بالياء على خلاف الأصل وليس هذا إلا لتوهمهم أصالة الياء في (عيال) وساعد هذا الاستعمال التوهمي أن فعل (أعول) من العيلة يشبه بفعل أعول من الإعوال بمعنى رفع الصوت بالبكاء . فكان أعيل بالياء أسلم وأقوم . ومن التوهم فعل (خنثاه) يخنثيه إذا صيره كالخنثى . وألف خنثى زائدة فهي كالف حبل لكن لزوم الألف فيها أى في خنثى جعلهم يتوهمون أصالتها ويكسعون بها الفعل . قال أبو الطيب المتنبي :

خنثى الفحول من الكما بصيغـ

ما يلبسون من الحديد معصراً

أى أن ممدوحه صير فحول الكما خنثى مذ صبغ دروعهم بعصفر الدم . والعصفر الأصفر (وهو الورس) مما يختضب به النساء فكانت تلك الفحول خنثى لأرجالا .

ومن غريب توهمهم في الخروج عن القياس جمعهم ساق على (سوق) بالهمزة وإنما قياسه (سوق) بالواو ولا داعى لقلبها همزة . وقد عللوا ذلك بقولهم : إن الناطقين بسوق توهموا أن ضمة السين واقعة على الواو التى بعدها فهمزوها تخففاً من ثقل الضم . وروى الفارسي أن أبا حية النيرى كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة . فيقول في حوت حوت وفى ثوم ثوم وفى موس مؤس وهكذا . وللعرب توهم آخر عكس الأول ، فإنهم إن كانوا في (سوق) توهموا أن حركة السين واقعة على

الواو بعدها ، فإنهم في (كمأة ومراة) توهموا فتحة الهمزتين واقعتين على الميم والراء الساكنتين الواقعتين قبلهما وانهما ساكنتان لا متحركتان فأصبحتا كمأة ومراة . والقاعدة في مثلهما جواز التسهيل فسهلنا كمأة ومراة . قال ابن سيده صاحب المخصص : (وهذا التعليل من أدق النحو وأظرف اللغة) أقول : وما استطرفه ابن سيده لا ينبغي أن يستهجنه أحد . وما ينطوى تحت هذه القاعدة أى قاعدة توهم أصالة الحرف جمعهم قيل على أقيال . والقيال عند الحميريين بمنزلة البرنس عند الإفرنج وهو مشتق من القول لأنه يقول ما شاء فينفذ قوله وأصله (قَيُول) كما أن أصل (ميت) بالتخفيف (ميوت) وقياس جمعه (أقوال) كما قالوا في جمع ميت أموات لكنهم جمعوه أيضاً على (أقيال) وذلك من كثرة ما سمعوا لفظ (قيل) الخفف فتوهموا ياءه أصلية وفعلوا ما فعلوا . ومن هنا تنتقل إلى جمع كثر النزاع حوله وعدوه من عثرات الأقلام فأطبقه على قاعدة توهم الأصالة وهو (أسياد) في جمع سيد . فعلماء اللغة يجمعون سيد على سادة وسادات وسيائد ولم ينقلوا إلينا جمعه على (أسياد) الذى اشتهر بيننا في العصور الأخيرة شهرة لا مزيد عليها . وقد أنكره العلامة الشيخ إبراهيم اليازجى وأثبتته الشرتونى في معجمه (أقرب الموارد) ولم يعمله . ولو علله لقال هو من الشواذ كما يقول علماء النحو في تعاليلهم .

أما وقد أسسنا قاعدة توهم الأصالة فلنلجأ إليها ونقول إن أسياد ليست جمعاً لسيد المشدد وإنما هو جمع لسيد الخفف جاء في مزهر السيوطى (جزء ٢ ص ١٧٣) من طبعة الرافعى

كما طبقناه في جمع سيد على أسياد نطبقه على فعله فنقول تسيد فلان بالياء إذا صار سيدياً على قومه كما قالوا تمولى إذا صار مولى لهم أما فعله القياسى فهو (تسود) بالواو لأن أصل سيد (سيود) واشتقاقه من فعل ساد يسود الواوى كما مر . ولم ينقل إلينا فعل (تسيد) بالياء إنما نقل (تحيز) فلماذا لا يطاوعنى الرفاق فنقول تسيد بناء على التوهم ونخص تسود بالشئ الذى صار أسود ؟ وإنا لنسمع الناس يستسهلون أن يقولوا تسيد فى معنى السيادة ولا يفهمون من (تسود) إلا معنى الاسوداد . وهنا ملاحظات يجدر بى أن آتى على ذكرها قبل لف الموضوع .

الملاحظة الأولى : كنت فى الشواهد التى سردتها أعتمد على توهم واقعى متابعة لعمارة ابن عقيل الذى بنى توهمه فى جمع (أرياح) على وجود لفظ (ريح) المستعمل فى اللغة . وهكذا الألفاظ الأخرى سواء أكانت مما ورد فى معاجم اللغة أو مما لمحت من أقوالنا فى لهجتنا الحديثة . وهناك كلمتان وردتا فى معاجم اللغة خالفتا القياس فى صيغتهما وسمعناهم يعللون المخالفة فيهما بالتوهم لكنه توهم لامستند له ولا هو واقعى ثابت فى الخارج وهما كلمة (مُسَرَّ) الواردة فى المثل العربى (كل مجر فى الحلاء مسر) أى مسرور . يضربونه مثلاً لمن يحمى ما فى نفسه ولا يدري ما عند غيره من الفضائل . قال صاحب اللسان والتاج : (كل مجر فى الحلاء مسر) قال ابن سيده هكذا حكاه أفنار بن لقيط إنما جاء على توهم (أسر) أى إنما جاء (مسر) اسماً للمفعول فى فعل أسر الذى توهموه توهماً وهم (أى العرب)

نقلاً عن الصحاح مانصه : « يقال فى سيد سيد كما يقال فى هين هين ولين لين وميت ميت » وسيد بالتخفيف كثير الاستعمال على ألسنتنا لكننا نكسر سينه ونقول (سیدی) وغلب هذا الاستعمال بكثرة فى لهجة إخواننا المغاربة إذ يقولون سيدى خليل سيدى جنون سيدى ابن زروق سيدى ابن عاشور ويخصون (مولى) بالملوك فيقولون مولای عبد الحفيظ . و(سيد) هذه المخففة من سيد هى التى جمعناها على (أسياد) كما جمع الذين من قبلنا (قيل) على (أقيال) بناء على قاعدة التوهم . وكثرة استعمال اللفظ هى التى تجعل التوهم يعمل عمله فسيد وقيل كثر استعمالهما فجمعاً توهما على (أسياد) و (أقيال) أما ميت المخفف فلم يشتر استعماله اشتهار ميت المشدد (إنك ميت وإنهم ميتون) ولذا لم نرهم جمعه على أميات مع أن الثلاثة واويات ساد يسود وقال يقول ومات يموت فلاك التوهم إذن كثرة الاستعمال . وهذه الكثرة تختلف باختلاف الأقوام والأمكنة والأزمان . وقد أورد بعضهم قول النمر بن تولب شاهداً على ورود (أسياد) فى كلام العرب وهو :

(أبى الحوادث والأيام من نمر
أسياد سيف كريم أثره بادی)

فأجبت بأنه لا يصلح شاهداً لإمكان أن تكون (أسياد) محرفة عن أسيار جمع سير بمعنى حائل السيف أو أسياد بالباء والدال بمعنى بقايا . وبحث (أسياد) جمعاً يحتمل كلاماً أكثر مما قلنا وقد أثبتناه فى تعليقاتنا الخاصة على قاعدة التوهم . ثم إن التوهم

لم ينطقوا به قط كما نطقت كلمات (ريح) و (عبد) و (منطقة) و (مشيخة) إلى آخر ما سردنا من الألفاظ الوجودية التي استندوا واستندنا إليها في التوهم . و (أسره) التي قال (ابن سيده) إنهم توهموها ليست كذلك . ومثل هذا التوهم الذي لا مستند له توهمهم في كلمة أخرى هي كلمة (منبوت) اسم مفعول ورد في شعر وهو :

وبلد يغضى على النعوت

يغضى كل غضاء الروى المثبوت

لا قيمة لهذا البيت من حيث ثبوته ومعناه وإنما القيمة فيما قاله صاحب اللسان تعليقه عليه وهذا نص عبارته : « قوله (المثبوت) أراد (المثبت) فتوهم ثبته كما أراد الآخر المسرور (في المثل السابق) فتوهم (أسره) . » فكلمة التوهم وردت في تخريج (مسر ومثوت) وجرت على لسان (ابن سيده) ثم على لسان كل من (ابن مطور) و (الزبيدي) فأنا أقبل منهم كلمة (توهم) وأرحب بها لكني لا أرحب بتصحیح كلمتي (مسر ومثوت) بناء على التوهم ، إذ أن التوهم فيهما لا مستند له في اللغة . على حد ما يفعله الفقهاء فإنهم لا يعولون على اجتهاد لا مستند له في الشرع .

تقولون أيها السادة : وبماذا نسمى خروج (مسر ومنبوت) عن القياس ؟ أسميه شذوذاً وهي التسمية التي اصطلاح عليها النحاة في كل ما خرج عن القاعدة وخالف القياس فكما قالوا في (أسعده) فهو مسعود شاذ أقول في أنبته فهو منبوت شاذ . إذن الخروج عن القاعدة قسمان : قسم من الألفاظ يستند في مخالفتها إلى شيء وجودي أو واقعي وهو الذي يدخل تحت قاعدتنا توهم الأصالة . وقسم من الألفاظ لا يستند إلى شيء وجودي أو واقعي فنسميه شاذاً كما يفعل النحاة أثابهم الله .

اسمحوا لي أيها الإخوان وقد بلغت النهاية من بحثي هذا أن آتي على شيء له علاقة كبرى بالموضوع ، وهما كلمتان أعجميتان جعلهما صاحب (أقرب الموارد) من التوهم وأرى أن لا يجعلاً منه ولا يذكر في شواهد الأولى فعل (همن) يهمن فإن الشرطوني بعد أن ذكر الهميان وفسره ونقل عن الأزهري أنه دخيل معرب قال أي الشرطوني « وفعله همن الشيء جعله في الهميان وهو مبني من الهميان على التوهم » انتهى . وقد عني بالتوهم توهم أصالة النون في هميان وإنما هي زائدة إذ أن مادته هي لاهمن وأنا لا أرى هذا مقبولا ولا معقولا مادامت الكلمة أعجمية نجهل النطق بحروفها وطريقة اشتقاقها في لغتها الأصلية ، وقاعدتنا في التوهم إنما تبنى على معرفتنا الحرف المتوهم وتحقق أصالته أو زيادته أو تحوله وهذا غير متيسر لنا في الكلمات الأعجمية . والكلمة الثانية فعل (تبلر) مشتقاً من كلمة (البلور) قال الفاضل الشرطوني في ذيل معجمه : (تبلور الشيء صار بلورا أو شبيهاً به نقله من لاثقة به وعلى فرض صحته فقياسه تبلر كتمجس إذا صار مجوسياً) فقوله هذا يشعر بأن الواو زائدة في (بلور) فتوهموها أصلية وأقحموها في فعله وقالوا (تبلور) بناء على هذا التوهم . وأقول فيه ما قلته في سابقه فعل (همن) فإن لفظ (البلور) أعجمي في غالب الظن ، وهذا الجوهرى أحمله وأبو عمرو والزاهد ذكره ولم يذكر أصله . فواوه أصلية أو زائدة - أمر مجهول لما ذكرنا ، وسواء أقلنا في فعله تلبّر أو تلور لا يمكن القطع بأن أحدهما جاء على القياس والآخر على التوهم . فالألفاظ سواء أكانت أفعالا أو أسماء لا تحرى قاعدة التوهم في اشتقاقها وتحولاتها ما لم تكن عربية وإلا فإن صيغ الكلمات الأعجمية موضع اشتباه ولا علم لنا إلا ما علمنا الله .

أسماء العشب والشجر في بوادي العرب

لحضرة العضو المحترم الدكتور عبد الوهاب عزام (*)

لا أقصد بكلمتي هذه إلى أن أزيد علماء النبات أو اللغويين معرفة بأعشاب البلاد العربية وأشجارها ، ولا أريد إيضاح مذكره اللغويون مجملًا أو مبهمًا ، ولا تسمية ما لم يعرف له اسم عربي من أنواع النبات ، ولكني أريد التنبيه إلى ما عسى أن يستفاد من البحث في البوادي ، في إكمال معاجم النبات العربية أو توضيحها أو تصحيحها ، والتعريف بأن العرب في بواديهم لا يزالون يتكلمون بما تكلم به آبائهم من قبل في تسمية الأعشاب والأشجار وصنوف النبات ، وأن زمان الاستفادة من البوادي في هذا الشأن لم يمض.

ذهبت لسياحة في جزيرة سيناء مع جماعة من أساتذة كلية الآداب وطلابها شتاء سنة ١٩٤٠ م. وكان من همي في هذه السياحة أن ألقى الأعراب وأتحدث اليهم على قدر ما يتسع الوقت في هذه السياحة القصيرة .

وكان أول من تحدثت إليه أعرابياً اسمه مطير من قبيلة اسمها القراشة فسألته عن نبات صغير تنبت أغصانه من جذوره مستقيمة دقيقة وله ورق مستطيل دقيق ، فقال : هذا الرّتم . فذكرت قصة أبي الطيب المتنبي حين فارق مصر إلى العراق وارتاب في الطريق بأحد عبيده فضربه بالسيف فخر على رثمة . وذكرت قول الراجز .

نظرت والعين مبينة التهم
إلى سنا نار وقودها الرّتم
نُشبت بأعلى عانيدَيْن من إضم

وسألت من بعد اعرابياً اسمه مُحيد ركبت
جمله إلى جبل موسى :

قلت : أهنا ثمام ؟ قال : لا . في وادي كذا
ثمام كثير . قلت : نحن نقرأ في كلام العرب
قولهم : هذا الشيء على أطراف الثمام . قال :
نعم كذلك نقول إذا كان الشيء كثيراً قريباً
لأن الثمام قصير .

وسرت يوماً على ظهر جبل اسمه هديّان
واسم صاحبه فرحان وكان معي أحد الطلاب
على جبل آخر اسمه صبيح .

وكان معنا صبي فطن لقن اسمه سعد دون
العاشرة تطوع لصحبتنا . وسمعتني سعد أسأل
عن أسماء النبات . فكان لا يمر بدات إلا سماه
وقلعه أو قطع فرعاً منه وناولني إياه .

ناولني شبيحة . فقلت : أهنا قيصوم ؟
فأسرع بعد قليل إلى شجيرة فقلعها وأتى بها
وقال . هذه قيصومة وهي تشبه الشيح لا يميز
بينهما إلا الخبير بالأعشاب .

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثالثة عشرة
للمؤتمر (١٥ من يناير سنة ١٩٤٩) . انظر القرار
الثالث من « القرارات الادارية والتشيطية » في
هذه الدورة .

ثم مررنا بنبات صغير لاطئ بالأرض له
عصارة لزجة فقال سعد : وهذه لُبَيْدَة .
ورأى شجرة شوك كبيرة فقال هذه سِلَّة . ثم
سمى من ضروب النبات الذي مررنا به الِورَاقَة
والكَبَاث وهو يشبه السلة ولكنه أضعف شوكة
وكان حملنا هديان إذا مر بكبائة أبي إلا أن
يميل إليها ليأكل منها . والكباث في معاجم
اللغة ثمر الأراك . وهو غير هذا .

ومما رأينا الخِرْماع . وهو نبات له أصل
مستقيم كالعصا وفروع قصيرة رأيت واحدة
منها يابسة فأشرت إلى سعد فجري إليها وحاول
قلعها فاستعصت عليه فناديته أن اتركها فأبى
وما زال يقوم بها ويقعد حتى قلعها .

وأراني سعد من النبات النعمان وأصابع
العجوز والمرورة والبرمكان والدُهْمى وكلها
من النبات الضعيف الصغير .

ورأيت الزعتر والتُثيران . قال سعد :
هو نبات الحمير .

ولما اجتزنا وادي فاران في رجوعنا لقيت
صبياً اسمه ربيع يرعى غنماً فسألته عن نبات
ضعيف يشبه البصل قال : بَرَوَق .

أقول . البروق معروف في أمثال العرب .
قالوا : أشكر من بروق لأنه يعيش بأدى ندى
يقع على الأرض . وقالوا . أضعف من بروقة .

ثم سألت ربيعاً عن نبت آخر فقال هو
الرَّمْث قلت رأيت حطب الرمث في العراق

وهو أطول من هذا وذكرت قول أبي الطيب
يدكر ناقته في قصيدته التي مدح بها ابن العميد :
تركمت دخان الرمث في أوطانها
طلباً لقوم يوقدون العنبراً

وتوقفنا في مسيرنا من بعد عند جبل يسمى
جبل الزمرد فسألت أعرابياً هناك عن عشب
ضعيف له زهر بنمسيجي قال هو البَهْكَ ينبت
بعد المطر ، ثم سأله عن نبت له ثمر مستدير
ذو شوك فقال السعدان . قلت أهو هذا ؟
وتذكرت حسك السعدان وقول العرب :
مرعى ولا كالسعدان .

وأكثر هذه الشجيرات مذكور في كتب
اللغة باسمه المعروف اليوم وبعضها يذكر باسم
قريب . وبعضها لم أعثر عليه في المعاجم مثل
اللُبَيْدَة والخرماع . وفي معجم أحمد عيسى أم
لُبَيْدَة ولعلها اللبيدة التي ذكرت .

• • •

وفي هذه السنة رأيت في جزيرة العرب
شجراً ونباتاً أسماؤها كما نعرف في كتب اللغة
والأدب ، وعرفت تمييز العرب بين فصائل
من الشجر متشابهة لا يفرق الناظر غير الخير
بينها مثل السلم والطلح والسمُر والعوسج وهي
كثيرة في أرجاء الجزيرة .

ورأيت المَرَح كثيراً وفي المثل العربي :
لكل شجر نار واستمجد المرح والعفار .

وكنت على مقربة من بدر فرأيت شجرة

حسبتها أراكاً ، ولكن دليلنا « عايداً » تأمل فيها وقال : هذا تَنْضُب . وفي القاموس « والتَنْضُب شجر حجازي شوكه كشوك العوسج » وفي اللسان « والتَنْضُب شجر ينبت بالحجاز وليس بنجد منه شيء إلا جِزْعَة واحدة بطرف ذِقان عند النقيدة . وهو ينبت ضخماً على هيئة السرح وعيدانه بيض ضخمة » .

وقال أبو نصر : « التَنْضُب شجر له شوك قصار وليس من شجر الشواحق . » والذي رأيته شجرة لها أغصان ذات أنابيب متواصلة وليس له ورق . فما أدري أهو تنضبة صغيرة أو ضرب آخر كما يؤخذ من كلام أبي نصر .

ورأيت عايداً يقلع نباتاً فيضعه تحت عجل السيارة وقد ساخت في الرمل فقلت ما هذا قال : عرفج . قلت : رأيت العرفج في نجد . وهو غير هذا . قال : ذاك النبات الأبيض ؟ نعم : يسمى في نجد عرفجاً .

قلت إن اختلاف الروايات في كتب اللغة تنشأ أحياناً من مثل هذا أعني اختلاف التسمية باختلاف البقاع .

وفي الطريق بين مدينة الرياض والخرج وهو قرى ومزارع على ٨٥ ميلاً من الرياض إلى الجنوب والشرق وقفنا السيارة في روضة فيها ضروب العشب والشجر . وكان سواقنا من قبيلة الدواسر وهي تنزل على واد يسمى باسمها يهبط من اليمن إلى الشمال الشرقي ، وكان على معرفة بنبات البادية ولكن الحارسين اللذين رافقانا كانا أبلغ معرفة لم يجهلا شيئاً مما

سألناهما عنه . وقد سألتها ، فعرفاني بالأنواع الآتية فأخذت أصولاً منها وفروعاً ، وهي : الخُزامى والحَمَض والحَوَذَان والنَّمَل والقَيْصُوم والثَّمَام والعُصْلُ والبَعِيثَرَان والعِشْرِق والسَّنَا والعَرَفَج والحَطَمِي .

وكلها معروفة في شعر العرب وكتب اللغة إلا البعِيثَرَان لم أجده في المعاجم اللغوية ولكن وجدت البَعِيثَرَان والعَبَوَثَرَان . ولا أدري أخطأت السماع أم تغير الاسم وفي معجم النبات للدكتور أحمد عيسى البعِيثَرَان .

وقد ذكرني الحوذان والنفل بقول أبي الطيب في قصيدة يمدح بها عضد الدولة :

سُبُل تطول المكرمات بها
والجد لا الحوذان والنفل

وقد سألت أحد الحارسين عن شجرة حطل فقال هذا الشرى . والمعروف في كتب اللغة الشرى بسكون الراء ولكن البدوى يصعب عليه النطق بالحرف ساكناً قبل آخر الكلمة لالتقاء الساكنين . وسألته عن حنظلة صغيرة قلت : ألا تسمى الهبيد ؟ قال كله هبيد . وفهمت من كلامه أن الهبيد لب الحنظل أو شحمه كما يقول اللغويون .

وذكرت قول المعري في اللزوميات :

كذلك نعام القفر يخشى من الردى
وقوتاه مرو بالعلا وهبيد
وقوله :

وكم ظالم يلتد شهيداً كأنه
ظلم قراه بالفلاة هبيد

ومن الأسماء التي سمعتها من رفيقتي ولم أعرفها من قبل :

القرقاص ، والذنابي ، والمكرو والنقد والرمارم . وقال محدثي إن الرمارم نافع في عضه الثعبان .

ولم أجد في كتب اللغة القرقاص ووجدت الذنابي باسم اللذنبان والمكر في اللسان بسكون الكاف والرمارم بلفظ الرمرام . ويقول صاحب القاموس : يأخذه الناس يسقون منه من العقرب .

ورأينا في نجد عائدتين من الرياض القتاد وهو شجيرات صغار لها أغصان يكسوها شوك صلب حاد . ولهذا قال العرب في الأمر البعيد : « دون ذا خرط القتاد » .

وقصارى القول أن في بوادي العرب ضرباً كثيرة من النبات لها أسماء تعرفها البادية وهذه الأسماء تتناول الأجناس والأنواع والفصائل وتميز بين الأشباه .

معظم هذه الأسماء معروف في الأدب القديم ومعاجم العربية ، وقليل منه لا يلقى في المعاجم .

فذهاب طائفة من علماء النبات واللغة إلى تلك البوادي وبحثهم عن ضروب النبات وأسمائها ووصفها وتصويرها حري أن يؤدي إلى هذه النتائج :

١ - تحقيق الأسماء القديمة ومعرفة مسمياتها معرفة بينة .

٢ - والفصل في الروايات المختلفة في مدلول اسم من أسماء النبات بمعرفة مدلول الاسم في هذا العصر وتصويره وبيان أن بعض الروايات التي في المعاجم غير صحيحة أو أن المسمى يختلف باختلاف البقاع أحياناً .

٣ - وتسمية ما لم يعرف له اسم عربي من أصناف النبات التي يعرفها النباتيون بأوصافها دون أسمائها أو يعرفونها بأسمائها اللاتينية . فعالم النبات يعرف النبتة حين يراها في البرية فيسأل عنها فيسميها بالاسم الذي يسمعه .

وهذا أيسر على الباحثين وأقرب إلى التحقيق وأوثق في التسمية من تعريب الاسم الأعجمي أو ترجمته أو ارتجال اسم للنبات .

* * *

فأقترح أن يتعاون مجمع اللغة العربية وجامعة فؤاد الأول على إرسال بعثة إلى جزيرة العرب أو إلى ما هو أقرب منها كبادية سيناء والصحراء الغربية المصرية . لتبدأ العمل في هذا فترى الشجر والنبات وتصفهما وتصورهما ثم تعرض على المجمع نماذج من عملها ليتخذ الوسائل الكفيلة بالمضي في العمل إلى غايته . وبهذا يتسنى وضع معجم للنبات عربي يكون عمدة للباحثين ومرجعاً لطلاب الأدب واللغة الذين يعانون اليوم ما يعانون في الاستعانة بمعاجم اللغة لمعرفة ما يرد من النبات في الأدب والتاريخ وفنون أخرى .

الأطلس اللغوي

للدكتور خليل عساكر خير بلجنة اللهجات (*)

عدة مناطق في طريقة حديثها ، وفي ألفاظها وتعبيراتها ، لم يأت عفواً ولكنه يشير إلى ماضٍ مشترك ، وإلى مراحل تاريخية واحدة مرت على هذه البلاد المتشابهة لغة وتعبيراً .

وتسجيل اللهجات العربية الحديثة تسجيلاً جغرافياً على خرائط يعين إلى حد كبير على دراسة هذه اللهجات في ذاتها أولاً وعلى دراسة اللغة العربية ثانياً . ويعين ثالثاً على معرفة ما يمت من اللهجات العربية إلى الفصحى بسبب وما هو متوغل في القدم منها أو حديث عهد بحياتنا اللغوية ، كما يعين أخيراً على دراسة سائر اللغات السامية دراسة مقارنة . وقد أبان الأستاذ شتيجر Steiger العالم السويسري الذي له بهذا الموضوع عناية خاصة ، عن قيمة الأطلس اللغوي وأهميته للغة العربية بقوله من تقرير له : (وبالنسبة للغة العربية نقول : إن القيام بعمل أطلس لغوي لها سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية لأنه سيكمل من غير شك الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية العصرية . وسيكون لهذا الأطلس الفضل في إطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة التي غزتها وعن مدى انتشارها وتأثيرها بالمراكز

الأطلس اللغوي من أحدث وسائل البحث في علم اللغات وفقها ، وله وظيفة ذات أثر بالغ في الدراسات اللغوية في العصر الحديث وتلك هي تسجيل الواقع اللغوي للغات واللهجات على خرائط يجمعها آخر الأمر أطلس لغوي عام ، وتختص كل خريطة بكلمة فتسجل عليها الاختلافات الممكنة للكلمة الواحدة ، سواء أكانت هذه الاختلافات صوتية أي خاصة بأصوات اللفظ وحركاته ونبره وطريقة النطق به ، أم كانت صرفية تتناول صيغة اللفظ وبنيته . كما تسجل على الخريطة المترادفات الواردة للمعنى الواحد الذي قد يعبر عنه بلفظ خاص يختلف باختلاف القرى والمدن والأقاليم . فإذا تمت خرائط على هذا النحو في قطر من الأقطار أو أقليم من الأقاليم وكانت كل خريطة تحتوى على خمسمائة جهة مثلاً ما بين قرية وبلدة ومدينة ، اتضح آخر الأمر مدى انتشار هذه المترادفات وتلك الأصوات والصيغ المختلفة للفظ الواحد ، وأصبح ممكناً تقسيم القطر أو الأقليم على هذا الأساس إلى مناطق لغوية متميز بعضها عن بعض ، كما يمكن معرفة ما عسى أن يكون فيه مما يسمونه « الجزر اللغوية » .

ويعتبر الأطلس اللغوي نوعاً من العرض الجغرافي للغة ممثلة في لهجاتها المختلفة . ولا شك في أن التشابه الذي يوجد بين عدة بلاد أو

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (٨ من يناير سنة ١٩٤٩) .

الثقافية وتنوع مفرداتها إلى غير ذلك من المكتشفات التي لا يمكن أن تتم إلا إذا جمعت هذه المواد . إنه سيكون عملاً ثقافياً من الطراز الأول وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخار في تاريخ الثقافة العالمية .

وليس الأمر مقصوراً على الناحية اللغوية والصوتية بل يستعان بالأطلس اللغوية على الدراسات الاجتماعية والتاريخية على أساس أمثـن وأشمل . وفي هذا يقول الأستاذ يود Jud وهو أستاذ سويسري متخصص في اللغات الرومانية : الفرنسية والأسبانية والإيطالية : « من المستحيل أن يكتب تاريخ صحيح للشعب الفرنسي أو الإيطالي أو الأسباني إلا إذا عرفت اللغات المحلية في تلك البلاد ، ودرست دراسة عميقة . تلك حقيقة خطيرة أصبحت مقررة معروفة . »

* * *

أما الفكرة في عمل الأطلس اللغوية فقد بدأت في النصف الثاني من القرن الماضي . وكان رائداً هذا النوع من الدراسة ، التي اعترف علماء اللغات بمالها في حل المشكلات اللغوية من نفع وقيمة وخطر ، هما : فنكر Wenker الألماني ، وجيرون Gillieron الفرنسي . وقد قام كل منهما بعمل أطلس لبلاده ، ظهر أحدهما وهو الأطلس الفرنسي ولم يقلد للآخر الظهور حتى اليوم . ولعل السبب في ذلك أن الخريطة في الأطلس الفرنسي تمثل من القرى والبلاد والمدن ما بين ثلثائة حمة وستائة وأربعين جهة . على حين تمثل

الخريطة في الأطلس الألماني خمسين ألف جهة أي أن النقط في الأطلس الألماني أشد كثافة منها في الأطلس الآخر .

وقد أخذت فكرة عمل الأطلس تنسـع منذ ظهور الأطلس الفرنسي سنة ١٩٠٦ ، ثم هي تنتشر الآن انتشاراً واضحاً يوماً بعد يوم . وسويسرا هي البلد الذي يحتضن الآن هذه الدراسة حيث ينهض بها ويقوم عليها الأستاذان : يابرج Jaberg ويود Jud اللذان قاما بعمل أطلس لغوي لإيطاليا وجنوب سويسرا وكذلك الأستاذان : هوتسكيرلي Hotzenkoehrer وبومجارتنر Baumgartner اللذان يقومان الآن بعمل أطلس لغوي للقسم الألماني من سويسرا .

أما الأطلس التي تم طبعها والتي لا تزال تطبع ، وكذلك التي تعد أو أعدت فعلاً وتنتظر الطبع فهي :

١ - الأطلس اللغوي لفرنسا . نشره الأستاذ جيرون سنة ١٩٠٦ .

٢ - الأطلس اللغوي للبلاد الألمانية والنمساوية وقد قام بعمله فنكر ثم فرده Wrede ونشرا منه حوالي أربعين خريطة لبعض أقاليم ألمانيا . أما الأطلس الشامل لكل البلاد الألمانية فلم يطبع حتى الآن .

٣ - الأطلس اللغوي لإيطاليا وجنوب سويسرا نشره الأستاذان يابرج ويود سنة ١٩٢٨ ويقع في ثمانية مجلدات .

هذا وقد نبئت فكرة عمل الأطالس اللغوية فى بعض البلاد الأخرى كالسويد والنرويج والبرتغال وإنجلترا . أى أنها قد شملت معظم بلاد أوربا بل تعدتها إلى أمريكا وبعض البلاد الشرقية .

• • •

طرق عمل الأطالس اللغوى :
هناك طريقتان إحداهما ألمانية والأخرى فرنسية .

أما الطريقة الألمانية فقد ابتكرها وقام بتنفيذها فنكر وخلاصتها أنه ألف أربعين جملة تمثل أهم مايجرى على ألسنة الناس كل يوم فى بلاده ، وطبعها على شكل استمارة بها بيانات خاصة على النحو الآتى بعد تعديلها بما يوافق اللهجات العربية . أما الجمل فقد أوردنا نماذج منها مترجمة بنصها عن الأصل الألماني :

٤- أطلس لغوى لرومانيا . طبع منه ثلاثة أجزاء قبل بدء الحرب الماضية .

٥- أطلس لغوى لقطلونيا . وهو مطبوع .

٦- أطلس لغوى ممتاز للبلاد الهولندية (مطبوع) .

٧- أطلس لغوى لكورسيكا . أوشك طبعه أن يتم .

٨- أطلس لغوى لأمريكا الشمالية . صدر منه الجزء الأول الخاص بولاية نيويورك .

٩- أطلس لغوى صغير لسوريا ولبنان وفلسطين . نشره الأستاذ المستشرق برجشتريسر Bergstrasser سنة ١٩١٥ .

١٠- أطلس لغوى للقسم الألماني من سويسرا ، يوالى العمل فيه ويعدده الآن للطبع الأستاذان : هوتسكيرلى وبوجارتير .

صحيفة أسئلة لغوية خاصة باللهجات العربية الحديثة

الجهة التى سمعت فيها اللهجة العربية وسجلت : المركز : المديرية :

المسجل اللغوى الذى سمع اللهجة ودونها	الراوى اللغوى الذى نقلت عنه اللهجة
الاسم :	الاسم :
السن :	السن :
المهنة :	المهنة :
محل الميلاد :	محل الميلاد :

الجملة في اللهجة العربية الحديثة	الجملة في اللغة العربية الفصحى
	١ (تسقط أوراق الشجر في الشتاء وتتناثر في الهواء .
	٢ (ضبع شيئاً من الفحم في الفرن حتى يغلي اللبن
	٣ (كانت النار قوية حتى لقد احتزق الفطير واسود من شدة الاحتراق .
	٤ (إنه يأكل البيض دائماً بغير ملح أو فلفل
	٥ (توئلى قدماى ألما شديداً ، والظاهر أنى سرت أكثر مما يجب .
	٦ (نحن ظماء متعبون .
	٧ (ألا يمكنكم الانتظار لحظة حتى نذهب معكم ؟
	٨ (لقد خرجت الكلمة من قلبه .
	إلى آخر الجمل الأربعين

أولا صور اللفظ وصيغته ومترادفاته على خرائط تفصيلية تشتمل على بلاد الإقليم جميعها ثم تحدد عليها المناطق اللغوية المختلفة . وبعد هذا ترسم الخريطة العامة على ضوء الخرائط المفصلة بل على أساسها . ويبين على هذه الخريطة العامة الحدود النهائية للمناطق اللغوية على وجه الإجمال .

وأما الطريقة الفرنسية - وهي الطريقة السائدة الآن في عمل الأطالس - فخلاصتها أن تعمل خريطة للأقليم المراد عمل أطلس له وتنتخب منه قرى وبلاد يلاحظ في كل منها أن تمثل إلى حد البيئة اللغوية التي توجد بالبلدة أو القرية فيها . وقد بلغ مجموع هذه البلاد في أطلس إيطاليا حوالى أربعائة بلدة .

وقد أرسلت نسخ من هذه الصحيفة اللغوية المشتملة على الجمل الأربعين إلى جهات ألمانية ظلت تزدد شيئاً فشيئاً حتى بلغت في النهاية خمسين ألف جهة ، وكان لإرسالها على نفقة الدولة وبصفة رسمية ، أما المسجلون الذين سمعوا اللهجات من أفواه الرواة ودونوها فكانوا في معظم الأحيان من معلمى المدارس الأولية نظراً لمعرفتهم بأحوال القرى التي ينزلون فيها واتصالهم بأهلها عن كثب ، ثم لثقافتهم التي أهلتهم لتسجيل النطق وتصويره كتابياً لا أقول تصويراً دقيقاً محكماً ، بل تصويراً قائماً على أساس وإحساس لغويين لا بأس بهما ولا غبار عليهما في معظم الحالات .

وبعد أن تجمع هذه الإجابات يبدأ بعمل خريطة لكل لفظ على حدة . وذلك بأن تفرغ

أثناءها أحد ثقاتها عن كل ماورد في كتاب الأسئلة مستوضحاً إياه ما يحتاج إلى توضيح وواقفاً منه على التعبير الدقيق لكل مايراد معرفته والإجابة عنه في الكتاب المذكور .

أما الشخص الذى توجه إليه الأسئلة ، وأظن أنه لا بأس من أن نسميه « الراوى اللغوى » فيجب أن تراعى فيه أمور كثيرة منها : أن يكون من صميم أبناء البلدة التى يعيش فيها ، وألا يكون قد نزع عنها إلى بلاد غيرها ثم عاد إليها وذلك لكيلا تتأثر لهجته الخاصة بموثرات خارجية ، وأن يكون صريحاً صادقاً مخلصاً في الإجابة على ما يوجه إليه من أسئلة لا يداور السائل ولا يطوى عنه شيئاً ، وأن تكون مخارج حروفه سليمة ما أمكن ، وأن يكون تام القدرة على فهم السؤال والتعبير عن نفسه وعلى إدراك المراد إدراك يقظ خبير فطن .

وبذلك كله يستطيع مثل هذا الراوى أن يمثل بلدته أو قريته تمثيلاً لغوياً هو أدنى ما يكون إلى الصواب . وعلى الرائد أن يصور على قدر الإمكان ما يراه غريباً غير مألوف في البلاد التى يزورها من مختلف أنواع الملابس والأزياء والأدوات المنزلية والآلات الزراعية والصناعية وأن يسجل أسماءها المختلفة ، لأن كثيراً من هذه الأشياء فى تغير مستمر ، ومنها ما يمضى قدماً فى طريق التقدم ومنها ما يمضى حثيثاً فى طريق الفناء .

ثم يؤلف كتاب خاص يعرف بكتاب الأسئلة : (Fragebuch) يحتوى على ألف سؤال أو على ألفين وخمسمائة . يتوخى فيها أن تكون شاملة لأهم الأشياء التى تشاهد فى الريف وفى المدينة ولأكثر الألفاظ شيوعاً فى الحياة اليومية كما يتوخى فيها أن تكون الإجابة على كل سؤال منها كلمة واحدة فى غالب الأحيان . ويكون ترتيب هذه الأسئلة موضوعياً بحيث يختص كل جزء من الأطلس بموضوع أو بعدة موضوعات . ومن أمثلة ذلك فى الأطلس اللغوى لإيطاليا :

أسماء الأهل وذوى القربى كالعالم والحال والأخ والأخت وغيرهم - أطوار العمر والميلاد والزواج والموت وما يتعلق بذلك - جسم الإنسان وصفات الجسم من طول وقصر وبدانة ونحافة - أسماء الصناعات والصناع - النقود والتجارة والأعداد - الوقت وأقسامه وظروف الزمان وظروف المكان - الأرض والمعادن - الأجرام السماوية والظواهر الجوية الأشجار والشجيرات والأزهار - الملابس والأقمشة والغزل والنسج والحياكة والغسل والتنظيف إلى غير ذلك مما ليس هنا مكان تفصيله .

وتأليف كتاب الأسئلة هذا من أهم الأشياء التى يجب مراعاتها فى هذا العمل .

بعد هذا تعمل من الكتاب طائفة من النسخ تعطى لرواد لغويين مدربين تدريباً كاملاً من الناحيتين اللغوية والصوتية فيذهب الرائد إلى القرية أو المدينة ويقضى بها أربعة أيام أو خمسة يسأل

يقومون بجمع مادة الأطلس قد دربوا التدريب الكافى فى الناحيتين اللغوية والصوتية وبذلك يعتبرون ثقة فيما يدونون عن الرواة اللغويين .

ويلاحظ على الطريقتين كذلك أن الفرنسية طريقة مباشرة وأن الأخرى طريقة غير مباشرة فكانت أقل دقة من الأولى .

• • •

وبعد فإن الأطلس اللغوى يقدم لكثير من الباحثين مادة للبحث قيمة فيها خصب وفيها غناء .

فلذا تم ارتياد المدن والقرى المعينة على الخريطة التى وضعت أساساً للعمل جمعت صيغ اللفظ ومرادفاته فى البلاد المختلفة وأخذ فى دراستها وترتيبها تمهيداً لوضعها فى شكلها النهائى وصورتها الأخيرة على الخريطة ويكون ذلك بكتابة اللفظ مكان القرية أو البلدة التى نبت اللفظ فيها وعلى السنة أهلها يجرى ويتداول .

والفرق بين الطريقتين فى عمل الأطلس أن الطريقة الألمانية تمتاز بالشمول لأنها لاترك جهة إلا ذكرت رواية اللفظ فيها ، على حين تمتاز الطريقة الفرنسية بالدقة لأن الرواد الذين

نعى المرحوم الدكتور أوجست فيشر

العالمية والمصاعب التي أعقبتها حائلاً دون عودته إلى مصر ، فأصبح فراقه أبدياً . وقد نعاها إلى المجمع تلميذه الدكتور أ. شاده ، فكان لنعيه صدى من الأسف العميق . وقرر المجلس إبلاغ أسسه وتعزيزته إلى قريبته . ثم أعلن السيد الرئيس خلو مكانه وفقاً للائحة الداخلية للمجمع^(١) .

نعى إلى المجمع في هذه الدورة المستشرق الجليل الدكتور أوجست فيشر ، عضو المجمع وصاحب المعجم اللغوي التاريخي الكبير الذي عني المجمع بأمره . وتكفلت وزارة المعارف بطبعه . توفي في الرابع عشر من شهر فبراير سنة ١٩٤٩ م في مدينة ليبسح . بعد أن انقطع عن المجمع سنوات طويلة وقفت فيها الحرب

تأين المرحوم الأستاذ على الجحارم

العوامري كلمة في تاريخ حياة الفقيه وتحليل آثاره العلمية والأدبية ، وأعقبه الأستاذ محمد شوقي أمين المحرر بالمجمع فألقى قصيدة السيد العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد في رثاء الفقيه . وانتهى الحفل بكلمة من السيد الدكتور فارس نمر أكبر أعضاء المجمع سناً ، ترحم فيها على الفقيه ، وذكر ماله في قلوب إخوانه من مكانة عليّة . وذكرى غالية . وفيما يلي نص كلمة السيد الأستاذ أحمد العوامري وقصيدة السيد الأستاذ عباس محمود العقاد :

اغتالت يد المنون الشاعر النادر . والأديب الكبير . عضو المجمع منذ إنشائه ، المرحوم الأستاذ على الجحارم .

وقد دعا المجمع إلى حفل لتأين الفقيه الكريم في ذكرى الأربعين من وفاته ، مساء يوم الأحد ٢٠ من مارس سنة ١٩٤٩ م ، بدار الجمعية الجغرافية الملكية ، فلبى الدعوة جمع كبير من أعضاء المجمع ورجالات العلم والأدب وافتتح الحفل السيد الدكتور منصور فهمي كاتب سر المجمع نائباً عن السيد الرئيس . فنوه بما للفقيه من منزلة عالية في الأدب . وجهده مثمر في اللغة . وأثر ظاهر في المجمع ثم ألقى السيد العضو المحترم الأستاذ أحمد .

(١) الجلسة السادسة عشر. والحادية والعشرون المجلس ٢٨ من مارس و٢ مايو سنة ١٩٤٩ م.

كلمة السيد العضو المحترم الأستاذ أحمد العوامري

إني ليحزنني أن أقف الليلة . لأؤبين تلميذي
وصديقي الجليل . الأستاذ على الجارم . نعم ،
لأنه لموقف هائل حقاً . أن يمر على خاطري
الآن . كرجع الطرف ، حقبة من الزمن ،
تربني على أربعين عاماً . شهدناها معا ، وعملنا
فيها معا . حقبة حافلة بذكريات الشباب
والكهولة . مليئة بالأحداث الجسام . ولاسيما
تلك التي لا بست التعليم في وزارة المعارف .
منذ أن كان بدائياً . ملتوياً ، قليل الغناء ،
إلى أن تطور وازدهر ، وتفرع وتخصص .

كان أول عهدي بالفقيد العزيز . عندما
رجعت من إنجلترا عام ١٩٠٧ م ، وأسند إلى
تدريس التربية وعلم النفس بدار العلوم .
وكان هو بالسنة الرابعة — أو النهائية — بهذه
المدرسة . وكان بتلك السنة نحو ستة عشر
طالباً . على ما أذكر .

فجعلت أتفحص عنهم . وأسبر غورهم ،
فلم ألبث حتى تبينت من بينهم طالبين ، امتازا
بسعة الأفق . ودقة الحس . وكمال الاستعداد
الأدبي — كان هذان الطالبان على الجارم .
وأحمد ضيف — الدكتور أحمد ضيف — رحمه الله .

كان على الجارم زعيم هذا الفصل علما
وذكاء ولسنا . حاضر الندية . قوى المنطق .
حتى لقد كنت أعهد إليه أحيانا — وأنا مطمئن
النفس — في أن يلتقي بعض دروسي وأنا حاضر

بعد أن أكون قد دفعتها إليه من قبل ، مذكرات
مكتوبة على عجل . فكان يعدها لإعداد الفطن
ويلقيها إلقاء من درب بالتدريس . ولم يكن
الجارم بعد قد مارس منه شيئاً ، اللهم إلا
ما كان على سبيل التمرين في المدارس الابتدائية .

وبهرني من الجارم أول ما بهرني ، شباب
رائع . كآتم ما يكون الشباب بهاء وروعة ،
ثم حيوية فائقة يزيناها مرح ، ودعابة عذبة
هذبها طبيعة سليمة . حتى لقد كان يبعث
في مجلسه وبين أقرانه . بل في الدرس نفسه ،
من فكاهاته ومداعباته . ما يجلو عن النفس
صدأ الملل .

وغريب أن يلزمه هذا المرح طول عمره :
مارأيت مرة مطرقاً . ولا واجها ، ولا مكتئباً
ولا سادماً . اللهم إلا حين ثكل ابنه البكر .
فاستسرّ عنا حيناً . ثم جاءنا ونحن في بعض
بلحان الجمع . فأقبل علينا يحيننا ويداعبنا ،
كأن لم يكن قد طرقة بالأمس . ذلك الطارق
الآليم . ثم مضى معنا في شأننا كعادته .

وغريب أيضاً أن المرض نفسه لم ينل من
تلك الروح المتفائلة المستبشرة . فظل يطرفنا
بملحه في جلسات الجمع . ويرفه عنا . ويدود
عنا سأم الجدل . وعنت المناقشة . حتى آخر
جلسة . قبل وفاته بيوم واحد .

عاد الجحارم من انجلترا ، وعين بمدرسة التجارة بالقاهرة . ثم نقل إلى دار العلوم سنة ١٩١٤م ، وهي ميدانه الذي تأهل له ، ومعهد الذي نبت فيه ، ومن أجله تخصص في التربية وعلم النفس .

ولم يكن للتربية وعلم النفس إذ ذاك كتب بالعربية ، يتداولها الطلاب ، غير كتاب كان قد صنفه عالم من أبناء دار العلوم ، هو حسن توفيق العدل - رحمه الله - في أواخر القرن التاسع عشر ، وغير كتاب وجيز في التربية وحدها ، للعلامة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله .

ألف حسن توفيق كتابه هذا في جزأين ، لما كان بألمانيا ، أستاذاً للغة العربية ، بمدرسة اللغات الشرقية ببرلين . وأرسله إلى وزارة المعارف . فطبع بالمطبعة الأميرية . وهو أول كتاب بالعربية في موضوعه - على ما أعلم - متين العبارة ، نقي الأسلوب ، جمع بين آراء كبار المربين من الأوربيين في ذلك العصر ، وآراء جلة علماء العرب ، ممن تصدوا المعالجة مشاكل التربية والتعليم . ثم مزج كل ذلك بما ورد في هذا الموضوع من الآثار الإسلامية الصحيحة .

ظل طلبة دار العلوم يتدارسون هذا الكتاب ردحاً طويلاً من الزمن ، إلى جانب ما يلقيه عليهم أساتذتهم من محاضرات ، حتى جاء الجحارم ، فرأى أن قد حان الوقت ، لأن يكون بأيدي الطلاب كتاب يلم بأطراف

الجديد من « علم النفس » ، مطبقاً على الحديث من نظريات التعليم ، مما انتهى إليه البحث إذ ذاك . فعكف مع الأستاذ مصطفى أمين ، فأنجزا كتاب « علم النفس وأثره في التربية والتعليم » . فكان الطليعة في هذا الميدان .

وكان حسن توفيق - رحمه الله - قد جهد في وضع بعض مصطلحات علم النفس ، أو ترجمتها أو اقتباسها ممن تكلموا في الأخلاق والفلسفة : كالغزالي وابن مسكويه ، وابن حزم وغيرهم . وجاء الجحارم وصاحبه في كتابهما هذا ، فقطعا في هذه السبيل شوطاً موفقاً . حتى لقد أفاد المؤلفون بعدهما في هذا العلم ، من ثمرة جهودهما . ثم واصلوا البحث على غرارهما . فكان من كل ذلك ثروة صالحة من مصطلحات علم النفس .

نشط الجحارم إذاً في دار العلوم ، واستغل حيويته وشبابه ، وما حصله من خبرة وتجربة في نفع طلابه . فتخرج عليه في السنوات الثلاث ، التي قضاها هناك ، طائفة صالحة من المعلمين . برز منهم - فيما بعد - صفوة يفخر بها . ولم يطل لبثه بدار العلوم . فنقل سنة ١٩١٧م إلى وزارة المعارف مفتشاً للغة العربية .

ورجل كالجحارم لا يقنع بدورة التفتيش الآلية ، ولا يشبع مطامعه عمل كهذا . بل هو رجل همه الدؤوب والإتقان ، وإنه بصدد خدمة اللغة ، وتحليلها من شوائبها . وما علق بها من العامى والدخيل .

وتلك هي سنة سنّها العالم اللغوي المحقق ،

الشيخ حمزة فتح الله - رحمه الله - حين كان كبير مفتشى اللغة العربية ، في نحو الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن الحالي .

وكانت اللغة العربية إذ ذاك لاتزال تتعثر فيما خلفته لها العصور الغابرة ، من سقم وضعف ، فهو أول من نبه المعلمين على المراجعة ، والبحث في دواوين اللغة ومعجماتها . وكانت مهمة منسية ، وكان السجع ومحسنات البديع ، لاتزال تجد سبيلها إلى كراسات التلاميذ . فنهض - رحمه الله - باللغة نهضة قوية ، بما أسداه للمعلمين من إرشاد ، موقناً أن ذلك هو مبدأ الإصلاح ، وأن المدارس هي الحقل الأول بعد المنزل الصالح لاستنبات اللغة الصحيحة التي لاتقوم حضارة إلا عليها .

نحنا الجحارم إذاً هذا النحو ، وسار على ذلك الدرب ، وساعفته ملكة عربية سليمة ، وولوع بالبحث والاطلاع . وكان له في هذا الباب وغيره جولات موفقة ، في مجلة الجمع والصحف والمجلات ، وعلى منبر المذيع .

ثم نظر نظرة في النحو والبلاغة في المدارس ومايقوم في سبيل تعليمهما من عقبات شداد كلنا أحسها ، وكلنا كابدها ، ولا يزال أبنائنا حتى الآن يتعثرون في بقاياها ، برغم ما بذل في تذليلها من جهود . وما أنفق من وقت .

وكان بأيدي الطلاب حينذاك (كتاب قواعد اللغة العربية) الذي ألفه حفي ناصف - رحمه الله - مع آخرين . وهو كتاب جيد

التأليف . ولكنه مدمج مجمل ، في حاجة شديدة إلى تفصيل وتبسيط ، وإلى أمثلة مما يسيغه التلميذ ، ويدخل في معلوماته وتجاربه .

ولقد تحدثت أنا والجحارم كثيراً في هذا الموضوع ، وفيما كانت عليه مناهج اللغة العربية من تعقيد وتراكب ، وما كانت تشمله من أبواب لا طاقة للطلبة بها . ولم نك نملك من أمر تغيير المناهج شيئاً ، ولا أن نحذف منها ما يجب حذفه ، أو نضيف إليها ما ينبغي إضافته . وما كنا نملك إلا إرشاد المدرسين إلى تبسيط الموضوعات وتذليلها جهد الطاقة . حتى تعود أسلس قياداً . وأيسر جماعاً .

ومضينا في سبيلنا على مضض ، حتى قال لي الجحارم يوماً إنه اعتزم أن يضع مع صديقه مصطفى أمين ، كتاباً يسهل بعض الصعب . وييسر بعض العسر ، فشجعتة . فعكفا على العمل . فكان كتاب (النحو الواضح) في ثلاثة أجزاء للمدارس الابتدائية ثم تلاه (النحو الواضح) للمدارس الثانوية ، في أربعة أجزاء . وصدر بعدهما (البلاغة الواضحة) في جزء واحد كبير . كل ذلك على نفس المنهج القائم إذ ذاك ، لم يتغير فيه شيء ولم يتبدل ، ولم ينقص منه شيء ، ولم يزد عليه .

وأقبل المدرسون والطلاب على هذه الكتب أيما إقبال ، لما فيها من وضوح في الصوغ . وجمال في الوضع . وتجديد في الأمثلة . حتى لقد يمكن الطالب أن يخلو إليها من تلقاء ذاته . ويراجعها في غير استكراه .

على أن هذه الكتب لم تحقق الغرض كله .
إذ بقيت بعض الأبواب والمسائل المعقدة في
النحو والصرف والبلاغة على حالها .

وهي أبواب ومسائل كلنا يعرفها ، وكلنا
يشعر أن طلبة المدارس الابتدائية والثانوية ،
لا يسيغونها مطلقاً ، وما يضيرهم ألا يعرفوها .

ودرج الزمن ، واقتنعت وزارة المعارف ،
على تعاقب الأيام ، أن الحاجة ملحة إلى إعادة
النظر في هذه المناهج ، فغيرت وعدلت مرة
بعد أخرى ، وكان من نتائج هذا أن ألغى النحو
الواضح ، والبلاغة الواضحة ، من المقررات .

إذاً فقد خدم الجارم التعليم ، وخدم
العربية ، وظل عهده بالوزارة ، عضواً
عاملاً بارزاً ، مرموقاً بالتجلة ، لمكانته في
العلم ، وحصافته في الرأي . وجلده على
العمل .

وكان بين المعلمين نبراساً ، يفرعون إليه
في المشكلات ، ويلجئون إليه فيما انبهم عليهم
من المسألة . لا يترفع ، ولا يستعلي ، أخ لهم
وصديق وأستاذ . وكان بين التلاميذ أبا
عطوفاً ، ومرشداً رعوفاً ، لا يعنف ولا يتسخط
متحذب في امتحانهم متلطف . لا تنفارقة
الابتسامة العذبة ، ولا البشاشة المؤنسة ،
والقول اللين ، والدعابة الحلوة .

فقد ضرب للمعلمين المثل الحمي فيما ينبغي
أن يكون عليه الأستاذ من صفات ، تربط
بينه وبين تلميذه . وتحكم يديهما أوامراً الإلف .

ولم يكن الجارم في كل أولئك بتعمل ولا

متكلف . بل كانت هكذا فطرته . فالذين
عاشروه من غير المعلمين والمتعلمين ، يرون
فيه الإنسان الوادع السلس ، الذي لا يريد
أن يعقد حبل الحياة ، ولا أن يخلق المشاكل ،
أو يثير الخصومة .

...

ولقد أتبع للجارم في المجمع اللغوي نوع
آخر من الحياة ، ونهال له فيه جو متسع من
التفكير .

كان عضواً ناشطاً في مؤتمر المجمع ومجلسه
ولجانه ، قوى الحجة ، ساطع البرهان ،
تسعه ذلاقة لسان ، وقوة بديهة ، وشدة
عارضة . وتزينه تودة في القول ، ورزانة
عند الجدل ، وهندوء في النقاش .

وكان رحمه الله من دعائم (لجنة الأصول)
وهي اللجنة التي زودت المجمع - ولا سيما في
عهده الأول - بالقواعد التي يقوم عليها
التعريب والاشتقاق ، والتضمين والنحت
والقياس ، إلى غير ذلك . وأعضاء هذه اللجنة
يتوفرون على دراسة كتب الأئمة ، وأقوال
المجتهدين في اللغة ، ويستخلصون منها ما ييسر
عمل اللجان الأخرى ، كلجنة الطب ، ولجنة
الطبيعة ، ولجنة الكيمياء الخ ...

وكل ذلك يقتضي عناء ، ويقتضي سهراً
ومراجعة دقيقة . وكل كان للجارم في هذه
اللجنة ، وحول تلك المباحث والأصول ،
في جلسات المجمع ، من أخذ ورد . وكل كان

له فيها من محاورات ممتعة ومناقشات شائقة ، فلم يكن من أصل إلا له فيه دراسة . ولا قاعدة إلا له فيها كلام .

والمتتبع لمحاضر المجمع منذ إنشائه . يعجب مما للحارم فيه من نشاط متصل ، وما له من جهد دائم ، في كل ما تناوله من بحوث . وما انتهى إليه من قرارات .

وبينما كان العضو المحترم الأستاذ عبد العزيز فهمي يعرض على المجمع مقترحه المشهور في تيسير القراءة والكتابة ، إذا الحارم يطلع بمقترح آخر في التيسير ، وكانت له فيه دراسة سابقة . وقد أبقى فيه على الحروف العربية كما هي ، وعلى ما لها من اتصال وانفصال في الكتابة . إلا أنه أضاف إليها علامات متصلة بها . تقوم مقام الشكل . وهي طريقة سهلة المتناول ، قريبة المأخذ . لاتبعد كثيراً عن الكتابة الحاضرة .

فانظر كيف كان - رحمه الله - حريصاً على أن يطرق كل باب يرى فيه نفعاً للنصحى ودعماً لبنائها .

ثم تيسير الإملاء - هذا الموضوع الخطير المعروض الآن على المجمع - كيف جاهد فيه وصابر ، وكيف كان يعد له العدة بعد العدة ليقية عوائل الإخفاق التي غالته من قبل في المجمع .

ولو ذهبت أحصى بحوثه واقتراحاته ، وأعرض لها واحداً واحداً ، ولما بذله معنا من جهد في إخراج مجلة المجمع ومحاضر جلساته لأبي على الوقت .

وفي ذاكرتي الآن ، لقرب العهد ، بحثه الطريف الذي ألقاه في مؤتمر المجمع الأخير ، وعنوانه : (الحملة الفعلية أساس التعبير) وقد استظهر فيه فيما استظهر . أن ميل العرب إلى البداءة بالنعل . إنما كان لما يكتنفهم من التوجس . والمفاجآت والخاوف . فكانوا يندفعون لذلك إلى ذكر الحدث قبل من وقع منه الحدث - وكل البحث غرر ، جمع فيه بين آراء القدماء من علماء البلاغة ورأيه هو .

...

وهذا الرجل المرمق بالعمل ، المخلق ليلاً ونهاراً في شعره وقصيده . يخرج علينا في الأعوام الستة الأخيرة - وهو أحوج ما يكون إلى الراحة والجلمام - بثماني روايات ، هي من مفاخر ما كتب في القصص التاريخي بالعربية .

وقد قصد في كل رواية إلى قطعة بارزة من التاريخ العربي أو المصري فدرسها وبلغ إلى أعماقها ، وتغلغل في طبائع أشخاصها وبيئاتهم ، حتى إذا اكتملت في نفسه هذه العناصر واستقام له سننها ، عمد لها فحاكها من غير تكلف ولا معاناة ، في لفظ مترقرق ، وسرد محكم ، وتصوير بارع .

والعجب من الحارم الذي لاعهد لنا به من قبل قصاصاً ، كيف استوت له هذه الملكة في كهولته ، وكيف حذق أن ينسج من خيوط التاريخ الجافة هذا النسيج البديع :

وإني لعل ثقة أنه لو أفسح لنفسه الوقت ولم

يعجل ولم يتقيد بصفحات معدودات ، وأطلق قلمه على سميته بلحات هذه القصص أعظم شأنًا ، وأبلغ بيانًا وأدق نسجًا .

وقلت له مرة : لماذا - وقد أوتيت هذه الموهبة - لا تحاول الشعر التمثيلي كما فعل شوقي - رحمه الله - في أخريات أيامه ؟ هات لنا شيئًا من ذلك فإنه فن ناشئ عندنا ، يفتقر إلى بيان كييانك . فسكت . وبدأ عليه شيء من التفكير ولم يجب .

وللجوارم قبل عهده القصصى - بل وفي أثنائه - جولات في التأليف واسعة المدى . فقد حقق وشرح مع الأستاذ أحمد أمين « كتاب المكافأة » لأبي جعفر أحمد بن يوسف الكاتب وأخرج مع أحمد العوامري « كتاب البخلاء » للجاحظ مشروحاً مضبوطاً محققاً .

وكان منذ سنوات يعمل مع الأستاذ شفيق معزوف ، في شرح ديوان البارودي ، وقد نُجز منه جزءان : وفي سنة ١٩٤٤م ترجم كتاب « قصة العرب في أسبانيا » عن الإنجليزية لاستانلي لين بول . دفعه إلى ترجمته غيرته على مجد العرب بالأندلس فدرسه وأعجب بما فيه من بحث محقق . وقد قال في مقدمة الترجمة : وهذا كتاب « نفع الطيب » - وهو خير كتاب ألف في تاريخ الأندلس - كله اضطراب واستطراذ وتكرار . والتواء وتشنت ... ثم قال : فأحسست بدافع نفسى يلح بوجوب ترجمته إلى لغة العرب وشعرت بأن النكول عن هذه الرعة عقوق لحسبي وقومى وتاريخي ... الخ .

وقد فرغ من قصة ابن زيدون قبيل وفاته وستنشر قريباً . وسمعت أنه كان يوشك أن يشرح ديوان ابن سناء الملك . ويحققه وينشره . وقد طبع من ديوانه ثلاثة أجزاء مشروحة مضبوطة . وأعتقد أن ما بقى من شعره قد يقع في ثلاثة أجزاء أخرى أو نحوها .

وإذا أنا تحدثت عن الجارم الشاعر . فما أنا بموفيه حقه في كلمة كهذه . ولا أنا بقائل بعض ما ينبغي أن يقال في شعره . وإذا أنا قلت شيئاً . فإنما هو مما علق بنفسى وتأثرت به عاطفتى واهتزت له جوانحي .

فإنما الشعر روحانية . ونور يفيض على القلب ، ويغمر المشاعر . وما الألفاظ وحدها بمغنية . ولا التراكيب الجزلة ولا الاستعارات البليغة . ولا التشبيهات الرائعة : كل أولئك قد يكون في النظم تقروءه ، ثم لا تهتز له ولا تطرب .

وإنما يكون الشاعر بصفاء الطبع ، ونضج القريحة . واستكمال الأداة اللغوية . واستحكام الملكة البيانية . بسعة الاطلاع على آثار الفصحاء والبلغاء وتعرف مواطن الجمال في الأساليب ، ومواطنه في الألفاظ والتراكيب ، وفيما تركه في الأعماق من رنين وهزة يكون عنها الطرب للنفس . والبهجة للروح .

بهذا كان الجارم الشاعر الصانع الملهم ، وهذا عرفناه ونعما بمنه الرفيع واستمتعنا ببيانه المشرق .

وقد انعقد إجماع المثقفين في الشرق العربي على شاعريته القذة ، وتناقلوا شعره في أنديةهم وسوامرهم ، وتدارسوه في مجامعهم ومحافلهم وعنيت به المجلات وكتب الأدب الحديث . فأفردت الفصول لنقده ، والفحص عن خصائصه والاستشهاد بنواذره .

ويهرك من الجارم عمق معانيه وصفاء ديباجته في فخامة وجزالة وفحولة - تقروءه فكأنما تقرأ لمهيار وعلى بن الجهم والبحري وأضرابهم من أمراء الشعر ، في العصور المزدهرة بالعلم والأدب .

ولاغرو فقد أثر الجارم هؤلاء . وتوفر عليهم ، وأشرب في قلبه فنههم . فتأثر بأساليبهم في القول ومناحيهم في تصريف المعاني .

فجاء نتاجه على غرارهم . فمدح وتغزل ، ووصف ورثي . وأتى بالحكمة الباهرة ، وضرب الأمثال البارعة : كل ذلك على سننهم ومنهجهم . فلم نر في شعره - على كثرتة

وتعدد فنونه - نزوعاً لما يسمونه الآن بالتجديد في أي صورة من صورته ، وأي مظهر من مظاهره .

ولأنما كنا نود حقاً لو أنه قد أتبع له أن يقبس من أدب الغرب في بعض شعره ، وهو الذي حذق الإنجليزية ، وتخرج في بلادها ، ولو أنه أتمحف العربية ، بروائع من قصص القوم أو شعرهم ، إذاً لرأينا في مرآته الصافية صوراً من تفكيرهم ، وقبساً من أخيلتهم وتصورهم للحياة .

ولعله كان يضمر شيئاً من هذا ، فيما أضمر من آماله الكبار في خدمة العربية ورفع منارها .

ولاني إذ أختتم كلمتي هذه أستعير من الجارم في رثاء شوقي قوله :

أيها الراحل الكريم لقد كنت
ت سواد العيون أو إنسانه

ثم قريرا في جنة الخلد وانعم
برضا الله ، واغتم غفرانه

قصيدة السيد العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد

والأديب الذي له فطنة المص
رى زانت سليقة البدوى
والمرىب الذي تعهد حيلة
عهد علم منه وعهد رقى
ومعيد التاريخ وهو حيلور
شجراً مشمراً بكل جنى
وأخو النشأتين شرقاً وغرباً
من قديم باق ومن عصرى
كم شهدناه في شواهد نص
ورأيناه في معارض رأى
وسطا بين معلن في وقوف
عند ماض ، ومعلن في مضى
قائلاً ناقلاً سميعاً مجيباً
حسن تبيان كحسن الصفى
ياعليناً له مكان على
بين دان من جيله وقصى
إن شعرا سمعته يوم ودعـ
ست سيملى وداع حى فحى
سوف يبقى مستشهداً بمعـ
سانيه وفاء لكل حر أبى
ولك القول حيث قلت غذاء
ودواء شاف لقلب الشجى
سوف يبقى لمنشد وطروب
وفخور ، وناصر ، ونجى
سوف يبقى مجدداً لك ذكراً
حيث يروى في العالم العربى
أنت أحييته تراثاً على الد
هر ، فعش في تراثه الأبدى

فجعت مصر يوم نعى على
بالأديب الفهامة الألمى
شاعر لازم القريض إلى أن
كان يوم الفراق حرف روى
وقضى واجبين يوم قضى نح
بسا وأعظم بالواحب المقضى
واجب الشعر ، والوفاء مدى الع
مر ، فطوبى لشاعر ووفى
إن جهد الرثاء لوعة راث
في مضامين شعره مرثى

لست أوفيه وصفه ، إن وصفنا
لعلى يغنى غنساء السعى
علم في الديار ، صناجة في الحف
ل ، ركن في الجمع اللغوى
وسراج في مفرق رأى هاد
وجمال وبهجة في الندى
وزميل سمع الزمالة بر
وأخ بالإخاء جد حنى
ذلك الشاعر الذى ثكلته
مصر في يوم ماتم وطنى
لم تزل تسمع المراثى حتى
سمعت في الرثاء صوت نعى
تتنزى على زعيم أمين
وأديب جزل البيان سرى

لست أوفيه حقه ، إنه حق بيا
ن عن البيان غنى
وارث الأصمعى في لغة الضا
د ، وفي الشعر وارث البحترى

تأبين المرحوم الدكتور محمد شرف

وكثير من أعضاء الجمع ، وطائفة من الأطباء والعلماء ورجال التعليم والصحفيين .

وفي تمام الساعة الخامسة صعد إلى المنصة السيد العضو المحترم الدكتور علي توفيق شوشة فألقى كلمة التأبين ، واستغرق إلقاؤها نحو نصف ساعة . ولما انتهى من إلقائها انصرف المجتمعون ذاكرين للفقيه جليل أثره في خدمة العلم واللغة ، داعين الله أن ينزله منازل الرضوان في دار البقاء .

وتيلو هذا كلمة التأبين :

لم تكد تنقضى أيام معدودات على ذكرى الأربعين لوفاة فقيه الجمع المرحوم الأستاذ علي الجارم حتى فجع الجمع بفقد عضو آخر من أعضائه العاملين ، وعالم من خيرة العلماء المجتهدين : الطبيب اللغوي الكبير الدكتور محمد شرف .

وقد أقام الجمع حفلا لتأبينه في الساعة الخامسة من مساء يوم الأحد ١٥ من مايو سنة ١٩٤٩ م . وقبل الموعد أقبل على قاعة الاجتماع السيد أحمد لطفي السيد رئيس الجمع

كلمة السيد العضو المحترم الدكتور علي توفيق شوشة

نتمنى وفي المني قصر العم
سر فتغلوا بما نسر نساء
محبة المرء للسقام طريق
وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذى نموت ونحيا
أقتل الداء للنفوس الدواء

ولقد كان زميلنا الدكتور شرف عميا جسيما جم النشاط ، فلهفته وعكة ظنناها تمر بسلام ، فإذا بها تتطور إلى موت زؤام . رحمه الله .

ولد الفقيه في ٢٢ يولييه سنة ١٨٩٠م في شبرا بتوش من أعمال مركز تلا من أسرة من

أسرع الموت في أعضاء لجنة المصطلحات الطبية ، فتخطف أربعة من أعضائها : ثلاثة من الأطباء الناهين وشاعرا من علية أهل الأدب ، هم علي ترتيب وفاتهم المغفور لهم الدكتور عبد الواحد الوكيل والدكتور علي إبراهيم والأستاذ علي الجارم والدكتور محمد شرف .

فتذكرت بموتهم أبياتا لزميل قديم ، هو ابن الشبلي البغدادي المتطبيب الفيلسوف في رثاء أخيه . منها قوله :

إنما نحن بين ظفر وناب
من خطوب أسودهن ضراء

أسر المنوفية العريقة ، وقد سلك به والده الطريق الذى كان يسلكه أعيان القرى فى ذلك الحين فى تعليم أبنائهم ، فأسلمه إلى معلم كتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم وليتعلم مبادئ القراءة والكتابة .

ولقد كانت أسرة شرف مجاورة لأسرتين كبيرتين ذواتى ثراء عظيم وجاه عريض ودالة على الحكام . ولما لاحظ ذلك أحد كبار الموظفين وعرف أن محمد شرف الطالب بالمدرسة الأولية تبدو عليه مخايل الذكاء والفطنة . أشار على والده أن يتحه بتعليم هذا الناشئ اتجاهاً مديناً فيدخله المدارس الابتدائية ثم الثانوية ثم العليا حتى يكون فى المستقبل ردهاً لأسرته تعزز وتفاخر به .

وسرعان ما أنفد والده هذه الفكرة فحصل الفقيه على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٣ م والثانوية سنة ١٩٠٨ م .

وفى سنة ١٩٠٨ م التحق بكلية الطب وقضى بها ثلاث سنوات كان فيها مثال الجلد والرحولة الكاملة والمحافظة على الكرامة ، ونال بين زملائه منزلة رفيعة حتى استطاع أن يدعو زملاءه سنة ١٩٠٩ م للاكتتاب فى مساعدة صحيفة العلم التى حلت محل اللواء بعد وفاة المغفور له مصطفى باشا كامل . وقد أحفظ عمله هذا عميد كلية الطب فطوى أحياءه على كراهة هذا الشاب الوطنى الغيور . ولما كان شرف أول زملائه فى مادة علم التشريح فقد أحبه أستاذ هذه المادة الدكتور مهجت

وهبى وصار يتعهده ويوجهه . ولما كان الدكتور مهجت قد أدرك أن عميد الكلية يبيت الشر لهذا الشاب لسبب موقفه الوطنى المشرف فقد أشار على والده أن يتنى شر من لا قبل لأحد بدفع شره فيخرج ابنه من كلية الطب المصرية ويوفده إلى إنجلترا ليلتم دروس الطب فى الكلية التى كان قد تعلم فيها هذا الأستاذ ، فوافق والده على ذلك وهناك ظهر نبوغ الشاب وتفوقه وانكبابه على الدرس والتحصيل وتوفره على ذلك توفراً تاماً مما جعل مستشفى سانت جورج بلندن — الذى كان يتمرن فيه أثناء دراسته — يوفده مثلاً له فى جمعية الصليب الأحمر فى حرب البلقان سنة ١٩١٢ م وقد حصل من هذه الكلية على شهادة سنة ١٩١٤ م ، ولما عاد إلى مصر عرضت عليه حكومة تركيا وظيفة من الوظائف الكرى . ولكنه آثر أن يخدم بلاده والتحق فى سنة ١٩١٥ م بالمستشفى العباسى .

لقد ررق الفقيه الكريم حمية للعمل وغيره على اللغة وفيصا من الصبر على التحصيل والتنقيب والتحقيق وتوقانا إلى التجويد والإتقان . إلى حافظة رحبة وإدراك سليم .

أجل : لقد كان فقيدنا سخيماً بوقته وماله وراحته وصحته فى سبيل مطمحه الأسمى وهدفه البعيد . وتعلمون أن مطمحه وهدفه كانا تعريب المصطلحات الطبية والعلمية .

أيها السادة :

هناك وجوه شه كثيرة بين فقيدنا وبين نقلة العلوم عن الإغريقية إلى العربية فى العصر العباسى

ونقلة العلوم الحديثة إلى لغة الضاد في عصر محمد علي . ولطالما تخيلته واحداً من هؤلاء أو هؤلاء ، مع فارق أوجه نظام التعليم في الجيل الذي أنجبته . ذلك أن النقلة في العصرين درسوا اللغة العربية وعلومها وتمهروا فيها قبل دراسة اللغة التي نقلوا عنها وقبل دراسة الطب وتحصيل علومه . أما الدكتور شرف فدرس الإنجليزية وحصل بها علوم الطب ثم تجرد للتبحر في العربية والإغريقية واللاتينية . وقد اكتفى بتعريب المصطلحات على حين أن القدامى من النقلة ترجموا عيون الكتب الطبية . وما كان سعه غير الذي فعل ، فالعلوم الطبية التي استوعبتها كتب الأغارقة أقل من العلوم الطبية الحديثة لعهد محمد علي في أوائل القرن التاسع عشر ، وما مضت سنوات من القرن العشرين حتى بلغت المصطلحات الطبية والعلمية الآلاف عدداً ، أما العلوم الحديثة من طب وغيره مما يتصل به فتعددت واتسعت آفاقها وتضاعفت مصطلحاتها حتى بلغت الملايين ، وإنها لتزيد على كثر الأيام ، ولن يستطيع رجل فرد تحصيل علوم الطب والتمهر فيها فضلاً عن ترجمتها إلا أن يعمر مئات السنين ، وهو لو مد في عمره إلى هذا المقدار حرقاً أن يفوته منها الكثير ، ذلك أن الكشف العلمية تتلاحق متلاحقة كالمطر الدافق ، والحقائق الجديدة لا ينقطع فيضها كل يوم بل كل آن .

لكن ما الذي حفز الفقيد إلى نقل المصطلحات الطبية ؟

حفزه إلى ذلك عوامل عدة :

انحدر الدكتور شرف من أسرة وردت مناهل العلوم الأزهرية ، تخرج منها في هذه الجامعة العريقة عدة من العلماء ، فهو من هذا الوجه قد ورث التوقان إلى حلق العريضة والتعصب لها ، ولم يغيب عنه بعد أن تخرج من جامعة لندن أن الطب كان في العصور الوسطى عربياً ، نقله إلى اللاتينية أشتات من طلبة تلقوا علومهم الطبية في جامعة قرطبة وأشبيلية والقاهرة وبغداد ، فاللغة العربية إذن وعاء صالح لكافة العلوم .

ينضاف إلى ما أسلفنا أن الفقيد ألحق بعد عودته من الخارج بمستشفى عباس (الآن مستشفى الملك) وجعل جراحاً مساعداً لشيخ الجراحة في وقته المرحوم الحاج علي ليب وزميلاً للدكتور أحمد عيسى ، وكلا الرجلين تعلم الطب بالعربية في مدرسة قصر العيني ، وثنائهما ترجم إلى العربية في سنة ١٩١٠م عن الفرنسية مرجعاً كبيراً عن أمراض النساء والولادة لأستاذ ثقة ثبت ، ووضع قاموساً لمصطلحات النبات وألف ذبلاً لكتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ترجم فيه للأطباء العرب حتى وقتنا هذا وله بحث جليل عن البهارستان المنصوري أو بهارستان قلاوون . فالمرحوم قد عاش حياته العلمية في بيئة صالحة لهوبته صالحة لنزعته .

هذا فوق أن الصيحة لإحياء العلوم العربية كانت قد أثمرت ، فاستطاع سعد زغلول ناظر المعارف وقتذاك أن يرغم المسؤولين في الوزارة على تدريس بعض العلوم بالعربية بدلاً من الإنكليزية . وكان أن فتحت الجامعة

على كمورها وساعده في تصحيح النماذج
قاموسه حين طبعه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن قاموس شرف
لم يكتب له الرواج أول ظهوره فلم يتمكن
من سد البقية من تكاليفه وما اقترضه للنفقة
عليه فحجر على عيادته وعلى داره .

أثار قاموس شرف ضجة - حبه قوم
وقالوا . جهدمشكور ، وقال أناس : نواة صالحة ،
وعابه البعض أو قل عابوا حانباً مما ورد فيه .
والحق أن عملاً كهذا كان حرياً بالتشجيع
وهو ما فعلته لجنة توحيد المصطلحات في أحد
مؤتمرات الجمعية الطبية المصرية بوحى من
الدكتور المعفور له على إبراهيم الذي أشار
باتخاذ هذا القاموس مرجعاً في سائر البلاد
العربية إلى أن يأذن الله بتوحيد المصطلحات
الطبية - أو بعبارة أخرى : إلى أن يراجع
ويتفق الرأي في بلاد العروبة على المصطلحات
المهائية .

وأصاب في قرارها اللجنة التي شكلتها
وزارة المعارف وكان من أعضائها زميلنا
العوامري للحكم على القاموس فقد قالت إنه
جدير بأن يضعه مجمع . وقد كان - كان
أن ألت لحة المصطلحات الطبية بمجمع
فؤاد للغة العربية ونيطت بها هذه المهمة

أيها السادة :

إن العلم لا يتحيز ولا يعسط ولا يحاي ،
والخطي في العلم كالمخطي في الاجتهاد له ثوابه

المصرية الأهلية أبوابها للطلاب واستعانت
ببعض المستشرقين الذين ألقوا محاضرات
نفيسة عن نهضة العلم عند العرب ، وكذلك
نشرت المجلة الطبية المصرية في سنة ١٩١٧م
باللغة العربية وجعلت لسان حال الجمعية الطبية
المصرية . هذه العوامل مجتمعة هي التي
حفزت الفقيه إلى مكابدة وضع المصطلحات
باللغة العربية .

وفي الحق كانت مغامرة جريئة لا يرحى
من ورأها غير إثراء اللغة العربية وخدمة
النهضة التي هدفت إلى نقل العلوم إلى لغة
الضاد .

ولأنه لمجهود ضخم وعمل جبار أن يتمرد
شخص بتعريب المصطلحات الطبية ، والطبية
دنا تنسحب على علوم عدة ، ذلك أنه اضطر
إلى النظر في أهم ما نقله العرب وألفوه في
العصر العباسي وما بعده إلى أن خبسا سراج
العلم في القاهرة وقرطبة في القرن السادس عشر ،
ومراجعة ما نقله جهابذة عصر محمد على
وما ألفه أطباء عصر إسماعيل ، كما اقتضاه
الأمر البحث والتنقيب في المراجع اللغوية
العربية والإنكليزية والإغريقية واللاتينية .

عشر سنوات عكف فيها الفقيه دائماً كادحاً
في إعداد قاموسه المعروف . والغريب أنه لم
ينقطع عن ممارسة الجراحة في المستشفى وفي
عيادته الخاصة ، وأغرب من ذلك أنه استقل
بالعمل وحده لم يشرك معه غير بعض أساتذة
اللغة العربية أعانوه على فهم أسرارها ودلوه

ويا رب خطأ في البحث جر إلى صواب ،
وكم من غلطة أثمرت خيراً كثيراً .

اعتزل الدكتور شرف مهنة الطب وألقى
مشروط الجراح بعد ربع قرن تقريباً إلى أن
اختير عضواً في مجمعنا الموقر ضمن عشرة
اختارهم وزير المعارف بناء على طلب أستاذنا
الرئيس أحمد لطفى السيد . وسيدكر المجمع للفقيه
بمخين قيمين عن مادة «أبد» وعن «الحلق
والحلقوم» وسيدكره زملاؤه أعضاء بلخان
المجمع بما عرفوه فيه من همة وغيرة وحاسة
لا تبارى .

إن شخصية الدكتور شرف ترد مزاياها
ومميزاتها عند التحليل إلى خصلة أو غريزة
واحدة هي حب الاستطلاع . كانت هويته في
صباه إلى جانب التحصيل : هي الصيد . ونحن
لا نصيد شهوة للقتل ولكن للمعرفة ، فلما
صار طبيباً اختار الجراحة ، وهي نوع من
الصيد يتخذ فيه الجراح مبضعه لاستطلاع
الآفات واستئصال العلل . وكما تعلمون أن
الجسم المريض كالأجحة : كلاهما عامض
وكلاهما مجهول ، وقد أتاحت له رحلاته في
صحبة السيدين : يوسف كمال والمغفور له
كمال الدين حسين فرصاً أعانته على دراسة
أشتات من النبات والحيوان . شاهدها في
مواطنها وعرف الكثير عنها ودون أسماءها في
بلادها ليقارنها بالأسماء العلمية وما يقابلها

بالعربية ، فقد رافق السيد يوسف كمال
في رحلته إلى الهند وبلاد التبت وهي
أصقاع اشتهرت بفرائب النبات والحيوان ،
ولأهلها باع في الطب ومعرفة بما يستعمل
في المداواة والعلاج ، ولا يخلو الأقرباذين
العربي من أسماء نباتات الهند وطرق تحضيرها
للتطبيب .

ثم جاس معه أواسط إفريقية وهي بلاد
أجام وأدغال وغابات تؤوى صنوفاً من الحيوان
دقيقها وكبيرها .

كذلك أفادته رحلاته في ركاب المغفور له
كمال الدين حسين إلى الصحراء الكبرى
ثم إلى شرق إفريقية وجنوبها . أقول أفادته
رحلاته أيما فائدة وبصرتها بما يتعلم دركه
من المراجع .

ولا أراكم إلا موافقاً على أن التنقيب في
قانون ابن سينا والحاوي للعزيزي ومفردات
ابن البيطار ، وأقرباذين الرشيدى ، وأشباهاها
من التواليف إنما هو ضرب من الصيد ،
صيد الأوابد والشوارد . ولا جدال في أن
البحث في مجاهل المراجع اللغوية صيد مخفوف
بالمخاطر لا يؤمن معه العثار .

ذلكم هو فقيدنا وزميلنا ، رجل كدح
للعربية فأثراها وخدم النهضة فأغناها ، فجزاه
الله خير ما يُجزى العاملون .

تأبين المرحوم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

روّع المجمع في أثناء عطلته الصيفية بفقد الأديب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني عضو المجمع . اختطفه الموت المفاجئ وهو في القمة من نشاطه الأدبي ، ففقدت العربية بفقده منهلاً عذباً ومورداً ثراً لم يكن يزداد على الأيام إلا صفاء وحلاوة وغنى . وكان لفقده من صادق الأسف ولاعج الحسرة ما كان . وقد دعا المجمع إلى

حمل يقام لتأبينه بدار الجمعية الجغرافية الملكية في الساعة السادسة عن مساء يوم الاثنين ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٣٦٨ هـ . (الموافق ١٩ من سبتمبر سنة ١٩٤٩ م) . وفي الموعد المضروب توافد إلى قاعة الاحتفال كثير من أعضاء المجمع ورجال العروبة وأولى الفضل والأدب ، وألقى كلمة التأبين السيد العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد . وفيما يلي نصها .

كلمة السيد العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد

رحم الله أنخانا المازني وعوض الأدب والبلاغة خيراً فيه . لقد كان منذوراً للأدب بكل ما نفهمه اليوم من معنى هذه الكلمة . وقد كان الأقدمون إذا قيل لهم عن أحد من الناس إنه منذور لهذا المعبد أو لهذا الحرم فهموا من ذلك أنه قائم في خدمة معبده طول حياته وأنه لا يملك أن ينحرف عن خدمته باختياره . لأن أرواح المعبد وجنوده ترده إليه إذا انصرف وجهته عنه . فلا تبقى من نفسه بقية لغير الوفاء بلذره .

فلم يلبث غير قليل حتى تين له أنه للأدب وحده وأن الأدب يلاحقه أينما ذهب فلا يتركه حتى يعيده إلى جواره .

تخرج من المدرسة الثانوية فتطلع إلى صناعة الطب وهي صناعة لها نصيب واف من أسرته وبني عمومته . فما هو إلا أن شهد درساً واحداً في التشريح حتى أقصاه الطب عنه ، أو جذبه الأدب إليه . تولاه عثيان شديد في حجرة التشريح ، فترك المدرسة ونصح له أساتذتها بارتياحها ، فولى وجهه نحو مدرسة الحقوق . وكانت يومئذ أحهر المدارس العليا صوتاً وأكبرها شأناً . وفيها لصاحب القلم متسع . وبين طلابها كثير ممن يكتبون وغير قليل ممن ينظمون أو يطربون للمظوم .

ولكن أرواح المعبد وحنوده تجتذب أديبنا

وهكذا كانت صلة المازني بالأدب صلة نلر وقسمة . علم منذ صباه الباكر أنه يهوى الكتابة وصناعة القلم . ولكنه علم كذلك أنها صناعة لا تجدي على صاحبها شيئاً في معيشته . فخيّل إليه أن يعطى مطالب المعيشة حقها .

إليها وهو على أبواب المدرسة . فقد زبدت مصروفاتها في تلك السنة من خمسة عشر جنيتها إلى ثلاثين جنيتها لكثرة الإقبال عليها ، ورغبة ولاية الأمر في الاختيار . ولم يكن أديبنا في يسر من رزقه . فعدل عن مدرسة الحقوق إلى مدرسة المعلمين .

كانوا في مدرسة المعلمين العليا - لذلك العهد - لا يخصصون الدراسات كما يخصصونها اليوم ، وكان أكرمهم القائمين عليها أن يدبروا للمدارس الابتدائية والمدارس الثانوية أكبر عدد مستطاع من المعلمين الأكفاء لتدريس المواد باللغة العربية . فكان الطالب في تلك المدرسة يستعد لتدريس الرياضة والجغرافية أو التاريخ في الوقت الواحد . فأوحت سليقة الأدب إلى هذا الطالب الجديد على المدرسة أن يهدي أساتذتها إلى التفرقة بين ملكات العلوم وملكات الآداب ، فقد أضرب عن تعلم الرياضة ... بل أضرب - كما قال لي - عن فهمها ومذاكرتها . وذهب مع زملائه مرة في زيارة من زيارات التدريب التي تمتحن فيها خبرة المعلم الناشئ وبضاعته فكان زملاؤه يختارون درسا في الحساب أو درسا في الجبر أو درسا في تقويم البلدان . وأبي هو إلا أن يختار لدرسه أبياتا من الشعر العربي يشرحها على طريقته ويتكلم عن ناظمها ويبين في سياق شرحها مزايا الشعر العربي بالقياس إلى أشعار الأمم الأخرى .

ويشاء القدر أن يكون على نظارة المدرسة يومئذ رجل من أفاضل العلماء المطلعين على الآداب الأوربية . هو الدكتور "دلبني" فتعهد طلابه بالمطالعات النافعة وهداهم إلى الكتب

القيمة ، ووالاهم بالسؤال والمراجعة . فتخرج على يديه نخبة من أدباء الجيل وفضلائه وفي طلبعتهم عبد الرحمن شكرى والمازني ومحمد جلال رحمه الله .

على أن هداية الطبع قد أفادت أديبنا كما أفادته هداية التعليم . فاستعان بإرشاد أستاذه على اختيار أحسن الكتب الأدبية في اللغة الإنجليزية ، ولكنه اهتدى بسليقته إلى أحسن الكتب العربية التي تشحذ القريحة وتصحح اللغة وتصلق اللوق وتشحذ الملكة . فلم يكن له معين في اختيارها غير تبادل الرأي بينه وبين زملائه ، فهم جميعاً بين هاد ومهتد وسابق هنا ولاحق هناك .

ولم أعرف من أحاديثي معه رحمه الله ما يدل على تعثر في الاختيار أو استقامة في الطريق بعد انحراف سوى ما كان منه باختياره حبا للاطلاع وتوسعا في الإحاطة بصنوف الشعر والنثر في مختلف العهود والأدوار

كان من مطالعاته الأوربية في هذه الفترة دواوين "بيرون" و "شلي" وشعراء البحيرة عدا "شكسبير" الغنى عن الذكر في هذا المقام وكان يقرأ مع الشعر نقد الشعر وتاريخ الأدب في كتب النقاد الممتازين والمؤرخين الماثورين ، وأحبهم إليه "هازليت" و "أرنولد" و "ماكولي" و "سنتسري" وطائفة من كتاب المقالة الأدبية والعجالة النقدية الاجتماعية أمثال "لي هنت" و "شارلز لام" و "سويفت" و "أديسون" وإخوان هذا الطراز ، وأحب الروائيين إليه نخبة من فحول فن الرواية "كوالتر سكوت" و "ديكنز" و "ثاكري" و "كنجزلي" .

أما مطالعته العربية فقد كان أثرها لديه في الشعر دواوين الشريف الرضي وابن الرومي والمتنبي، وكان أثرها لديه في البلاغة المشورة كتب الجاحظ والجرجاني والأصمعي مع مراجعة متكررة لأهميات الأدب الكبرى كالأمالي والكامل والبيان والتبيين والعقد الفريد والأغاني ونهج البلاغة وما جرى مجراها في موضوعها وإن لم يبلغ مبلغها في حجمها وطبقتها.

ولقيته رحمه الله في هذه الفترة ولقيت الأستاذ عبد الرحمن شكري بعد ذلك بشهور قليلة على أثر عودته من البلاد الإنجليزية. فن عجيب التوفيق أن يكون شكري في الاسكندرية وأن يكون المازني في القاهرة وأن أكون أنا في أسوان. ثم نلتقي على قنر وعلى اتفاق فيما قرأناه وفيما نحب أن نقرأه، مع اختلاف في حواشي الموضوعات من غير اختلاف على جوهرها، وكل ما هنالك زيادة عند بعضنا في إثارة القصة أو زيادة في إثارة الشعر أو زيادة في إثارة الفكريات والتأملات. وقد بتغير الدور والترتيب أحيانا في هذه الزيادات

وكان المازني أكثرنا ولعا بالقصة والمقالة الوصفية وكنا نلتقي في ناحية واحدة من نواحي القصة على الخصوص وهي القصة الروسية وأحسب أن القصة الروسية من أقوى المؤثرات في نزعتي التي جنح إليها بقوته كلها بعد ذلك فيما نسميه بفلسفة الحياة.

لقيته وقد مضت سنتان على تخرجه من مدرسة المعلمين العليا (سنة ١٩٠٩ م) وكان متقدما في ترتيبه، فعينه وزارة المعارف للتدريس في مدارسها الثانوية، واختار هو مادتي الترجمة

والتاريخ بعد حوار طويل مع رؤسائه، فنهض بلغة البرامج المدرسية في مادة التاريخ وجعل أسلوب هذه المادة من أساليب الكتابة الأدبية، وعنى بانتقاء قطع الترجمة من المأثورات التي تحفظ في اللغتين العربية والانجليزية. واتفق في ذلك الحين أن الأساتذة الإنجليز في المدارس الثانوية فرضت عليهم معرفة اللغة العربية وإتقان قراءتها على القواعد النحوية. فاعتمد عليه زملاؤه من أولئك الأساتذة في ترجمة فصول من كتاب قليلة ودمنة، لأنه كان أهم الكتب المقررة عليهم للمطالعة، فترجم لم فصولا كثيرة من النص العربي غير معتمد على الترجمة الإنجليزية. ورأيت مرات وهو «يحضر» لم درسهم على عادته قبيل الموعد بسويغات. فوددت لو أتم ترجمة الكتاب كله فلإنها ولأريب كانت تقرر بأحسن الترجمات لهذا الكتاب في اللغات الأوربية.

وقد كان مع اشتغاله بالتدريس يشغل بالأدب ويتوسع في الاطلاع وينظم الشعر معارضة لقصائد الشعراء المبرزين من أمثال ابن الرومي والشريف. ويكتب في نقد شعراء العصر تطبيقاً للآراء التي استفادها من مطالعته الكثيرة. فأزعجت حملاته في النقد أنصار القديم. وكان من جرائها أنه أحس الحرج في وظيفته الحكومية، لأنه أغضب رؤسائه الذين كانوا يحسبون أولئك الشعراء برعايتهم ومودتهم فاستقال من عمله بالمدارس الأميرية، وعمل زمناً بالمدارس الأهلية، إلى ما قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى. ثم انتقل إلى العمل في الصحافة ولم ينقطع عنه بقية حياته.

لقد كان خروجه من الوظيفة الحكومية لذلك السبب مصادفة في ظاهر الأمر . ولكنه في الحقيقة كان أمراً مقضياً لهذا السبب أو لغيره . فقد كنت أعهدده شديد السخط على الوظائف وتكاليفها . وما كان بقاؤه فيها إلا مطاولة ومحاولة . فإن لم يفارقها من جراء الحرج الذي قاده إليه نقده لشعراء عصره لقد كان فراقه إياها حتماً لازماً بعد ذلك بزمان غير طويل .

هذه الفترة - فترة الحرب العالمية على التقريب - كانت في حياة المازني «نقطة تحول» ومحنة عقل وسريرة . وإخال أنها شملتنا جميعاً بهذه المحنة الأليمة، فنفضها شكرى عنه بقصائده العابسة في ديوانيه الثالث والرابع . ونمضتها عنى بقصيدتي التي نظمها على نمط الملاحم وسميتها بترجمة شيطان . وراضها المازني كما راضته . فاستراح إليها غاية ما استطاع من راحة . وعالجها يومئذ - ولم يزل يعالجها بعد ذلك - بنزعة الاستخفاف وقلة الاكتراث .

ونزعة الاستخفاف هذه - وكل نزعة من قبيلها تملك صاحبها وتلازمه على الدوام - لن تنشأ فجأة ولن ترجع إلى علة واحدة . بل لابد لها من علل شتى يكمن بعضها في الطبع ويأتى بعضها من عراك الحوادث ووحى المطالعة والتفكير .

وكذلك نشأت تلك النزعة أو تمكنت من صديقنا رحمه الله . فإنه قد درج منذ طفولته على حب للدعابة يسرى عن النفس ولا يضير أحداً ممن يمسه بتلك الدعابة . وقد فوجئت يوماً ببادرة من بواجرها ونحن نركب الترام

لأول مرة إلى ظاهر المدينة فقد وقف الترام في إحدى محطاته، فإذا بصديقنا يلتفت إلى رجل واقف في تلك المحطة : رجل يغرى منظره بالمشاكسة والحق يقال . . . فحياه وألح في تحيته وما زال يعيد التحية والترام يتحرك ويبتعد ، والرجل يشفق - كلما ابتعد الترام على ما يظهر - أن تكون به نسيية وأن يتعرض من أجلها لمعتبة . فاستخار الله أخيراً وتغلب على شكه ورد التحية . فما فعلها حتى أوماً إليه صديقنا بلسانه إيماءة ساخرة ولكنها غير جارحة . وجعل يقول : والله إنه لرجل ظريف والله إنه (لجنتلمان) .

هذا هو جانب الطبع فيما استقر في نفس المازني من نزعة الدعابة والاستخفاف حين قارب الثلاثين .

أما جانب التجربة فمنه النفساني الذي خامره من إرساله الشعر خاصة بغير صدى يتلقاه ممن يعينهم بشعره .

ومنه آلام الصدمات المتعاقبات ، ولا جرم تثقل هذه الصدمات على من يعانها من كوارث الحرب العظمى ومن مزاولة الشدائد والمضنيات في بيئة الأدب . وبيئة التعليم . وبيئة الصحافة ومجتمعات ، فيخفف ثقلها بما استكن في طبيعته من نوازع الاستخفاف .

أما الجانب الذي أوحى به المطالعة فأحسبه راجعاً على الأرجح إلى كتابين من القصص الروسي : أحدهما قصة «سانين» لمؤلفها (أرتزيباشف) والآخر قصة «الآباء والأبناء»

(لتورجنيف) . وكلتاها تخلق الاستخفاف على الأقل حين قراءتها لمن لا عهد له بالاستخفاف . ولست أنسى هزة وجدانه بأفاعيل «سائين» بطل القصة الأولى . مع إنكاره منه لتلك الحيوانية المخبوج التي مثله بها مؤلف القصة . وقد بلغ من رضاه عنها أنه ترجمها باسم (ابن الطبيعة) وأنه كان يردد بعض «لوازم» سائين في كلامه بعد قراءتها بسنوات .

...

إلا أننا نحب أن نصف هنا هذا الاستخفاف بأصدق صفاته . لأن المستخف قد يبدى قلة الاكتراث لسبيين نقيضين : قد يبدى لقلّة إحساسه . وقد يبدى لفرط إحساسه .

وقد كان فرط الإحساس هو ينبوع الذي يصدر عنه استخفاف المازني الذي يبدو على ظاهر كلامه . ولو شئت لاكتفيت بما أعرف من طويته . فلأنني لم أعرف فيمن عرفت غير قليلين جداً يحسون كل إحساسه بالألم والفكاهة على السواء .

ولكنني لا أكتفي بما أعرف وفي كل صفحة من صفحاته شاهد يرجع إليه من رآه ومن لم يره قط في غير كتبه .

انظروا مثلاً إلى كلمة الإهداء التي قدم بها كتابه (في الطريق) إلى بنته التي فقدتها طفلة إذ يقول :

« في بعض الأحيان أكون جالساً إلى مكتبي قبل طلوع الشمس . وأمامي الآلة السكّاتية أدق عليها وأرمي بورقة إثر ورقة . وإلى

جانبي فنجان القهوة أرشف منه وأفهل منه . فأحس راحتك الصغيرتين على كفتي ، فأدير وجهي إليك . وأرفع وجهي لأصبح على بستان وجهك . وأستمد من عينيك النجلاوين واقترار ثغرك النضيد ما أفترق إليه من الجلد والشجاعة . وأدفع يدي فأطوقك بلراعي وأملك في حجري وأضمك على صدري . وألثم خدك الصابج وأمسح على شعرك الأثيث المرسل على ظهرك وجانب عيالك الوضيء وأتمنى بحسبك وأنشر في كهف صدري المظلم نور البشر والطلاقة ، فتدفعين ذراعيك وتتناولين بينناك الدقيقة ورقة مما كتبت وترفعينها أمام عينيك وتزوين ما بينهما وتتخذين هيئة الجدد الصارم وتفيضين على نفسك السمحة العطوف - وأنت مضطجعة على ذراعي - سمتاً وأبهة يغريان بالابتسام . وأنا أنظر إليك وفي قلبي سكبنة ، وجوى من قربك معطر بمثل أنفاس الروضة الأتف في البكرة الندية . وألح شفئك الرقيقتين تحتلجان وعينيك تلمعان فتطيب نفسي بسرورك الصامت . ثم أسمع ضحكك الفضية وأراك تغطين وجهك الحلو بالورقة فيستطيرني الفرح ويستخفي الجدل ، ولكنني أنظأر بالخوف على الورقة التي لا قيمة لها أن يمزقها أنفك الجميل . فترمين رأسك على ذراعي وينسدل شعرك الذهبي المتزوج كالستار ، وتصافح سمعي من ضحكائك العذبة موجات لينة . ثم تعتدلين على ساقى وتدفعين ذراعيك فتطوقين بها عنتي . وتجذبين وجهي إليك ولكنك تشفقين على رقة شفئك من خشونة خدي فتلشين أذني

الطويلة ... وتعصينا أيضاً . فأصرخ . فتبين
إلى قدميك خفيفة مرحة وتخرجين بعد أن
خلفت في صدري انشراحاً ، وفي قلبي رضى ،
وفي روحي خفة ، وفي نفسي شفوقاً ، وفي
عقلي قوة ، وفي أمني بسطة واتساعاً ، وفي
خيالي نشاطاً . فأضطجع مرتاحاً وأغمض عيني
القريرة بجبك ثم أفتحها على :

صيد حرمانه على إغراقنا
في النزاع والحرمان في الإغراق

إي والله . لولا الإغراق ما كان الحرمان .
وهل هو إلا الشعور به من الإسراف في الرغبة
واللهاجة في الطلب ؟

بل أفتح العين على جثة صغيرة حملتها يدي
هاتين إلى قبرها وأنزلتها فيه . ووسدتها التراب
بعد أن سويته لها بكفي ورفعت من بينه الحصى
الدقاق . ثم انكفأت إلى بيتي جامد العين .
وعلى شفقي ابتسامة متكلفة : وفي فمي يدور
قول ابن الرومي :

لم يخلق الدمع لأمري عبثاً
الله أدرى بلوعة الحزن

وتدخل على زوجتي لتحيني تحية الصباح
فألقاها بالبشر والبشاشة . وأهم بأن أحدثها بما
كبر في وهي قبل لحظة . ولكنني أزجر نفسي
وأردّها عن التعزّي باللغظ . ولو أنني شرعت
أحدثها بشيء من ذلك لما فرغت . فما أخلو
بنفسي قط إلا رأيتني أستطيب أن أتخيل فتاتي
على كل صورة وكل هيئة وفي كل حالة . . .
ويحلولي أن أفشي بيني وبينها أحاديث في كل
موضوع من جد وهزل . ويسرني أن أسمع

نكتها وأراني أستملح فكاهتها وأنتحلها فيما
أكتب وأضحك أحياناً بصوت عال . بل أقهقه
غير محتشم ، فإذا تعجب لي داخل متطفل على
في هذه الخلوة المحببة إلى نفسي رفعت له وجهها
كالدرهم المسحوق وهربت بالتبالي من الجواب
الذي يطلبه بعينه أو لسانه وتركته يظن بعقلي
ما يشاء وماذا أقول له ؟ في وسعي أن أكذب
فما لباب الكذب مفتاح . ولكن الكذب ينغص
على المتعة التي استفدتها من الحوار الذي كان
يلور بيني وبين حياة ... »

هذه الكلمة مثل من أمثلة الشجو الذي
يسلس له وصفه ببساطة سهلة ترتفع إلى الذروة
من البلاغة ، لأنها بساطة الأستاذية التي نطالعها
في آثار الأقدمين ، وهي على بساطتها أصدق
صورة للعاطفة التي تملئها ، وكل تعقيب عليها
ينغص منها .

وفي صفحة أخرى من صفحات هذه
النفس الغنية بالخواطر والحدّاع تعبر بالفكاهة
المرحة كما عبرت بهذا الشجو الأليم ، ومن
أمثلتها حديثه مع من أزعجه بالطلب خطأ في
التلفون . ومنه يقول . « لم يكن أكفل
بإزعاجي وإثارة غضبي وسخطي وإفساد
صحتي من أن اضطر إلى القيام من النوم مثلاً
على دق التلفون فإذا المطلوب غيّر وإذا
بالرقم المراد غير رقي . ولكن هذا الخطأ هو
الذي أستمد منه الآن التسمية والترفيه . . .
كنت مرة في الحمام ولم يكن في البيت أحد
سواي وكان الوقت شتاء . . . وإني لأنعم
بحرارة الماء وإذا بالتلفون يدق ويدق ويصرخ .
وأيقنت وأنا أسمعه أن هناك خطأ وأن الدق

يوشك من فرط حسها وشعورها وتخيّلها أن
تخاف مما يسر خوفها مما يسوء كما قال من
آيات :

ويروغني بأسي ويفزعني
أمل وأفرق من لقاء غد
ولرب جوهرة ظفرت بها
فنفضت منها كف مرتعد
ورجعت أنظر هل بها أثر
منها يظل يهيف في جلدي

ولقد كانت ملكات المازني أول ما تناوله
باستخفافه وكان الشعر أول ما تناوله من تلك
الملكات . ولكن استخفافه بشعره من قبيل
استخفافه بكل شيء . فرط إحساس لا قلة
إحساس . ومن كان الشعر عرضاً في حياته
لا يحس بلاعجه مسلطاً على سريره كما كان
يحسه رحمه الله .

بعثت إليه من أسوان بقصيدة ضمنتها
تحية من ابن شقيقتي الصغير إلى ابنه محمد :
فأجابني بقصيدة من وزنها وقافيتها يقول فيها :

لا مال أخشى منه إتلافه
عباس . في المقبل من عمره

...

ولست أخشى أن أراه فتي
قد وسع العالم من شره
لكنني أشفق بأصاحبي
من أن يجيش الشعر في صدره
من يشتري شعري على حبه
براحة الغافل عن دهره

لغيري فقد ألفت ألا يقع الغلط إلا في مثل
هذه الأحوال المهرجة ، وتصورت وثني من
الماء الدافئ وإسراعي إلى الالتفاف بشيء
وإسراعي إلى التلفون . . . مع ذلك راقني
الأمر وما هي إلا ثوان حتى كانت الساعة على
أذني فكان ما توقعت ووجدت رجلاً يتوهم
أن بيتي (جراج) فابتسمت وقلت : أتسألني
هل عندي تاكسي ، ما أغربه من سؤال . . .
باسيدي إن عندي مدرسة كاملة . معملًا تاماً .
أتحب أن يكون من طراز « فيات » ؟ أم تؤثر أن
يكون « رينو » ؟ ... ماذا ؟ ... تريده حالا ؟
آه . هذه هي العقدة ، آسف ! لأنني لا أستطيع
أن أرسله حالا كما تطلب . . . ما السبب ؟
السبب بسيط جداً ! . . . ليس عندي سوى
ولدين أحدهما رضيع ، والثاني في المدرسة الآن .
بل سمعتك جيداً !! . . . كلا . لم يحصل خطأ .
أنا فاهم ما تقول . . . اسمع أنت . . . يمكنني أن
أرسله إليك بالبريد فيكون عندك غداً صباحاً .
كلا . لست مجنوناً . . . ولا أنت أيضاً ؟ . . .
المجنون غيرنا . حسن . . . فلتكلم في شيء
آخر . . . صحتك جيدة على ما أرى . . .
من قوة حنجرتك . . . آسف جداً . لم يسعدني
الحظ برؤية وجهك إلا في التلفون . . .
إلى آخر الحديث المطرد على هذا النحو الذي
يخيل إلينا أنه يسبق الآذان ويربط بعضه
ببعض من غير تأليف .

فالنفس التي يخامرها حزن كذلك الحزن
وتعمرها فكاهة كذلك الفكاهة لا يأتي استخفافها
من قلة حس بل من فرط حس وشعور
وتخيّل . وهي تستخف لتنجو من حسها
ولا تستخف لأنها من الحس بمنجاة . بل

من يشتري تغريدتي موهناً
بغطة الداهل عن فجره
من يشتري دمعا يحس الفتى
جولته لا الفيض من قطره
من يشتري نفساً وآلامها
بثقله المأفوك في فكره
من يشتري هذا سوى مائق
يسعى برجليه إلى ضره

براءته من الشعر ، نفس المازني العطوف
الذي يؤلمه الحزن في نفس أمه ، ولا يشغله عنه
حزنه وألمه وهما أشد وأقسى . نفس المازني
القدرى الذي أسلم دنياه لقضاء الله . نفس
المازني الذي طرقت أبواب خلده حكمة
الاستخفاف وقلة المبالاة . ومانع المبالاة ؟ ..
إن إسماعيل المفدى قد مات كما مات الكبش
الذي فداه !

ولأنه لمن الحظ السيء للشرق العربي أنه
لم يأخذ من المازني كل ما كان قادراً على أن
يعطيه من طهفة ملكاته وليست كلها مقصورة
على الشعر ونقده .

فإن المازني قد امتاز بملكة أخرى كاد أن
يتفرد بها في الآداب العالمية وهي ملكة الترجمة
المطبوعة أو ما يصح أن نسميه بعقريّة الترجمة .
لأنه استطاع بترجمته أن يربط الكلام أصيلاً
كأنه لم يكتب قبل ذلك بلغة أخرى ولم يصدر
عن قريحة سابقة . فقد كان يترجم الكلام في
سليقته شعوراً قبل أن يترجمه لفظاً ومعنى
فيجيش به كما جاش به صاحبه ويعبر عنه بعد
ذلك كأنه ينقل قطعة من حسه وخياله . ويصنع
ذلك بالكلام المنظوم كما يصنع بالكلام المنثور
فلذا به قد نقل روحه وطلاوته وموسيقاه
وما يتخلل عباراته من ظلال المعاني المسترة
وخفاياه المضمونة . حتى ليحرج النظم واضحاً
في موضع الوضوح قوياً في موضع القوة
مكنياً عنه في موضع الكناية . ويظهر لنا فضله
في هذا المجال بالمقابلة بينه وبين « فزجير الد »
مترجم « عمر الحيام » وهو من كبار الشعراء

كلا . ما هكذا يعتلج الشعور بالشعر في
السريرة إلا أن يكون كأنه سلطان مارد متحكم
فيها متغلغل في أطوائها يسومها شططا ويعيبها
الفكاك منه والخروج عليه . ولو لم يكن
المازني متجنباً على ملكاته - ومنها بل أولها
الشعر - لكان في سريره عارضاً لا يباليه ولم
يكن فيها ذلك اللاعج الذي يخشاه على نفسه
وعلى بنيه .

قال يواسي والدته في غاشية من غواشي
الضنك والأسى :

يا أم لا تهزعي مما يحيق بنا
من الخطوب ولا تأمسي لما فاتنا
تمضي المقادير فينا الحكم عادلة
ويقسم الله أرزاقاً وأقواتا
وكل ضائقة تغدو إلى فرج
وإن لليسر مثل العسر ميقاتا
ضل الذي يرتجى تأخير قسمته
قدمات كالكبش إسماعيل قدماتا

هذه الأبيات قد أودعت نفس المازني
كلها : نفس المازني الشاعر الذي لا تجديه

فكيف يخطر لمن يقرأ هذه الأبيات ولم يقرأها من قبل في أصلها أنها ننت في لغة غير لغة الفصاح وأن بيتاً منها نقل من سطور إلى سطور؟ ... هذا مع الدقة التي تستغرب في الكلام المنثور فما بالك بالمنظوم المقيد بالقوافي والأوزان؟

إن ملكة كهذه الملكة أو عبقرية كهذه العبقرية لو تهباً للشرق العربي أن يقيمها على رأس عمل من الترجمة الأدبية والثقافية لزودت لغتنا بأدب أصيل من هذا الأدب الدخيل عليها ولجعلت نسحتنا العربية - مع هذا - نموذجاً بين نسخ التراجم في جميع اللغات .

وقد ترجم المازني نبذاً صالحة من الآداب الأجنبية وكان من أفضاله في هذا الباب أنه أعاد الثقة بالعربية إلى أهلها . وأزال ما كان معتقداً فيها من أنها لا تقبل المعاني الحديثة إلا في لفظ مقسور وأسلوب مستكره قياساً على ما شاع من الترجمات في بواكيرها . ولكن فضله هذا كان خليقاً أن يضاعف أضعافاً كثيرة ، لو وضع في موضعه وأقيم على العمل الذي خلق له ولم يخلق له في زماننا من يفوقه فيه .

إن هذا من الحظ السيء للآداب العربية .

إلا أنه من الحظ الحسن لها أنها قد استبقت لأديبنا مجال القصة والمقالة الوصفية . وهو مجال قد استعد له خبير ما يحتاج إليه من دقة الملاحظة وحسن التخييل وسرعة الخاطر وسهولة التعبير . فقضى السنوات الأخيرة من حياته

الترجمين المعدودين . فإنه تصرف في عبارات الخيام حتى تيسر له أن يفرغها في قوالبه الشعرية . أما المازني فإنه لم يتصرف قط في عبارات «فزعيرالد» . وأوشك أن يلتزم فيها الترتيب وفواصل السطور إلا ما تنعذر المضاهاة فيه بين اللغتين . . . وقد ذكرت في مقام سابق شواهد من ترجمته للرباعيات وأذكر في هذا المقام شاهداً آخر من الشعر الانجليزي من قصيدة النهر المتعب للشاعر مورش . وهي كما ترجمها :

ماض على غلوائه يجرى
أبداً إلى بحر بلا عبر
مترقوق لا شيء يحسه
متزاحم كتزاحم الشعر
متصاحك سلس وآونة
متوثب عن نزوة الشر
زجل له لحن يذكرنا
همس المنى في ريق العمر
ومزججر طورا كأن له
رعد الجحيم ثور بالحجر
كم قد أقل عبابه سفنا
وأجن من غرقى ومن كسر
ورمى بكل غير مثد
في قعر يم هائل القعر
سيظل هذا النهر منجرداً
يهوى براكبه - إلى البحر
حتى يمل الدهر دورته
وتنام عينا الشمس والبدر
ويل عليه وويل راكبه
مه . ومن بحر الردى القفر

وهو يوالى قراءه في الأمم العربية بالقصة تارة وبالمقالة تارة أخرى . ويغتنم الفرصة كلما سنحت لتزويدهم بالرواية الكبيرة إلى جانب القصص الصغيرة . فأخذوا من غيئه وهم على شاطئ بحره . ولكنه الغيث الذي يضرر بحاراً آخرين . . . فإذا بكوه فليبكوه لما أخذوه ولما حرموه .

فارق الدنيا ومحبوه يستزيدون أيامه لو وسعهم أن يزيدها إلى غاية المدى . ولكنه رحمه الله قد تعجل يومه قبل نيف وثلاثين سنة فرقى نفسه وهو يحسب أنه لن يجد من يحفل برثائه ، وقال على مذهبه المعهود في النظر إلى الحياة والأحياء :

قضى غير مأسوف عليه من الورى
فتى غره فى العيش نظم القصائد

• • •

وقد كان مجنوناً تضاحكه المنى
وفى ريقها سم الصلال الشوارد

فعاش وما واساه فى العيش واحد
ومات ولم يحفل به غير واحد
أراد حلود الذكر فى الأرض ضلّة
فأورده النسيان مر الموارد
ولم يبكه إذ مات إلا أجيرة
لما زفرة لولا اللهى لم تصاعد
فلا دمع يروى يوم ولى ترابه
وكيف يروى ترابه غير واجد؟
فلا تندبوه إنه ليس بالأسى
حقيقاً ولا أهل الهموم العوائد
كلا أيها الصديق .

إن الدنيا قد أخلفت ظنك بالأمس على غير
حق . وإنها لتخلف ظنك اليوم وهى على حق .
فما أنت ممن ينسى وبين أبناء العربية ذاكرون ،
وما أنت ممن يحسن إليه الناس بذكره ، وإنما
يحسنون إلى أنفسهم كلماذكروك .